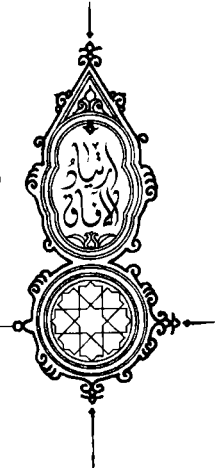


المصطلح البزنية  
في  
المنازل الروسية

1577 - 1499

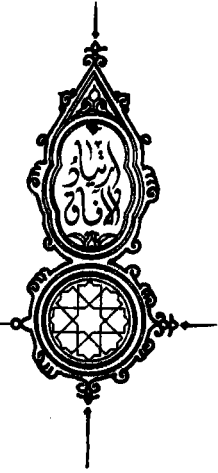
بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ العَامِرِيُّ العَزِيْزِيُّ الدِّمَشْقِيُّ

حَقَّقَهَا وَقَدَّمَ لَهَا: المَلِكُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ



يشرف على هذه السلسلة :

نوري الحجراحي



المصطلح البزنية  
المنازل الرومية

984 - 904

---



المطالع البدرية في المنازل الرومية / أدب رحلات  
بدر الدين محمد العامري الغزي الدمشقي / مؤلف ، [ حررها وقدم لها : المهدي عيد الرواضية ]  
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤  
حقوق الطبع محفوظة



المؤسسة العربية للدراسات والنشر  
المركز الرئيسي :  
بيروت ، الصنائع ، بناية عيد بن سالم ،  
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،  
هاتفاكس : ٧٥٢٣٠٨ / ٧٥١٤٣٨



دار السويدية للنشر والتوزيع  
أبو ظبي ، ص.ب : ٤٤٤٨٠  
الإمارات العربية المتحدة ،  
هاتف : ٦٣٢٢٠٧٩ ، فاكس : ٦٣١٢٨٦٦

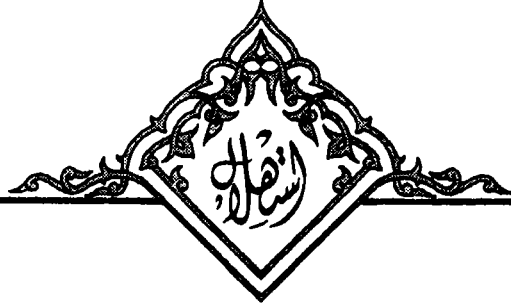
التوزيع في الأردن :  
دار الفارس للنشر والتوزيع  
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١  
E-mail : mkayyali@nets.com.jo

التنفيذ والإشراف الفتي :  
تصميم الغلاف : منير الشعرائي / مصر  
خطوط الغلاف : زهير أبو شايب / الأردن  
الصفّ الضوئي :  
القرية الإلكترونية / أبو ظبي + المؤسسة العربية للدراسات والنشر  
التنفيذ الطباعي :  
رشاد برس / بيروت ، لبنان

All rights reserved . No part of this book may be reproduced , stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publishers .

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشرين .

ISBN 9953-36-635-7



تَهْدَفُ هَذِهِ السُّلْسَلَةُ بَعَثَ وَاحِدٍ مِنْ أَعْرَاقِ الْوَاوَانِ الْكُتَابَةِ فِي ثِقَافَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ ، مِنْ خِلَالِ تَقْدِيمِ كِلَاسِيكِيَّاتِ أَدَبِ الرُّحَلَةِ ، إِلَى جَانِبِ الْكَشْفِ عَنْ نِصُوصٍ مَجْهُولَةٍ لِكِتَابِ وَرِخَالَةِ عَرَبٍ وَمُسْلِمِينَ جَابُوا الْعَالَمَ وَدَوَّنُوا يَوْمِيَّاتِهِمْ ، وَنَقَلُوا صُوراً لِمَا شَاهَدُوهُ وَخَبِرُوهُ فِي أَقَالِيمِهِ ، قَرِيبَةً وَبَعِيدَةً ، لِأَسِيْمَا فِي الْقَرْنَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ الَّذِينَ شَهِدُوا وِلَادَةَ الْإِهْتِمَامِ بِالتَّجْرِبَةِ الْغَرْبِيَّةِ لَدَى النُّخَبِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُثَقَّفَةِ ، وَمِحَاوَلَةَ التَّعَرُّفِ عَلَى الْمَجْتَمَعَاتِ وَالنَّاسِ فِي الْغَرْبِ ، وَالْوَاقِعِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ عِزْلُ هَذَا الْإِهْتِمَامِ الْعَرَبِيِّ بِالْآخِرِ عَنْ ظَاهِرَةِ الْاسْتِشْرَاقِ وَالْمُسْتِشْرَقِينَ الَّذِينَ مَلَأُوا دُرُوبَ الشَّرْقِ ، وَرَسَمُوا لَهُ صُوراً سَتْمَلَأَ مَجْلِدَاتٍ لَا تُحْصَى عِدْداً ، خِصُوصاً فِي اللُّغَاتِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ وَالْفَرَنْسِيَّةِ وَالْأَلْمَانِيَّةِ وَالْإِيْطَالِيَّةِ ، وَذَلِكَ مِنْ مَوْقِعِهِمُ الْقَوِيَّ عَلَى خَارِطَةِ الْعَالَمِ وَالْعِلْمِ ، وَمِنْ مَنْطَلِقِ الْمُسْتَأَثِّرِ بِالْأَشْيَاءِ ، وَالْمُنْتَهِيءِ لِتَرْوِيحِ صُورٍ عَنْ «شَرْقِ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ» تَغْذِيْ أَعْذَانِ الْغَرْبِيِّينَ وَمُخَيَّلَاتِهِمْ ، وَتَمَهِّدُ الرَّأْيَ الْعَامَ ، تَالِيّاً ، لِلْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ لِهَذَا الشَّرْقِ . وَلَعَلَّ حِمْلَةَ نَابِلْيُونِ عَلَى مِصْرَ ، بِكُلِّ تَدَاعِيَّاتِهَا الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ فِي ثِقَافَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ ، هِيَ النَّمُودَجُ الْأَمُّ لِذَلِكَ . فَفَقَدْ دَخَلَتْ الْمَطْبَعَةُ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى مِصْرَ مَقْطُورَةً وَرَاءَ عَرَبِيَّةِ الْمُدْفَعِ الْفَرَنْسِيِّ

لتؤسس للظاهرة الإستعمارية بوجهيها العسكري والفكري .  
على أن الظاهرة الغربية في قراءة الآخر وتأويله ، كانت دافعاً ومحرضاً  
بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التي وجدت نفسها في مواجهة صور  
غريبة لمجتمعاتها جديدة عليها ، وهو ما استفز فيها العصب الحضاري ، لتجد  
نفسها تملك ، بدورها ، الدوافع والأسباب لتشد الرحال نحو الآخر ، بحثاً  
واستكشافاً ، وتعود ومعها ما تنقله وتعرضه وتقله في حضارته ، ونمط عيشه  
وأوضاعه ، ضاربة بذلك الأمثال للناس ، ولينبعث في المجتمعات العربية ،  
وللمرة الأولى ، صراع فكري حاد تُسْتَقْطَبُ إليه القوى الحية في المجتمع بين  
مؤيد للغرب موال له ومتحمس لأفكاره وصياغاته ، وبين معادٍ للغرب ،  
رافض له ، ومستعدٌ لمقاتلته .

وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين ، عبّر  
رسم صور دنيا لهم ، بواسطة مخيِّلةٍ جائعةٍ إلى السحري والأيروسيِّ  
والعجائبيِّ ، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم ، كما سيتضح من  
خلال نصوص هذه السلسلة ، ركّز ، أساساً ، على تتبع ملامح النهضة  
العلمية والصناعية ، وتطور العمران ، ومظاهر العصرية ممثلة في التطور الحادث  
في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق . لقد انصرف الرّحالة العرب إلى  
تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات ، مدفوعين ، غالباً ،  
بشغف البحث عن الجديد ، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف  
فقط ، من باب الفضول المعرفي ، وإنما ، أساساً ، من باب طلب العلم ،  
واستلهاهم التجارب ، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث ، واقتفاء أثر  
الآخر للخروج من حالة الشلل الحضاري التي وجد العرب أنفسهم فريسة  
لها . هنا ، على هذا المنقلب ، نجد أحد المصادر الأساسية المؤسسة للنظرة  
الشرقية المندهشة بالغرب وحضارته ، وهي نظرة المتطلع إلى المدنية وحدائتها

من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة ، المتحسّر على ماضيه التليد ،  
والتّاق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية .

إن أحد أهداف هذه السّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم ، هو  
الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكّل عن طريق الرحلة ، والأفكار  
التي تسرّبت عبر سطور الرّحالة ، والانتباهات التي ميّزت نظرهم إلى الدول  
والناس والأفكار . فأدب الرحلة ، على هذا الصعيد ، يشكّل ثروة معرفيّة  
كبيرة ، ومخزناً للقصاص والظواهر والأفكار ، فضلاً عن كونه مادة سردية  
مشوّقة تحتوي على الطريف والغريب والمدهش بما التقطته عيون تتجوّل وأنفس  
تنفعل بما ترى ، ووعي يلمّ بالأشياء ويحلّلها ويراقب الظواهر ويتفكّر بها .

أخيراً ، لا بد من الإشارة إلى أن هذه السّلسلة التي قد تبلغ المائة كتاب من  
شأنها أن تؤسس ، وللمرة الأولى ، لمكتبة عربية مستقلة مؤلفة من نصوص  
ثريّة تكشف عن همّة العربيّ في ارتياد الأفاق ، واستعداده للمغامرة من باب  
نبيل المعرفة مقرونة بالمتعة ، وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمور في أربع جهات  
الأرض وفي قاراته الخمس ، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالمه ، البحث  
عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات  
التي قام بها الأدباء والمفكرون والمتصوفة والحجاج والعلماء ، وغيرهم من  
الرّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية والإسلامية .

محمد أحمد السويدي





## تمهيد

هذا الكتاب الذي نقدمه إلى المكتبة العربية اليوم هو جزء من مشروع «عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين»<sup>(1)</sup> الذي نعمل عليه في مؤسسة رابطة الشرق والغرب / بروتا منذ مدة وهو مشروع متعدد الجوانب والأطراف والأساليب وغايته :

أولاً : إبراز رؤيا العرب والمسلمين في القرون الوسطى إلى العالم .  
وثانياً : إظهار المناحي المختلفة للثقافات الإنسانية التي عرفها الرحالون والجغرافيون العرب وكتبوا عنها فصلاً تصف أوضاعها العمرانية والاجتماعية والدينية وتقاليد أهلها وعاداتهم . فثمة بلدان في أوروبا كالنرويج وبلاد شرقي أوروبا مثلاً ستجد في هذه الكتب معلومات كثيرة حول تاريخها لا تجدها في غير ذلك من المصادر .

وثالثاً : خدمة التراث العربي الواسع المتعدد المواضيع والأبواب والمداخل ومناحي الإبداع .

كانت النية في بدء عملنا على هذا المشروع أن نترجم إلى اللغة الإنجليزية عدداً من كتب الرحلات التي لم تترجم بعد أو التي ترجمت ترجمة قديمة تحتاج اليوم إلى التعديل في ضوء ما توثق من معلومات وأساليب مستحدثة . وكانت المكتبة العالمية وحدها هي المستهدفة في هذا العمل .

غير أنني بعد البدء في المشروع استحدثت فرعين آخرين له يخدمان المكتبتين العربية والعالمية في آن واحد :

الأول : هو تقييس ما نجده في كتب الرحلات والجغرافيا حول منطقة واسعة من

---

(1) هذا العنوان خاص بمؤسستنا : رابطة الشرق والغرب/بروتا ، فهو الاسم الذي أطلقته أنا على هذا المشروع منذ أواسط التسعينات وأعلنته وعملت عليه مع عدد من الباحثين العرب والأجانب ولا يحق لأي باحث على الإطلاق أن يطلقه على أي كتاب ينشره خارج مشروعنا سواء كان هذا الباحث قد عمل عليه معنا (وعليه فيكون قد تلقى عنه مكافأة طيبة من المنحة التي تسلمها المشروع من الأستاذ عبدالمقصود خوجة في جدة) أم أنه كان غريباً عنا أعجبه العنوان فتلغفه دون أن يدرك أن في هذا العمل خرقاً مجحفاً لقانون النشر العالمي وامتهاناً لأصول التعامل بين المثقفين . ثم إن الناشر الذي يرضى بنشر كتاب يعلم أن عنوانه ملك لغير المؤلف الذي يتعامل معه يصبح هو أيضاً مسؤولاً قانونياً إزاء هذا التصرف .

مناطق العالم الثلاث المعروفة حينئذ (خارج البلدان العربية والإسلامية) وهي أوروبا وإفريقيا السوداء والشرق الأقصى فنشرها باللغتين . وقد أنجزنا الكتاب عن أوروبا باللغة العربية وترجمناه إلى الإنجليزية وسيدفع إلى النشر قريباً .

ثانياً : تحقيق مخطوطات مهمة من كتب التراث الجغرافي بالعربية ثم ترجمتها إلى الإنجليزية فنخدم بهذا المكتبة العربية ثم المكتبة العالمية في نفس الوقت . وقد أقدمت على هذا بثقة لا سيما وقد توفر لهذا العمل باحث متميز كالمهدي الرواضية . وعليه فقد حقق المهدي هذا الكتاب (المطالع البدري في المنازل الرومية) لبدر الدين محمد العامري الغزي من ثلاث مخطوطات ثم حقق بعده كتاباً آخر كتبه باللغة العربية الجغرافي العثماني ابن سباهي زادة وعنوانه «أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك» على أربع مخطوطات واحدة من مكتبة الجامعة الأردنية وثلاث من ثلاث مكتبات في اسطنبول . والكتابان الآن قيد الترجمة إلى الإنجليزية .

وقد قام المهدي بهذا العمل بدقة وعناية كبيرة عرفتهما عنه منذ البدء فأشكره وأهنته على نيل «جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي» 2004 على هذا الكتاب وقد استحقتها بجدارة .

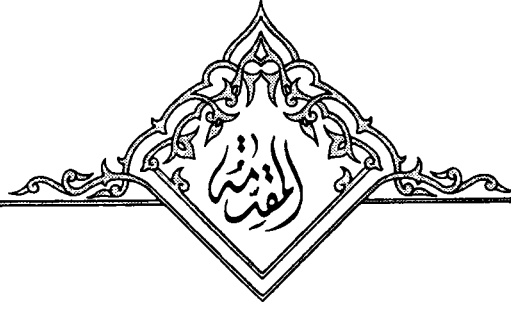
ولا بد هنا من التوجه بالشكر والعرفان إلى الأستاذ عبدالمقصود خوجة صاحب الإثنينية المعروفة في جدة الذي أحب مشروع «عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين» ف تبرع له بمنحة غطت عمل التدقيق والترجمة وما يتبع ذلك من مصاريف مباشرة ، جزاه الله على هذا بالخير الوافر .

ويسرني أن أقدم هذا الكتاب إلى المهتمين بمتابعة كتب التراث الجغرافي العربي الغني بالرحلات وبالكتب الجغرافية العديدة . لقد امتلأت المكتبة العربية بهذه الكتب ومع أن عدداً طيباً منها قد حُقق ونُشر إلا أن عدد آخر قد بقي ينتظر التحقيق والتحرير وما يرافقه من تدقيق علمي وتفسير وتعليقات لا يستغني عنها أي كتاب يطمح إلى الانضمام إلى أسرة الكتب الموثقة في التراث العربي الواسع الذي غني بجميع مرافق المعرفة المتاحة لأهل العلم والأدب وطلاب المعرفة في القرون الوسطى .

د . سلمى الخضراء الجيوسي

مديرة مؤسسة «رابطة الشرق والغرب / بروتا»

والمحرر العام



## مؤلف الرحلة:

بدر الدين محمد بن رضي الدين محمد بن محمد الغزّي العامريّ  
الدمشقيّ، أبو البركات<sup>(1)</sup>، فقيه شافعي وعالم بالتفسير والأصول  
والحديث، ولد في دمشق في رابع عشر ذي القعدة سنة (904هـ / 1499م)  
فحمله والده العالم الفقيه رضي الدين الغزّي إلى الشيخ العارف بالله أبي  
الفتح محمد بن محمد بن علي الإسكندريّ المزيّ فألبسه خرقة التصوف،  
ولقنه الذكر، وأجاز له وهو دون السنتين، ثم أخذ العلوم على كثير من شيوخ  
دمشق ومنهم والده رضي الدين، ورافقه في رحلته إلى مصر فأخذ عن كثير  
من مشايخها واستجاز له والده من الأمام جلال الدين السيوطيّ.  
وفي عام 921هـ عاد من القاهرة بصحبة والده فاجتمع عليه طلاب العلم  
وهو ابن سبع عشرة سنة، فتصدر للتدريس والإفتاء والتصنيف، كما تولى

(1) انظر ترجمته في: دُرّ الحبيب في تاريخ أعيان حلب 1/2 : 436-439، الكواكب السائرة 3 : 3-10،  
وشذرات الذهب 10 : 593-595، وسلافة العصر 388، البدر الطالع 252:2 وهدية العارفين 2 :  
254، وتاريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكي 2 : 685 - 687، وأعلام الزركلي 7 : 59.

بعض الوظائف الدينية كمشيخة القراء بالجامع الأموي والتدريس في الشامية الكبرى بدمشق، وفي كثير من مدارس دمشق، وكان الناس يرحلون إليه طلباً للعلم والبركة، ولزم العزلة في أواسط عمره، لا يأتي قاضياً ولا حاكماً ولا كبيراً بل هم يقصدون منزله للتبرك وطلب الدعاء. وإذا قصده قاضي قضاة البلد أو نائبها لا يجتمع به إلا بعد الاستئذان والإلحاح في الإذن، وكان أن قصده نائب الشام مصطفى باشا فلم يجتمع به إلا بعد مرات، ومثله درويش باشا نائب الشام، وقال له: يا سيدي ما تسمع عني؟ فقال: الظلم!

وكان صاحب الرحلة كريماً محسناً، جعل لتلاميذه رواتب وأكسية وعطايا، وكان لا يأخذ على الفتوى شيئاً بل سد باب الهدية مطلقاً فلم يقبل إلا من أخصائه وأقاربه ويكافئ أضعافاً.

وفي الثاني من شوال سنة 984هـ/1577م مرض مرضته الناهكة، وبعد أسبوعين توفي، وشهد جنازته خلق كثير، ودفن في تربة الشيخ أرسلان خارج باب توما من أبواب دمشق.

## مؤلفاته وأثاره:

عُرِفَ الغَزِّيُّ بغزارة التأليف؛ فقد ترك نحواً من مائة وبضعة عشر مصنفاً، جمع ابنه نجم الدين عناوينها في كتاب مفرد سماه «فهرس مؤلفات الغزِّيِّ»، وبلغ عدد مؤلفاته وقت رحلته زهاء سبعين مؤلفاً ذكر بعضاً منها في ثنايا رحلته.

أما تصانيفه التي لم يرد ذكرها في الرحلة فمنها: التفاسير الثلاثة «المنشور» و«المنظومان»، وأشهرها «المنظوم الكبير» في مائة وثمانين ألف بيت، وحاشيته على «شرح المنهاج» للمحلي، و«فتح المغلق في تصحيح ما في الروضة من الخلاف المطلق»، و«شرح خاتمة البهجة»، و«التذكرة الفقهية»، و«شرحان على الرحبية»، و«شرح الصدور بشرح الشذور»، و«شرح على التوضيح لابن هشام»، و«شرح شواهد التلخيص»، و«أسباب النجاح في آداب النكاح»، و«الدُر الثمين في المناقشة بين أبي حيان والسمين»، و«رسالة التمانع»، و«كتاب فصل الخطاب في وصل الأخباب»، و«منظومة في خصائص النبي

«...»، و«العقد الجامع في شرح الدرر اللوامع نظم جمع الجوامع»، و«آداب المواكلة»<sup>(1)</sup>، و«رسالة المراح في المزاج»، و«جواهر الذخائر في الكبائر والصغائر»، و«آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة»<sup>(2)</sup> إلى غير ذلك من المؤلفات والرسائل.

## التعريف بالرحلة:

تعتبر رحلة الغزّي عملاً أدبياً محكم الوضع في عصر موسوم بانحطاط الحياة الفكرية والثقافية، لما فيها من مراوحة بين المنثور والمنظوم، بأسلوب يعتمد على السجع، وغالباً السجعة المركبة، وهو أسلوب تفوق فيه المغاربة والأندلسيون على نظرائهم المشاركة. ولقد نظرت في بعض مؤلفات الغزّي المطبوعة فلم يكن هذا أسلوبه ألبتة، بل خلت كتاباته من أي تصنع سجعى أو تقيد بديعي حتى اطلعت على رحلة خالد بن عيسى البلّوي الأندلسي (ت بعد 767هـ) المسماة بـ «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» فوجدت الغزّي قد أخذ نصوصاً وعبارات نثرية كثيرة من البلّوي وأدرجها في رحلته؛ بل إن جُلُّ الأشعار التي أوردها الغزّي كان البلّوي قد استشهد بها، ولنا أن نورد نصّاً لكليهما على سبيل المثال لا الحصر:

يقول البلّوي بعد أن خرج من بجاية<sup>(3)</sup>: «ففارقت الصبر عند مفارقة تلك المنازع، وودعت الجلد عند وداعي لذلك المسجد الجامع، وسرت وقلبي في تلك التلاع وتلك الأجارع، وقد خامرني الفرق، واستولى على جفني الأرق، وأولعت بما يولع به المشفق، وأنفقت دمعي وكل امرئ بما عنده ينفق، ورحم الله زهيراً المهلبى، فعن حالي عبر بقوله...». ويورد أبيات المهلبى.

ويقول بدر الدين الغزّي وقد هم بالخروج من حلب<sup>(4)</sup>: «ثم سرت وقلبي في تلك التلاع وتلك الأجارع، وقد فارقت الصبر عند مفارقة تلك المنازع، وودعت الجلد عند

(1) طبع بتحقيق الدكتور عمر موسى باشا - دمشق: دار ابن كثير، 1987م.

(2) طبع بتحقيق علي حسن علي عبد الحميد، بيروت، عمان: المكتب الإسلامي، دار عمار، 1987.

(3) تاج المفرق 1: 157.

(4) انظر ص 76-77 من هذه الرحلة.

وداعي تلك الجماع والجوامع ، وقد خامرني الفرق ، واستولى على جفني الأرق ، وأولعت بما يولع به المشفق ، وأنفقت دمعي وكل امرئ بما عنده ينفق ، ورحم الله زهيراً المهلبى ، فعن حالي عبر بقوله . . . » ويورد أيضاً أبيات المهلبى .

والجدير بالإشارة هنا أن لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ) أثار شكوكاً كثيرة حول رحلة البلوى مؤداها اتهامه إياه بسرقة كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني ، وهذا الاتهام يراه محقق الكتاب متأثراً لا غير<sup>(1)</sup> . ونرى أن الغزبي امتلك نسخة من رحلة البلوى فأعجب بحسن الصوغ وبديع السجع فأحب أن يظهر ذلك في كتابه .

وأياً كان الأمر فالرحلة ذات قيمة تاريخية إذ كثيراً ما يتطرق المؤلف إلى بعض الأحداث التي حدثت خلال وجوده في مكان ما ، فعند إقامته بالقسطنطينية يذكر الغزبي خبر انشغال الدولة وأرباب الديوان بختان أولاد السلطان ، ويورد خبر سفر السلطان إلى مدينة بروسا ، ثم تفشي الطاعون في عام 937هـ ، كما نجد أن الغزبي يتابع ما يستجد من أحداث في موطنه من ذلك خبر عزل القاضي ابن الفرفور والحجز على أملاكه وسجنه إلى غير ذلك من الأحداث .

والرحلة تعدُّ مصدراً مهماً من مصادر التراجم لما تضمنته من أسماء علماء وأدباء وأعيان وأمرء التقى بهم الغزبي خلال رحلته ، وبعض هذه التراجم عزيزة ، لم نجد فيما بين أيدينا من مصادر من تطرّق إليها . إضافة إلى أمانة الغزبي عند الترجمة لأحد الأعلام في إيراد الآراء المختلفة من ذلك قوله في ترجمة ابن بلال : «أخبرنا أصحابنا الشموس الثلاثة ابن الخناجري وابن قنبر والسيد ابن النويرة والبدر ابن النصيبى وغيرهم أن المشهور بحلب بابن بلال رجل جاهل لا يعرف شيئاً . . . » إلى أن يقول : «ورأيت من خالفهم في ذلك كله وقال إنه من حملة العلم وأهله . . . » ، وأثبت نجلة نجم الدين الغزبي في كتابه الكواكب السائرة جُلّ الذين ذكرهم والده أو التقى بهم ، وعن نجم الدين هذا استقى ابن العماد في كتابه شذرات الذهب كثيراً من تراجم أعيان القرن العاشر الهجري .

أما في الجانب الجغرافي والعمراني فالرحلة كثيراً ما يوغل في وصف المواضع

(1) انظر مقدمة رحلة البلوى السماة : «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» ص 1 : 103-110 .

والأماكن والمساجد والعمائر التي مرَّ بها وزارها ، وما بها من المزارات والمقامات ، بل قد يعرج بالحديث إلى تاريخ البناء أو العمارة أو تاريخ فتح مدينة من المدن التي زارها ، وقد وجدنا أن الغزّي انفرد بذكر مواضع كثيرة لم يتطرق إليها غيره من الرحالة الذين قصدوا بلاد الرُّوم كالرحالة ابن بطوطة والخياريّ وكبريت .

## هدف الرحلة:

لم يشأ الغزّي الإفصاح عن السبب الحقيقي الذي دفعه للقيام بهذه الرحلة ، غير أنه ألمع إلى أن ثمة عارضاً حدث له بدمشق الشام اقتضى منه السفر إلى بلاد الرُّوم<sup>(1)</sup> . وفي موضع آخر عند ترجمته لقادري جلبي قاضي قضاة العساكر الأناطولية يقول : « .. وإنما كان كلام الباشا معه بسببي وتحريضه عليه بما يتعلّق بي بسبب كتابة براءات بتجديد ما بيدي من الجهات وشؤون أخرى لا تبرز ، وقد انقضى كل منها بحمد الله وتنجز<sup>(2)</sup> » . فالهدف إذن رفع مظلمته وشكايته عن عزله من وظيفة دون وجه حق . ولعل كثير من الرحالة الذين قصدوا القسطنطينية في تلك الفترة وما بعدها كان مرامهم التظلم إلى السلطان ، منهم الرحالة الخياريّ الذي أوضح في مقدمة رحلته أن الغاية من سفره التظلم للسلطان بوظيفة تدرّس بأحد المعاهد العلمية سُلّبت منه دون وجه حق<sup>(3)</sup> .

## النسخ المعتمدة في التحقيق:

\* النسخة الأم : وهي أكمل النسخ وأجملها خطأً ، محفوظة في مكتبة كوبرلو باستانبول برقم (1390) ومصورة على شريط ميكروفيلم محفوظ في مركز الوثائق

(1) انظر ص 22 من الرحلة .

(2) انظر ص 267 من الرحلة .

(3) انظر رحلة الخياريّ 1 : 28 .

والمخطوطات بالجامعة الأردنية برقم (1185). وتتكون هذه النسخة من (183) ورقة من القطع الكبير، وبكل لوحة ورقتان، أ و ب. وبالورقة (13) سطرًا، وفي كل سطر (12) كلمة تقريباً. والأوراق مؤطرة وهي بخط جميل خالٍ من الخرم والطمس. وناسخها هو عبد اللطيف الشافعي من أهل القرن الحادي عشر، حيث كتب على طرّة الكتاب أنه سافر إلى بلاد الرّوم سنة 1042هـ، وكُتبت هذه النسخة بالحبر الأسود، وعناوين فصولها بلون آخر لعله أحمر أخفاه التصوير.

\* النسخة الثانية: ورمزنا لها بالحرف (م)، وهي مسودة المؤلف وبخطه، محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني برقم (3626) ومصورة على شريط ميكروفيلم محفوظ في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية برقم (1025). وتتكون من (71) ورقة من القطع المتوسط، وبكل لوحة ورقتان، وبالورقة نحو (23) سطرًا، وفي كل سطر (16) كلمة تقريباً، وهي بخط عسر القراءة يكثر فيه الشطب والطمس وكثرة الهوامش، ويختلط فيها الشعر بالنثر، وفي الثلث الأخير من هذه النسخة تكثر الكلمات غير المقروءة اهتدينا إلى قراءتها من النسخ الأخرى.

\* النسخة الثالثة: ورمزنا لها بالحرف (ع) وهي محفوظة في أكاديمية العلماء الرّوس برقم B799 ومصورة على شريط ميكروفيلم محفوظ في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية برقم 1259. وتتألف من (112) ورقة من القطع الكبير، بكل لوحة منها ورقتان، وفي كل ورقة (21) سطر، وبالسطر الواحد (9) كلمات تقريباً، وهي بخط واضح وجميل، كتبها خليل بن زين الدين الإخنائي، وقد انتهى من نسخها في العشرين من شهر ربيع الثاني سنة 1066هـ، ولعل ناسخها نقل من مسودة المؤلف (المتقدمة) مباشرة لأنه غالباً ما يقوم برسم الكلمات وفق ما جاءت، عندما تستعصي عليه قراءتها، فتأتي بصورة كلمات محرّفة لا معنى لها، وقد أشرنا إلى المواطن التي يضطرب فيها الناسخ في مواضعها من الرحلة.

### منهج التحقيق:

اتبعنا في تحقيق هذا الكتاب الأصول العلمية المتبعة في التحقيق، على وجه يبرز



هذا العمل كما أراد له مؤلفه أن يكون ، بصورة لا تزاحمها كثرة التعليقات والشروحات ، فبعد استيفاء قراءة النصّ بعناية ، ومقابلته على النسخ الأخرى المعتمدة في التحقيق وإثبات فروقها ؛ عمدنا إلى تقويم النصّ بإصلاح الأخطاء النحوية والإملائية مع الإشارة في الهامش إلى ما هو وارد في النسخ الأخرى ، أما الكلمات التي يكتبها النساخ في ذلك العصر بتخفيف الهمزة إلى ياء أو بإهمال الهمزة نهائياً خصوصاً إذا ما جاءت في آخر الكلمة ؛ فقد التزمنا الكتابة الحديثة دون إثقال الهوامش بالتنويه لذلك .

ووضعنا أرقام مخطوطة الأصل بين حاصرتين ؛ ليتسنى للباحث مراجعة المخطوط إذا ما أراد ، كما أشرنا إلى المصادر التي أخذ عنها المؤلف ، وأشرنا إلى تواريخ وفيات الأعلام الذين ترجم لهم الغزّيّ دون التوسّع بترجمتهم ، واكتفينا بذكر مصادر التراجم ما وسعنا الجهد في ذلك .

أما بالنسبة للمواضع والأمكنة الواردة في الكتاب فقد حاولنا - ما أمكن - التعريف بها بشكل مختصر مع الإحالة إلى المصادر الجغرافية ، ومن مرّ بها من الرحالة ليسهل على الباحثين الرجوع إليها والاستزادة .

كذلك شرحنا ما استغلق من المصطلحات والألفاظ اللغوية ، خاصة العثمانية منها ، بشكل يزيل اللبس ولا يشغل الهوامش ، وأشرنا إلى المصادر والمعاجم التي أخذنا عنها .

والحمد لله أولاً على ما يسّر لإنجاز العمل ، ولا بد لي في الختام من توجيه الشكر إلى العلامة الأستاذ إبراهيم شيوخ الذي حبّب إليّ - بتواضعه الجم وعلمه الغزير - تعاطي هذا النوع من التحقيق ، وللدكتورة هند أبو الشعر ، وللاستاذ الباحث أحمد صدقي شقيرات الذي زودني ببعض الخرائط والمصادر التركيبية . وللاستاذ عثمان عياصرة ، ولوظفي مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية ، على كريم عونهم ومساعدتهم . ونرجو من الله تعالى أن يخرج هذا العمل بالشكل الذي يخدم تراثنا الإسلامي ولا يسئ إليه ، لتعم به الفائدة والنفع .

والله الموفق ،

بسم الله الرحمن الرحيم  
 الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذكر البركات وبنعمته المعجزات  
 زينات ونسأل العزات وبرحمته تغزل العيون السجنت بأمثال  
 بعد الشكر وبرفته يفيض للفتاب العلقية التي بوصول اجين بعد الترتيب  
 من علي بن ابي طالب التي قد عرفت في طلبها وتواتر الآيات التي ادلها  
 واولاها مقاما باجسادها وان كبرها كما يكون بغيرها انعم كنبلا ولله يد  
 كبره وانما في مسيرها وانهدان لآله الامم وحده لا شريك له  
 وماذا تعرف بوجوب وجوده من غير ان يذكره وجوده وانهد  
 ان سجدنا له ايمان وزروده انعرف رساله وسيد عبادة وناهم دينه  
 فير وصاحبته بحجبه صلي الله عليه وعلى آله واصحابه اجمعين  
 وجوده اعز من صفة الله على ان الله اوتى عزيمته بسفره ذات جلي  
 بسجودها ارب عن شري بل مطالب اسفره فبما بين  
 ابره فمن من سجد في ذنوبه فقدت به ضبط ما ورد الرحمة الرومية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي سخرتم الصالحات وندرا البركات . وبنته تغفر الآثام وتزيل  
 ويرحمه يعر العيون المسحات بلم الشمل بعد الشتات . وبرأفة يحصل للقادر العفو والصفح  
 بوصل كمثل عبد البنات . احمد على توافر نعمه التي مدها علينا ظلالها . وبوالعزم  
 التي اولاهها واولاهنا ما ورجلها . واستكبر شكر المومن بزيد النعم كعبلا . ولديده  
 الكرم الوافر الوافي بسلا . واستغفر ان لا اله الا الله وحده لا شريك له . ومن عرف  
 بوجوده وحده . معترف من بحار كرمه وحون . واستمدان بين بحر اعبدوا ورسوله اشرف  
 رسله وسيد عباده . وناصر دينه القيم وصاحب لواء حميد . صلى الله عليه وسلم على آل  
 واصحابه واتباعه واشياعه وجنود . ما عرفت هه امره على اقامة او عهد عرفت بسفر  
 وما قبل ضيق بلوغ المآرب عن شرى ليل المطالب وسفر انا بعد هذا  
 تمليق . ابنه عون من الله تعالى وتوفيق . فصدت به صنطه موارد الرزقة الرزينة  
 وذكر مساهد الوجه الشمالية . والتسوية باثنا بعض من جمعت به الرجل من الامم النبوية  
 ذوى الحمقى والرسوخ . مراعى . وطلان . واصدقا واخوان . ما بين اقران سبلا .  
 واعيان كجلاء . وتلاميذ فضلا . زادهم الله على وعلا . وسر اركان دوله ملك العسيلة  
 وقطب الدين التي بالعلم محيطه . ظل الله في الارض . انما ذل الامم في الطول منها والتميز  
 ملاء البرين والبحرين والعراقين وحامى الحرمين الشريفين . سلمان الزمان . واشهد في العم  
 والاولان . السلطان بيها خان ابن عثمان . اذ اذلت مشرك الاوثان والاله  
 الالهة مشعرا سلطانة صلح الفجار . ولا زالوا هم مقبيل في دولة ميزان العدل العسيلة  
 متفاضلين متفقسين في نضرة الحى واعلاء كلمته على احسن نظام . وانسب نمطه مظفر  
 ذكر بعض نفع الله تعالىه من مشور ومنظوم . ومهمات لطيفة مرعوا فضل العلوم وقد  
 بالمطالع البذرته في المنازل الرومية . والله ما ارشادنا او حلال  
 لوجه الكرم خالصا . وان يظلمنا بظلم العيم حيث يكون الظلم بالما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ كَتَبْتُ  
لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ وَتَقَدَّرَ الْبَرَكَاتُ وَوَسَّعَتْ  
تَعَضُّرُ النَّزَلَاتُ وَتَقَالُ الْخَيْرَاتُ وَبِرَحْمَتِهِ تَقَرُّ الْعَيْونُ السَّمْعَاتُ  
بِالْشَّمْلِ بَعْدَ الشَّمَاتِ وَبِإِفْتِهِ يَحْصُلُ لِلْقُلُوبِ الْقَلْقَبَةُ  
الشَّيَاتُ وَبِوَصْلِ الْحَبْلِ بَعْدَ الْبِتَاتِ أَحْمَدٌ عَلَى تَوَافُرِ  
نِعْمَانِهِ الَّتِي مَدَّهَا عَلَيْنَا ظِلًّا ظَلِيلًا وَتَوَاتُرِ الْآثَمَةِ الَّتِي  
أَلَاهَا وَالْأَهَامُ مَقَامًا وَرَحِيمًا وَاشْكُرْهُ شُكْرًا يَكُونُ  
تَعْبِيرًا لِلنِّعَمِ كَيْفِيَّةً وَوَلَدِيدًا لِلْكَرَمِ الْوَافِرِ الْوَافِي مَنِيَّةً  
وَاشْكُرْهُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مَعْتَرَفَةً  
بِوَجُوبِ وَجُودِهِ مَعْتَرَفَةً مِنْ جَارِكٍ مَعَهُ وَجُودِهِ  
وَاشْكُرْهُ أَنْ سَيِّدَنَا عَمْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَشْرَفَ رُسُلِهِ  
وَسَيِّدَ عِبِيدِهِ وَنَاظِرَ دِينِهِ الْقِيمِ وَصَاحِبَ لُؤْلُؤِ  
تَحْمِيدِهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتِّبَاعِهِ  
وَأَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ مَا عَزَمْتَ هَمَّهُمْ عَلَى إِقَامَةِ  
أَوْهَمْتَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه اكتفي

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتدر البركات ، وبمئته تُغْفَرُ الزلات وتُقَال العثرات ، وبرحمته تَقَرَّ العيون السخِنَات ، بلمَّ الشُّمْل بعد الشتات ، وبرأفته يحصل للقلوب القلقة الثبات ، بوصل الحبل بعد البتات ، أحمدته على توافر نعمائه التي مَدَّها علينا ظلاً ظليلاً ، وتواتر آلائه التي أولاهها ووالاهها مقاماً ورحيلاً ، وأشكره شكراً يكون بمزيد النعم كفيلاً ، ولמידد الكرم الوافر الوافي منيلاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة معترف بوجوب وجوده ، مغترف من بحار كرمه وجوده ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أشرف رسله وسيد عبيده وناصر دينه القيم وصاحب لواء تحميده ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ وجنوده ، ما عزمت همة امرءٍ على إقامة ، أو همت عزيمة بسفر ، وما تجلَّى صبح بلوغ المأرب عن سُرى ليل المطالب وسَفَر ، أما بعد .

فهذا تعليق ، أبرزه عون من الله تعالى وتوفيق ، قصدتُ به ضبط موارد الرحلة الرُّومِيَّة [2] ، وذكر معاهد الوجهة الشُّمَالِيَّة ، والتنويه بأسماء بعض من جمعتنا به الرحلة من الأئمة الشيوخ ، ذوي التحقيق والرسوخ ، من أصحابِ وِخْلَانٍ وأصدقاء وإخوان ، ما بين أقران نبلاء ، وأعيان كماء ، وتلامذة فضلاء ، زادهم الله عِلْماً وعملاً ، ومن أركان دولة ملك البسيطة ، وقطب الدائرة التي هي بالعالم محيطة ، ظل الله في الأرض ، النافذ الأمر في الطول منها والعرض ، ملك البرِّين والبحرين والعراقين ، وحامي الحرمين الشريفين ، سليمان الزمان وإسكندر العصر والأوان<sup>(1)</sup> السلطان سليمان خان بن عثمان ، لا زالت شمس ملكه مشرقة الأنوار ، والدنيا لابسة من شعار سلطانه حُلل الفخار ، ولا زالوا هم مقيمين في دولته ميزان العدل بالقسط ، متعاضدين متفقيين في نصرة الحق وإعلاء كلمته على أحسن نظام وأنسب

(1) إسكندر العصر والأوان : من الألقاب السلطانية ، والمراد بالإسكندر هنا الإسكندر بن فيلبس اليوناني

وهو الذي يؤرِّخ بظهوره على الفرس وغلبته إياهم . انظر : صبح الأعشى 6 : 35 .

شمط ، مطرزاً حلتة بذكر بعض ما فتح الله تعالى به من منشور ومنظوم ، ومهمات لطيفة من غوامض العلوم ، وقد سمته «بالمطالع البدريّة في المنازل الرّوميّة»<sup>(1)</sup> ، والله تعالى أسأل أن يجعله لوجهه الكريم خالصاً ، وأن يظلنا بظله العميم حيث يكون الظل قالصاً بمنه ويمنه ، [٢ب] وفضله وطوّله ، فأقول مستعيناً بالله سبحانه ، ومؤملاً فضله وغفرانه ، ومتوكلاً في كل أحوالي<sup>(2)</sup> عليه ، ومفوضاً جميع أموري إليه : إنني استخرت الله تعالى - وما خاب من استخاره<sup>(3)</sup> - واستشرت كما أمرت من هو أهل للاستشارة ، في السفر إلى البلاد الرّوميّة قاصداً محل تحت المُلْك مدينة قُسطنطينيّة<sup>(4)</sup> لأمرٍ اقتضى ذلك ، وأجأ إلى سلوك هذه المسالك في مدينة دِمَشق الشّام ، بعد فراق روحها سيّدي الوالد شيخ الإسلام ، حين نصب المعين ، وفقد المعين ، وخان الأمين ، ومَآن<sup>(5)</sup> من لم نعهده ، يمين وقلّ الناصر ، وعزّ المواصر ، وخذل المؤازر ، وصدت الإخوان ، وندت الخلان ، وافتضح من ذلك الخطب اليسير ، من مدعي الصّحبة والأخوة خلق كثير بحيث : [مجزوء البسيط]

لم يبقَ صافٍ ولا مـصافٍ  
ولا مُعِينٌ ولا مُعِين  
وفي المساوي بدا التساوي  
فلا أُمِينٌ ولا يمين

(1) ذكر نجل صاحب الرحلة أنّ هذه التسمية من أطفاف السيد عبد الرحيم بن أحمد بن بدر الدّين العباسي . انظر : الكواكب السائرة 2 : 163 .

(2) وردت في (ع) : «أحوال» .

(3) وردت في (ع) : «استجاره» .

(4) القُسطنطينيّة (إسلام بول = إستانبول) : وهي في الأصل «بيزنطة» القديمة ، جعلها قسطنطين الأكبر عاصمة له بدلاً من روما ، ولذلك كانت تسمى : «روما» الجديدة أو «تخت الروم» ، وفتحها العثمانيون سنة 857هـ ، وقد عرفت بأسماء كثيرة منها : «إسلام بول» أي مدينة الإسلام ، الإسلام الكبير ، مدينة السلام ، ثم أصبحت هذه الكلمة فيما بعد إستانبول (اسطنبول) ، وعرفت أيضاً باسم الاستانة ومعناها : «التكية الكبرى» ، ودار السعادة ، والدار العلية ، ودار الخلافة .

(5) ما نَ يَمِينُ مَيْناً : كذب فهو مائن أي كاذب (لسان العرب 13 : 426) .

فضاقت الأرض والنفس والمعيشة ، وناوشت كلاب المزابل أسد<sup>(1)</sup> بيشة ، فتعينت  
الرحلة عن المملكة فضلاً عن البلد ، وحسنت مفارقة النفس فضلاً عن [أ3] الأهل  
والولد : [من البسيط]

ولا يقيمُ على ضَئيمٍ يسامُ به  
إلا الأذلانَ عَئيرَ الحَيِّ والوَتيدُ  
إنَّ الهَوانَ حَمَارُ الدارِ يَألفُهُ  
والحَرَّ يَنكرُهُ والفيلَ والأسدَ<sup>(2)</sup>  
هذا على الخسف مربوطاً برؤيته  
وذا يُشجُّ فلا يرثى له أَحَدٌ<sup>(3)</sup>

فاستعدتُ بالله من العجز والكسل ، ورفضتُ التعلل بعسى ولعل ، ولبستُ  
جلباب العزم ، وامتنيتُ مطية الحزم<sup>(4)</sup> ، وأدخلتُ على معتل التواني حرف الجزم ،  
وجزمتُ على ترك الدعة والسكون أي جزم ، وأخذتُ في إعداد الأهبة وارتباد  
الصحبة ، إلى أن كمل الاستعداد ، وحصلت الراحلة والرفقة والزاد ، وخرجت من  
مدينة دمشق المحروسة ، ومن المنازل والديار المأنوسة ، عصر يوم الاثنين المكرم ، ثامن  
عشر شهر رمضان المعظم ، سنة ست وثلاثين وتسعمائة ، وصحبني من الخدم والرفاق  
والأصحاب فئة صحبة قاضي القضاة ولي الدين ابن الفرفور<sup>(5)</sup> ، (وقد حصل عنده

(1) وردت في (ع) : «أسد» وبيشة مأسدة معروفة وتسمى بيشة السماوة قال الشاعر :

بمها أنا أسد بيشة أوليوتُ بعثر أو متازلها بواء

انظر : معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري 1 : 282 ، 294 .

(2) أضيف هذا البيت على الهامش في (م) وسقط من (ع) .

(3) الأبيات في محاضرات الأدباء 2 : 611 ومعاهد التنصيص 2 : 306 . منسوبة للمتلمس .

(4) سقطت كلمة «مطية» من : (ع) ، وفي (م) : «مطية الجزم» .

(5) محمد بن أحمد ، ابن الفرفور ، قاضي القضاة ، توفي مسجوناً بقلعة دمشق سنة 937 هـ انظر ترجمته

في : در الجيب ج2 ق1 : 135-138 ، الكواكب السائرة 2 : 22- ، شذرات الذهب 10 : 341 ، الشجر

البسام 180 ، 312 ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 5 : 450-

بصحبتني في الظاهر غاية السرور ، والله يعلم خافية الأعين وما تُخفي الصدور<sup>(1)</sup> ،  
 فوصلت معه إلى الأَسْعَدِيَّة والناصرية ، وهما بسفح جبل قَاسِيُون من الصَّالِحِيَّة<sup>(2)</sup> ،  
 ثم أرسلت معه إلى قرية دُمُر<sup>(3)</sup> [3ب] جماعة من الرفاق مع الأحمال ، وَعَن لي  
 الرجوع إلى الديار لقضاء مأرب وأشغال ، وأنشد لسان الحال فقال : [من الطويل]

أقول لصحبي حين ساروا ، ترفقوا  
 لعلِّي أرى مَنْ بالجَنابِ المنع  
 وأشم أرضاً ينبتُ العزَّ ترُيها  
 وأسقي ثراها من سحائبِ أدمعي  
 وينظر طرفي أين أترك مهجتي  
 فقد أقسمتُ أن لا تسيرَ غداً معي  
 وما أنا إن خَلَفْتها متأسفٌ  
 عليها وقد حلتْ بأكرمِ موضع  
 ولكن أخاف العمرُ في البين ينقضي  
 على ما أرى والشملُ غيرَ مجمَع  
 وأرجو إلهي أن يَمُنَّ بجمَعنا  
 قريباً بخير فهو أكرمُ من دُعي<sup>(4)</sup>

فوصلتُ إلى الدَّارِ آخر ذلك النهار ، والشمس كحبيب يودَع<sup>(5)</sup> حبيبه ، وقد عراه

(1) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(2) الصالحية : كانت قرية كبيرة من غوطة دمشق ، واليوم أحد أحياء دمشق وأكثر أهلها مهاجرون من

بيت المقدس . انظر : معجم البلدان 3 : 390 ، لطف السمر 1 : 19 ، صبح الأعشى 4 : 94 .

(3) دُمُر : عقبة دُمُر مشرفة على غوطة دمشق ، وتقع على بعد 4 كم غرب مدينة دمشق ، وهي من جهة

الشمال في طريق بعلبك . (معجم البلدان 2 : 463 ، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري 3 :

350) .

(4) الأبيات الأربعة الأولى في تاج المُفَرِّق 1 : 145 بلا عزو .

(5) وردت في (ع) : «تودع» .



من ألم الوداع اصفرار كما قيل : [من الطويل]

وَرُبُّ نَهَارٍ لِلْفِرَاقِ أَصْبِيْلُهُ  
وَوَجْهِي كَلَّا لَوَيْتَهُمَا مُتَنَاسِبٌ<sup>(1)</sup>

ثم فطرت في المنزل عل عادتي المألوفة ، وفطر عندي من الأصحاب جماعة لطيفة ، ثم احتفت بي الوالدة والأولاد ، وتشاكينا حرارة الأكباد ولهيب الفؤاد ، وأنشدت بلسان الحال قول من قال <sup>(2)</sup> [4] : [من البسيط]

غَدَا أُوَدِّعُ قَوْمًا أُوَدِّعُوا كَبْدِي  
نَارًا ، وَعَهْدِي بِهِمْ بَرْدًا عَلَى الْكَبْدِ  
أُبْدِي التَّجَلُّدَ أَحْيَانًا فَيُبْهَرْنِي  
رَيْقٌ يَجْفُ وَخَدٌّ بِالذَّمْعِ نَدِي  
لَمْ أُنْسْ<sup>(3)</sup> يَوْمًا تَنَازَعْنَا حَدِيثَ نَوَى  
وَقَوْلَهَا وَهِيَ تَبْكِي : أَهْ يَا سِنْدِي<sup>(4)</sup>  
كُنَّا إِلَى الْقَرْبِ أَخْلَدْنَا فَنَقُصَّهُ  
هَذَا الرَّحِيلُ الَّذِي مَا مَرُّ فِي خَلْدِي

ثم خرجت إلى مدرسة الكامليّة ، وتمشيت<sup>(5)</sup> ومعني ولدي أحمد<sup>(6)</sup> - أنشأه الله

(1) وردت في الأصل : «مناسب» . والبيت في معاهد التنقيص 2 : 95 بلا عزو .

(2) وهو أبو نصر سعيد بن الشاه وأبياته في معاهد التنقيص 3 : 170 .

(4) وردت في (م) : «يا ولدي» وكتب بالهامش «يا سندي» . وفي معاهد التنقيص : «خانني جلدي» .

(3) وردت في (ع) : «لا أنس» .

(5) وردت في (ع) : «ومشيت» .

(6) ولد بدمشق سنة 931هـ ، وتلقى تعليمه الأول على والده ثم على يد جماعة من علماء الشام ومصر ،

ورولي إمامة الشافعية بالجامع الأموي ، توفي في حياة والده سنة 983هـ (انظر ترجمته في : الكواكب

السائرة 3 : 100) .

تعالى- في جامع بني أمية ، فصار لا يفارقني لحظة ، ويعيرني في كل ساعة لحظه ،  
وقلت : [من البسيط]

لم أنسَ يومَ الفراقِ المرَّ حينَ دنا  
والقلبُ باكٍ وطرفُ العينِ منبهتُ  
ونورَ عيني المَفدى أحمدَ ولدي<sup>(1)</sup>  
يمشي قليلاً أمامي ثم يلتفتُ

ثم أُسْرِجَت في الكاملية على عاداتها الشموع والمصابيح ، وصليت فيها مع جماعة  
من الأصحاب صلاة التراويح ، ثم بتُ تلك الليلة في قلق وألم ، واستيقظت أواخر  
الليل فإذا والدتي عند رأسي لم تنم : [من الطويل]

أتغلبني عيني ليلة بيننا  
ووالدتي من شدة الوجد لم تنم  
أمن قسوة هذا أم الكرب غامرُ  
قلبي مما حلَّ فيه من الألم [ب4]

أي والله إنَّ القلب لشديد الاحتراق ، موقن من الكرب بأشد الوثاق ، مشخن  
بجراحات الفراق : [من الطويل]

خليلي لا والله ما القلبُ سالمٌ  
وإن ظهرتُ مني مخايلُ صاحي  
والأفما بالي ولم أشهد الوغا  
أبيتُ كأنني مُشخنُ بجراح<sup>(2)</sup>

فتهيأت حينئذ للصلاة بعد الطهور ، وتناولت مما حضر من السحور ، وتعلّيت بوجه

(1) ورد صدر البيت في (م) و (ع) : «ونور عيني وقلبي أحمد ولدي» .

(2) البيتان في معاهد التنصيص 3 : 31 وتاج المفرق 2 : 104 بلا عزو .

الوالدة والأولاد بقية تلك الليلة ، في تلك السويعات اليسيرة القليلة إلى أن أذن داعي  
الفلاح ، ولمع الفجر بضياؤه ولاح ، وسطع وجه المحجة وبان ، فتصدّع الشمل حينئذٍ  
وبان : [من الكامل]

قالوا الرحيلَ وما تملّت باللقا  
عيني ولا امتلأت بغير مدامعي  
فتيقنت روعي بأن مقالهم  
أن يصدق الحادي أشدّ مصارع<sup>(1)</sup>

فيا لله ما أله الصباح من عوائد الفراق ، وما أثره في الأكباد من الانفلاق ،  
وقلت : [من مخلّع البسيط]

أقول للصباح حين أجرى  
عوائداً منه بالفراق  
لا أشكر السعي منك حتى  
تكون لي رائد التلاق

ولما بلغ مولانا المقر<sup>(2)</sup> الكريم ، شيخ المسلمين السيّد عبد الرحيم<sup>(3)</sup> هذان البيتان  
[15] ، أنشدني لنفسه في هذا الشأن قوله : [من البسيط]

(1) البيتان في تاج المفرّق 2 : 11 .

(2) المقر : لقب يختص بكبار الأمراء والعلماء وأعيان الوزراء وكُتّاب السر ومن يجري مجراهم . انظر :  
صبح الأعشى 5 : 494 .

(3) هو بدر الدّين أبو الفتح عبد الرحيم بن أحمد العباسي الشافعي ، كان ملازماً لجد المؤلف ، وكان قد  
استضاف المؤلف في القسطنطينية سنة 937هـ ، ثم سيأتي تفصيله في هذه الرحلة ، وكانت وفاته في  
سنة 963هـ . انظر : الشقائق النعمانية 246 ، حدائق الشقائق 410 ، الكواكب السائرة 2 : 161 ،  
شذرات الذهب 10 : 486 - .

إن يكن للصباح فضلٌ على الليل  
بتنويره<sup>(1)</sup> دجى الأحلاكِ  
فله في تفرقِ الشمليِّ فعلٌ  
لم تَسْفِه دوائرُ الأفلاكِ

ثم نهضت إلى صلاة الصبح ، مؤملاً من الله تعالى الصلاح والنجاح ، ثم لما  
ابتسم وجه الصباح وسفر ، شددت<sup>(2)</sup> عليّ باكياً أهبة السفر : [من الكامل]  
عَجَباً لِقَلْبِي يَوْمَ رَاعَتْنِي النَّوَى  
وَدَنَا التَّفْرِقَ كَيْفَ لَمْ<sup>(3)</sup> يَتَفَطَّرِ<sup>(4)</sup>

ثم طافت بي الأحباب للوداع ، وتعيّن العزم على الإزمام ، فودّعت الوالدة والأولاد  
وسائر<sup>(5)</sup> الأهل ، وتجرّعت من ذلك ما ليس بالعذب ولا بالسهل ، فما منهم إلا من  
لزمني وانتحب ، فما أحقّ المتلازمين منا بقول بعض العرب<sup>(6)</sup> : [من الكامل]  
بَاتَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ حَتَّى بَدَا  
صُبْحٌ تَلُوحٌ كَالْأَغْرِ الْأَشْقَرِ  
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً  
أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُفْسِرِ

(1) وردت في (م) و (ع) : «تنوير» .

(2) وردت في (ع) : «سددت» .

(3) وردت في (م) : «لا» .

(4) البيت في تاج المفروق 2 : 12 بلا عزو . وفي مطمح الأنفس (180) منسوبة للوزير الكاتب عبد الملك

ابن إدريس الخولانيّ الجزيريّ .

(5) في (ع) : «وشام» .

(6) البيتان في معاهد التنصيص 3 : 175 منسوبة للشاعر العرجيّ .

والأولاد إذ ذاك ثلاثة ، كل منهم في أول سنّ الحداثة ، أكبرهم لم يبلغ السبع<sup>(1)</sup> ولا عرف الضرّ والنفع ، وهم يكون ويتعللون بالمحال ، وينشدون [هـ] بلسان الحال :  
[من المتقارب]

أيا أبتا لا<sup>(2)</sup> تَرْمُ عندنا  
فلنا بخير إذا لم ترم  
نخاف إذا أضمرتك البلا  
دُجفنى ويُقطع عنا الرجم<sup>(3)</sup>

واندفعت في سرّي منشداً والدموع تستوقف القطار<sup>(4)</sup> ، وتستوكف الأمطار<sup>(5)</sup> وتبلّ تلك الأقطار ، والقلب في وّله وعدم إشعار ، عمّا عليه من إنشاد أشعار ، فقلت<sup>(6)</sup> :  
[من السريع]

ودعتُ قلبي يومٍ ودعتُهم  
وقلتُ للنوم انصرف راشدا  
وقلتُ للأفراح عنّي ارحلي  
حتى تريني لهم شاهدا

(1) في (ع) : «الشيء» .

(2) هكذا وردت في جميع النسخ ولعل صوابها : «ألا» كي يستقيم المعنى لكن يختل الوزن .

(3) هذه الأبيات قالتها بنت الأعمى :

أبانا فلا ريت من عندنا فلنا بخير إذا لم ترم  
ترانا إذا أضمرتك البلا دُجفنى ويُقطع منا الرجم

انظر : بغية الوعاة 1 : 465 .

(4) القطار : السحاب الكثير القطر أي المطر .

(5) في (ع) : «والدموع مستوقف القطار ، ومستوكف الأمطار» .

(6) في تاج المفرق (1 : 144) : ودعت قلبي يوم ودعتهم وقلت يا قلبي عليك السلام

وقلت للنوم انصرف راشداً فلان عيني بعدهم لا تنام

وكان لذلك الوداع موقف مشهود ، ينثر فيه من الدمع لؤلؤ منضود ، وينظم عقوداً  
في نواحي الحدود ، وقلت : [من الخفيف]

موقوفٌ للوداع ينثر فيه  
درر نظمت من الأماق  
كونت مثل وجدنا في اجتماع  
وبدت مثل شملنا في افتراق

وقد أسرجت الفوانيس والخيول ، وألجمت الأفواه بما أجرت العيون من السيول ،  
وطاشت الأبواب وذهلت العقول من توادع الأحباب ، وصبرنا على ما هو أمرٌ من  
الحين<sup>(1)</sup> من معالجة شدة البين : [من الكامل]

من لم يكن أخذ الهوى بفؤاده [6أ]  
فلقد أخذت من الهوى بنصيب  
فرأيت أن أشد كل بلية  
قضيت على أحد فراق حبيب<sup>(2)</sup>

\*\*

[من الكامل]

ولقد نظرت إلى الفراق فلم أجد  
للموت لو فقد الفراق سبيلاً

\*\*

ثم ركبت الجواد بعد أن استودعت الله تعالى جميع الأهل والوالدة والأولاد<sup>(3)</sup>  
ولقد أصابني بفراقهم ما أنه : [من البسيط]

(1) الحين : الموت والهلاك .

(2) البيتان في تاج المفرق 2 : 92 بلا عزو .

(3) في (م) : «وأولاده» .

لو كَانَ بالفلك الدوَار لم يَدُر  
أو كَانَ بالماء لم يُشْرَب من الكدرِ  
أو كَانَ بالعيس ما بي يوم فرقتهم  
أعيت على السابق الحادي فلم يَسِر<sup>(1)</sup>

وصحبت معي من الكتب النافعة في الأسفار بعض أجزاء وأسفار، وخرجت من المدينة وقت الإسفار، وصحبني جماعة من الأصحاب للوداع، وأسرعنا في السير قبل أن يتكاثروا غاية الإسراع، هذا والدموع لا ينحبس<sup>(2)</sup> وتبُّها إلا وأخلفه ظلُّها، وكلما أفرغ ذنوبها امتلأ سَجَلُها، والجوانح<sup>(3)</sup> لا يهمد وقد ضرامها، إلا وأخلفه<sup>(4)</sup> حرَّ أوامها، ولا يخمد تاجع نيرانها إلا وأردفه توهج دخانها، والشوق بالأحشاء عابث ويجوانب الضلوع<sup>(5)</sup> عابث، والقلب من اضطراب أهوائه خافق، وغراب البين يبعد الأحبة ناعق، وسرنا سير مُشْمَعِل<sup>(6)</sup> نظوي البيد كطي السجل، [٦ب] فوصلنا بعد تعالي الصباح وارتفاع الشمس قيد ثلاثة<sup>(7)</sup> رماح إلى المنزل المقرر، وهو قرية ابن قُرْقُور دُمُر، وهي قرية كبيرة كثيرة الخيرات وافرة الغلات طيبة النبات، فنزلنا بها بمرج لطيف، بديع التدبيج والتفويف، ذي عَرَفٍ أعطر، وربيع أزهر، من عُشْبٍ أخضر، وأقحوان أصفر، وشقيق أحمر، وغير ذلك مما هو عجيب التلوين غريب التكوين، وقد حفَّ به من غالب جوانبه نهر بَرْدَى وهو أكبر أنهار الشَّام وأكثرها مددا<sup>(8)</sup> بل هو أصل

(1) البيتان في تاج المُفْرَق 2 : 92 بلا عزو .

(2) في (ع) : «تنحبس» .

(3) في (ع) : «الجوايح» .

(4) في (م) و (ع) : «وأعقبه» .

(5) في (م) و (ع) : «الظلوع» .

(6) المُشْمَعِل : السريع يكون في الناس والإبل . (لسان العرب 11 : 372) .

(7) وردت في جميع النسخ : «ثلاث» والصواب ما أثبتناه .

(8) في (ع) : «وأكثرها مددها» .

الأنهار ومَصْرِفِهَا وأوسعها وأسرعها<sup>(1)</sup> وأشرفها ، يسقي ما لا يُحصى من القرى ،  
ويسدّ عند كل قرية ثم يعود كما كان نهراً . فهو من المِنِّ الغزيرة ، ومن الأعاجيب  
الشهيرة ، كما قيل : [من الكامل]

نَهْرٌ يَسِيلُ كَمَا يَذُوبُ نُضَارُ  
وتدور في أيدي السُّقاة عُقَارُ  
فإذا استقام فصارم دامي الطُّبَا<sup>(2)</sup>  
وإذا انحننا جنباً به فسوار  
مفرووقُ التيار ملتطم كما  
خفقت بظهر<sup>(3)</sup> مهب ربح نار  
أخْمَرُ وأخضِرُ النبات بشطه  
فكأنّ ذا خُددٌ وذاك عِذار<sup>(4)</sup> [أ7]

وكما قيل : [من الكامل]

نَهْرٌ يَهِيمُ بِخُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهْمُ  
وُجَيْدٌ فِيهِ الشَّعْرُ مَنْ لَمْ يَشْفُرِ  
ما اصفرَّ وجهُ الشمسِ عند غروبها  
إلا لفُرْقَةٍ خُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ<sup>(5)</sup>

ومن أحسن ما قيل في وصف نهر عند الأصيل قول عبد الله بن شارة الإشبيلي :

[من الكامل]

- 
- (1) في (ع) : «وأشرعها» .  
(2) وردت في الأصل «الضبا» والتصحيح من (م) و (ع) .  
(3) في (م) و (ع) : «بظهر» .  
(4) الأبيات في تاج المفرق 1 : 163 - بلا عزو .  
(5) البيتان في تحفة القادم 82 منسوبة لابن مرج الكحل ، وفي معاهد التنصيص 3 : 77 وتاج المفرق 1 :



النهرُ قد رَقَّتْ غِلَالُهُ صَبِغُهُ  
وعليه من ذهب الأصييل طرازُ  
تترَقِّقُ<sup>(1)</sup> الأمواجُ فيه كأنها  
عُكِنُ الخُصُورِ تهزُّها الأعجازُ<sup>(2)</sup>

فأقمنا بذلك المنزلَ نهارَ الثلاثاءَ تاسعَ عشرَ شهرِ رمضانَ بالتمامِ ، فيا له من يومٍ ما  
كان أطولَه ، وأحلقَه بقول أبي تمام<sup>(3)</sup> : [من الكامل]  
يومَ الفراقِ لقد خُلِقْتَ طويلاً  
لم تُبْقِ<sup>(4)</sup> لي صبراً ولا مَفْقُولاً

وما أحسن ما قال بعده : [من الكامل]  
لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ  
إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى الْنَفُوسِ سَبِيلاً  
قالوا : الرحيلُ ، فما شككتُ بأنه  
نَفْسٌ عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلاً

وفي معناه قول المتنبي<sup>(5)</sup> رحمه الله تعالى : [من البسيط]  
أخِيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا  
وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضُغْفِي وَمَا عَدَلَا

(1) البيتان في حسن المحاضرة 2 : 399 ونسبها الشبوطي إلى إبراهيم بن خفاجة الإشبيلي وليست في

ديوانه ، وفي نهاية الأرب 1 : 283 نسبها النويري إلى أبي مروان بن أبي الخصال .

(2) في (ع) : «تته قرق» .

(3) الديوان 215 ، ومعاهد التنخيص 4 : 51 .

(4) في (ع) : «لم يبق» .

(5) الديوان ص 17 ومعاهد التنخيص 4 : 51 .

والوجدُ يَقْوَى كما يَقْوَى النوى أبداً  
والصَبْرُ يَنْحَلُّ في جسمي كما نَحَلَّ [ب7]  
لولا مُفَارَقَةُ الأَخْبَابِ ما وَجَدتْ  
لها المَنَايَا إلى أَرْوَاحِنَا<sup>(1)</sup> سُبُلًا

فلم أزل أتقلّب بجمر ذلك النهار، وأجاري ذلك النهر من دموعي بأنهار، أكنُ من  
الوجد ما غاية الثكلى تكته، وأبدي من الحنين ما لا تطيق الجوانح تُجِنُّه: [من  
الطويل]

فلله كم من لوعة كنت كاتماً  
لها خيفة العذّال نَمَّ بها دمعي  
إذا كان من عيني على ما تُكْتَنُه  
ضلوعي من الأسرار عين فما صنعي

وقد بَرَّح الخفا بما أخفيه من البُرْحاء<sup>(2)</sup>، ونزحت أرشية جفوني مياه عيوني بيد  
البكاء: [من الطويل]

أهدا ولما تمض للبين ليلة  
فكيف إذا مرّت عليه شهور<sup>(3)</sup>

فما انقضى ذلك النهار، وحلّ من الصوم الإفطار، إلا وقد أشرفت النفس على  
الزُهوق والقلب على الانفطار، ثم أقمنا من ليلة الأربعاء أطول الليال إلى مقدار حد  
الوصية من المال<sup>(4)</sup>، فما كان أقصر ليلة الثلاثاء وأطول ليلة بعدها، فيا لها من ليلة ما

(1) في (ع): «روضائه».

(2) في (ع): «الرجاء».

(3) البيت مذکور في تاج المَفْرُق 1: 146 بلا عزو.

(4) وهو الثلث.

أخفها يتلوها ليلة ما أشدها كما قيل : [من الكامل]

إِنَّ اللَّيْلِيَّ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلُ  
تُطَوَّى وَتُنْشَرُ بَيْنَهَا الْأَغْمَارُ  
فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ  
وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السَّرُورِ قِصَارٌ<sup>(1)</sup> [18]

فلما طلع القمر ، وسطع نوره وانتشر ، ومدَّ بساطه الأزهر على ذلك الزهر ، وصقل نور ضيائه صداد ذلك النهر ، عزمنا على الترحال ، وشددنا الأحمال على البغال ، وودعنا من الأصحاب من بقي وأنشدناهم إن نعش نلتقي ، وسرنا وقلبي يتوقَّف عن اللحاق ، ويتخلف عن الرفاق ، ويتخوف من فرق الفراق بعد فرح التلاق : [من الطويل]

ولولا الترجي للمحبين لم تكن  
قلوبهم يوم النوى تعمم الصِّدرا<sup>(2)</sup>

واستمر بنا<sup>(3)</sup> السير من ذلك الوقت إلى وقت الغداء ، وجزنا في خلاله بوادي بَرْدَى ، وهو واد أفيع<sup>(4)</sup> كثير الأشجار ، بعيد القرار عظيم المقدار ، عديم المائل والنظير ، ذو مرأى حسن ومنظر نظير ، يحف كل قطر منه بستان ، ويدور بجنباته نهر بَرْدَى كالشعبان ، قد بسطت يد السماء به بُسْطاً سُنْدُسيَّة ، وطرحت عليه<sup>(5)</sup> مطارح بالزهر موشية ، وقد جرَّ عليه النسيم بعد ذلك ذيوله ، وأجال بميدانه خيوله ، واستنطق أطياره ، وشقق أزراره ، وأفشى أسراره ، وأذاع رنده وعَرَّاره ، وفضض نُوارَه ، وذهب

(1) الأبيات موجودة بلا عزو في نهاية الأرب 1 : 134 وتاج المفرق 1 : 173 .

(2) سقط هذا البيت من (ع) ، وهو في تاج المفرق 1 : 294 بلا عزو .

(3) وردت في (ع) : «واستمرينا» .

(4) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(5) سقطت هذه الكلمة من الأصل ومن (ع) وأثبتنا ما في (م) .

أزهاره [8ب] ، ونثر درهمه وديناره ، وحيًا ورده وُبهاره ، و صافح آسه و جُلناره ، وأطاب تنأه وأخباره ، وأمالت بنشأتها قدوده ، وأخجلت<sup>(1)</sup> بقبلتها خدوده ، و حشّدت<sup>(2)</sup> جنوده ، و حشرت بيضه وسوده ، ونشرت<sup>(3)</sup> ألويته وبنوده ، وملاّت تهائمه و مجوده ، ونظمت جواهره وعقوده ، وأعطت<sup>(4)</sup> موائيقه وعهوده : [من الطويل]

محلُّ كأنَّ الشمسَ تخجلُ كلما  
نضتْ ثوبها عن معطفيه مغيبا  
تنم رياح الخلد منه لأهله  
ويطفح تسنيم ويرشح طيبا<sup>(5)</sup>

ثم جزنا بأعين الثوت<sup>(6)</sup> وهي في أمر مريح<sup>(7)</sup> ، وشهيق وعجيج ، وزفير ونشيج ، ولغظ وضجيج ، واضطراب والتواء ، واعوجاج واستواء ، وشكوى بما صنعته يد النوى ، وما أثارته وأثرته شدة الهوى ، (ولم نزل)<sup>(8)</sup> نجد في السير ولا نرفق ، حتى نزلنا تعالي النهار من يوم الأربعاء عشرين شهر رمضان بمنزلة خان الفتدق<sup>(9)</sup> على عين ماء بارد

(1) وردت في (ع) : «وأمجلت» .

(2) وردت في (ع) : «وحدت» .

(3) وردت هذه العبارة في (ع) : «وحشرت بيضه وشهوده وسدت ألويته ...» .

(4) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(5) البيتان في تاج المفرق 1 : 245 بلا عزو وورد هذان البيتان في (ع) :

الشمس تخجل كلما بها عن معطفيه مغيبا الخلد منه لأهله تسنيم ويرجح طوبى

(6) وردت في (ع) : «باعن الثوت» .

(7) وردت في الأصل و (ع) : «مريح» ، وما أثبتناه من (م) والمريح : اللتوي الأعوج ، وفي القرآن : ﴿فهم

في أمر مريح﴾ انظر : لسان العرب 2 : 365 .

(8) ما بين القوسين ساقط من الأصل وأثبتنا ما في (م) و (ع) .

(9) ويسمى خان العروس ، وهو من بناء صلاح الدين الأيوبي ، وعليه كتابة فوق بابه تسميه بالفندق ،

وتاريخ بنائه سنة 577هـ . انظر : رحلة الخياري (الهامش) 1 : 178 .

عذب غدق يغدق ، فأقمنا به ريشما نستريح ، ونزيع<sup>(1)</sup> - نل أنرفاق والدواب ونريح ،  
ثم ترحلنا منه عندما حان وقت الزوال [9أ] وامتد الظل ومال ، وكان ذلك اليوم أطول  
من ظل القناة ، وأحرّ من دمع المقلاة ، وسرنا والقَيْظُ يشْتدُّ - تره ، والهجمير يتلظّي  
جمره ، إلى أن وافينا وادي الزُبْدَانِيّ ، وقد أعرس بالورد وتزّين بالعَرَّار والرند ، واطردت  
جداوله أي طرد ، وفاح نسيمه المنعش للروح بالطيب والبرد ، فتلقانا أهله بحُزم الورد  
النصيبي ، ووَفَّرَ منه ذلك اليوم حظّي ونصيبي ، وقلت : [من المجتث]

جُزْنَا بِقُومِ كِـــرَامِ  
وَأَفُوا بِوَرْدِ نِصِيبِي  
فَأَجَزَلُوا مِنْهُ حَظِّي  
وَمِنْهُ وَقُوا نِصِيبِي

فيا له من واد ما أحلاه وأملحه ، وأنسحه وأفيحه وأفوحه ، كأن رياضه سماء زُينت  
بالزواهر ، أو قبابُ زمرد رُصِّعت من الدر والياقوت بأنفس الجواهر ، أو عذارى تتجلّى  
في حلل سندسيّة باسطة أكفها للتسليم ، أو مهدية أقداحاً ختامها مسك ومزاجها  
من صفاء التسنيم ، فتركنا عشه ودرجنا ، وما عجنا على غير المسير ولا عرجنا ،  
فوصلنا قرية صرغايا<sup>(2)</sup> أصيل ذلك اليوم ، فنزلنا في أحسن المنازل بخلاف بقية القوم  
في أرض خضرة ، بين مياه خصرة وأزهار عطرة ، وأشجار نضرة ، وجورات<sup>(3)</sup> [9ب]  
تميس بقدود الحور ، وتتستر<sup>(4)</sup> بالأوراق تسترها بالشعور ، وحمائم تترنم على أعواد  
الغصون ، وتبدي فنون الأشواق والشجون ، كما قيل : [من الكامل]

تَشَدُّوا بِعَيْدَانِ الْأَرَاكِ حَمَائِمُ  
شَدُّوا الْقِيَانَ عَزْفَنَ بِالْأَعْوَادِ

(1) وردت هذه الكلمة في (ع) : «ونزيع» ، وفي (م) : «ونزيل» .

(2) وردت هذه الكلمة في (ع) : «صرغانا» .

(3) وردت هذه الكلمة في (م) : «حورات» .

(4) وردت هذه الكلمة في (ع) : «وتتستر» .

مال النسيم بقضيبه فتمايلت  
مهتزة الأعطاف والأجساد  
هذي تودعُ تلك توديعَ التي  
قد أيقنت منها بوشك بعاد  
واستمعبرت بفراقها عين الندى  
فابتلّ مئزرُ غصنها المياد<sup>(1)</sup>

فبتنا في ذلك المنزل المعظم<sup>(2)</sup> القدر، ليلة الخميس حادي عشر، وهي في أرجح  
ميليّ الإمام الشافعي رضي الله عنه ليلة القدر، وقلت من أبيات: [من الطويل]  
وقرية صرغايا المعظمة القدر  
نزلنا بها في مرجها ليلة القدر

ثم رحلنا منها وقد بزغ القمر بين النجوم كالملك لابس التاج، مرتدياً بين عساكره  
بأبيض الديباج، وقد عوض نوره وأغنى في الحالين عن السراج، فسلكننا مسالك  
سهلة ثم أدركنا مدارك مستصعبة وأعقبنا رقي عقبة، وما أدريك ما العقبة، هي عقبة  
الرؤماتة التي منها القلوب ملانة، ذات مدارج [10أ] وعرة، ومناهج عسيرة، ومهاد  
ومشارف، ومشان ومعاطف، تخلع القلب وتقطع النياط، وتذكر بالحشر والحساب  
والصراط، فزاد حزنّها على الفؤاد أحزانه، ورادف بثّه وأشجانه، ثم قطعناها عند  
الصباح، وسرنا في مهامة فيح وفياف فساح، ولم نزل في إتهام وإنجاد، وصعود ربوة  
وهبوط واد، حتى انتهينا إلى واد كبير، ذي منظر نضير، وعشب كثير، وعينان  
تجريان على صخر بماء زلال خصر<sup>(3)</sup> نغير، كما قيل: [من الطويل]

(1) من عبارة (وحمام تترغ ...) إلى نهاية الشعر (غصنها المياد) ساقطة من (ع)؛ والبيتين الأخيرين  
سقطا من (م).

(2) وردت في (م): «السامي».

(3) سقطت كلمة: «خصر» من (ع)، وفي (م) كتبت في الهامش.

وَوَادٍ حَكَى الْخَنَسَاءَ لَا فِي شَجُونِهَا  
وَلَكِنْ لَهُ عَيْنَانِ تَجْرِي عَلَى صَخْرٍ<sup>(1)</sup>

قد بسط الربيع به بسطاً سُندُسيَّةً ، ومطارف عِبْقَرِيَّةً ترتاح لرؤيتها الأرواح ، وترتع النفوس منها في مراتع الارتياح ، ثم فارقتاه وهو يصفر ، ويتبلج وجهه ويسفر ، ونحن نحضر في السير ولا نخسر ، حتى وصلنا إلى مدينة بَعْلَبَك ، وعوض اليقين منها بالشك ، فنزلنا بها ضحوة النهار على رأس العين ، في مكان أفيح مقابلة فلاة [10ب] مد العين ، بها مروج وروضات هي مرتع النواظر ومنتفس<sup>(2)</sup> الخواطر ، قد أخذت أدوات<sup>(3)</sup> الجنان ، وأسفرت عن زَرْفِ خُضْرٍ وعبقري حسان ، وأتت من الحسن والإحسان ، بما يقصر عن وصفه لسان القلم وقلم اللسان ، كما قيل : [من الكامل]

إني دخلتُ لِبَعْلَبَكِ فشاقني  
عين بها الظلُّ الظليلُ مخيمٌ  
فلأجل ذا من أهلها أنا مكرم  
ولأجل عَيْنِ الْفُقَيْنِ تكرم<sup>(4)</sup>

ورأس العين هو مكان كالبركة ، ينبع منه ماء ثجاج ، عذب نغير خصر ليس ببلح ولا أجاج ، ويدخل إلى المدينة فيجوب في أكنافها حتى تحس بالري من أطرافها وأطرافها ، وبجانب ذلك المكان صفة متسعة ، وبالقرب منه مسجد كانت تقام فيه الجمعة . وتلقانا بهذا المنزل المذكور جماعة من أعيان أهل المدينة ، وقد رفعت عنهم بواسطة شهر الصوم المؤنة ، منهم الشيخ الإمام العالم العلامي البهائي العصي<sup>(5)</sup>

(1) هذا البيت مذكور في رفع الحجب المستورة 1 : 31 بلا عزو .

(2) وردت هذه الكلمة في (ع) : «منتفس» .

(3) في (م) : «أدوات» .

(4) سقطت هذه الأبيات من (م) و (ع) .

(5) هو محمد بن محمد بن علي البعلبي الشافعي ، مفتي بَعْلَبَكِ توفي سنة 941هـ ، انظر ترجمته في :

الكواكب السائرة 2 : 11 ، شذرات الذهب 10 : 346 وفيه : «الفصي» .

وولداه وغيرهم من الأكاابر والقُضَاة ، وكلّ من القوم يَعْتَذِرُ بكرم شهر الصُّوم ،  
فقلت وعن الحق ما حلت [أ11] : [من المجتث]

شَهْرُ الصَّيَامِ كَرِيمٍ  
لكنكم بخلاء  
هَبْ أَنِنَا فِي صِيَامِ  
أليس يأتي العشاء؟ (1)

وقلت : [من المجتث]

شَهْرُ الصَّيَامِ كَرِيمٍ  
والبخل فيكم سَجِيَّةٌ  
هَبْنَا نَصُومُ نَهَاراً  
أليس تأتي العشيَّة ؟

وقلت : [من المجتث]

شَهْرُ الصَّيَامِ كَرِيمٍ  
والفطر رخصة سَفَرٍ  
وإن نَصُمُ (2) فمغيب  
للشمس ميقات فطرٍ

وقلت : [من المجتث]

شَهْرُ الصَّيَامِ كَرِيمٍ  
والفطر للسَّفَرِ رُخْصَةٌ

(1) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 11 .

(2) وردت في (ع) : «وإن نصوم» .



## واللَّيْلُ لَا صَوْمَ فِيهِ<sup>(1)</sup> فَسَالَهُ بِالْفِطْرِ خَصَّهُ

ثم ركبنا حين تعوّضت الشمس بفيها من ظلها ، ودخلنا المدينة على حين غفلة من أهلها ، لنخبر وبلها من ظلها ، وعلها من نهلها ، وحزنها<sup>(2)</sup> من سهلها ، وخزجها من دخلها ، وكثرها من قلها ، وجدها من هزلها ، وسفسافها من جزلها ، فوجدناها مدينة قديمة بها بقايا عمارات عظيمة ، وأثار مآثر مقيمة ، وأزقة فسيحة وأسواق مليحة ، وأكثر [11ب] أهلها من أكثر<sup>(3)</sup> أهل الجنة ، لولا ما ينسب إلى بعضهم من بغضهم السنّة ، ودخلنا إلى جامعها الكبير الرحيب ، فتلقانا خادمه بالتأهيل والترحيب ، وفرش لنا سجادة ، وعكفنا فيه وقتاً طويلاً على الاعتكاف والعبادة ، ثم تكلمنا مع القيم فوجدناه لطيف الذات ، كامل الأدوات ، فسألناه عما يقال عن أهل بعلبك وعن رأس العين فقال : نعم هو حق ليس بالمئين ، فإنها كانت عينين فأصابتها وصمة العين ، فحضر مغربيّ ملعون الوالدين ، فسرق منهما عيناً في قنينة ، وذهب بها إلى رأس جبل قرب<sup>(4)</sup> المدينة ، فانكسرت منه وجرت عيناً هناك ، ثم حضر مغربيّ آخر ، وأهل المدينة بين متأسف وباك ، فقال : يا أهل بعلبك كأنكم بالعين الأخرى وقد اغتالتها يد البين ، وأصبحت مدينتكم برأس بلا عينين ، ويمكنني أن أقول على هذه العين الباقية عزيمة<sup>(5)</sup> ، فلا تزال بدياركم باقية مقيمة ، فجمعوا له مالا لبداً ، وازدلفوا إليه حتى كادوا يكونون عليه لبداً ، فرقى تلك العين ووضع عليها حجراً رصداً ، فلم تبد بعد أبداً وزادت [12أ] على طول المداد مدداً ، ورأينا قلعتها الحصينة ، وهي ذات أبنية متينة ، وأعمدة كثيرة طويلة ، وأحجار كبيرة ثقيلة يظن من

(1) وردت في (ع) : «ما فيه صوم» .

(2) الحزّن : ما غلظ من الأرض .

(3) سقطت كلمة «أكثر» من (ع) .

(4) وردت في (ع) : «قريب» .

(5) وردت في (ع) : «عزيمة» ، والعزيمة من الرقى التي يُعزم بها على الجن والأرواح . (لسان العرب 12 :

رأها أنها صنخور محررة لولا ما تحتها من الحجارة المختصرة ، وقد كانت من غرر القلاع  
المشتهرة بالارتفاع والامتناع ، وهي الآن خراب مأوى للبوم والغراب ، ورأينا الحجر  
المعروف بحجر الحبلى ، وهو حجر مربع مستطيل ، عرضه كالصفة العريضة وطوله  
كالحائط الطويل ، وهو خارج المدينة على نحو ثلث ميل ، وهو أحد حجارة بناء القلعة  
العجيبة ، وله عندهم حكاية من جنس ما تقدم عن العين غريبة ، وسلمنا على ولي  
الله تعالى الشيخ محمد المنير العطار<sup>(1)</sup> ، وهو من عباد الله الصالحاء الأخيار ، كثير  
الأوراد والأذكار ، ملازم للعبادة أثناء الليل وأطراف النهار ، وقد كان ممن يتردد إلى  
سيدي شيخ الإسلام الوالد ، وكان يسميه بالصالح الزاهد ، وزرنا سيدي القطب  
العارف بالله تعالى الشيخ عبدالله اليونيني من أسفل الجبل ، ثم عدنا إلى المخيم  
وقرص الشمس قد أفلت من يد السماء ، وأفل وارتحل ذلك النهار ، وحلّ للصائم  
[12ب] الإفطار ، ثم لما كفيت مؤنة العشاء ، ومضى نحو عشرين درجة بعد العشاء ،  
وأن للسامر أن يهجع ، أزمع القاضي على الرحيل وأجمع ، وكان ذلك برأي منه  
منكوس ، وحظ له متعوس ، فضل عن سواء السبيل ، وعن الطريق السهل القريب إلى  
طريق صعب طويل ، فضيغ وقت الراحة في التعب في غير طائل ، وصرف ساعة  
تجلي الحق في السعي في الباطل<sup>(2)</sup> ، ولم نزل فصل السير بالسرى ، ونكحل الأعين  
بإثمد<sup>(3)</sup> الثرى ، ونعزل عن محالّ العيون والي الكرى ، حتى وصلنا إلى قرية الراس ،  
وقد تعبت البهائم والناس ، فنزلنا بها ضحوة نهار الجمعة ثاني عشرين الشهر ، وقد  
حمى النهار واشتدّ الحرّ ، في مكان محجر وعر ، موحش وغير ، معطش محر ، فيه  
مياه سخنة ، متغيرة اخبة ، يسيرة<sup>(4)</sup> قليلة ، ضعيفة عليلة ، فأقمنا هناك إلى وقت  
شدة القيلولة ، ثم ارتحل عنها من تلك الساعة قاصداً قرية الرّزاعة فلم نحل بها : [من

(1) لم نهتد إلى ترجمته ولعله محمد المنير الواسطي المتوفى سنة 950هـ (إعلام النبلاء بتاريخ حلب

الشهباء 5 : 496) .

(2) من عبارة : «برأي منه منكوس» إلى عبارة «السعي في الباطل» ساقط من (ع) .

(3) إثمد وإثمد : حجر يكتحل به .

(4) وردت في (ع) : «بشيرة» .

حتى رأيتُ اليومَ ولّى عمره  
والليل مُقْتَبِلُ الشَّبِيبَةِ داني  
والشمسُ تنفُضُ زَعْفَرَاناً في الرُؤْيِ  
وتفتُ مِسْكَتَهَا على الحِيطَانِ<sup>(1)</sup> [13أ]

فنزلنا حينئذ بها في مرج فسيح الرحاب ، وسيع الجناب ، مربع الأجناب ، به للدواب مراتع ومرافق ومرابع ، يسافر النظر في أرجائه ، ولا يقف على مدى انتهائه ، وبه ماء عذب جار ، لكنه من حرارة الشمس حار .

ثم رحلنا منها عندما بزغ القمر ، ونبغ نوره وظهر ، وبلغ أقصى الآفاق وانتشر ، واستمر بنا الخبب والركض ، في بسيط من الأرض ، فسيح الطول والعرض : [من الطويل]

سَرَيْتُ به أَحْبِيبِهِ لا حَيَّةَ السَّرْيِ  
تَمُوتُ ، ولا مَيِّتُ الصَّبَاحِ يُعَادُ  
يُقَلِّبُ مِنِّي العَزْمُ إنسانَ مُقْلَةٍ  
له الأفق جَفْنٌ وَالظَّلَامُ سَهَادٌ<sup>(2)</sup>

ولم نزل نعاني<sup>(3)</sup> السرى ، ونعاصي<sup>(4)</sup> الكرى ، إلى أن بلغ الليل غايته ، ورفع الفجر رايته ، ونكصت النجوم على أعقابها ، وسفرت الجؤنة<sup>(5)</sup> عن نقابها ، وتجلّى وجه النهار مستبشراً ، ووفدت تباشير الصباح زُمرأً ، ثم برزت الشمس في مروط

(1) البيتان في رفع الحجب المستورة 1 : 128 ومعاهد التنصيص 2 : 97 منسوبة لابن الحسين بن سراج .

(2) البيتان لابن خفاجة : ديوان 78 ، وفي تاج المفرق 2 : 32 بلا عزو .

(3) سقطت كلمة «نعاني» من (ع) .

(4) وردت هذه الكلمة في (ع) : «نعاطي» .

(5) الجؤنة : الشمس .

الوُزْس<sup>(1)</sup> ، ثم صقلت مرأتها وانجلت ، ورفعت رايتها وعلت ، فوافينا مدينة حِمَص ذلك الوقت من يوم السبت ، فنزلنا [3ب] بمرج أخضر حسن النبت يجري به مياه لا بدة بعاصم حَمَاة ، مدة مع طاعتها لعاصي حَمَاة ، وَتَحْفُهُ بساتين حسنة مزدهاة ، وتلقانا بها جماعة من وجوه الناس ، منهم الشيخ الصَّالِح الفاضل عبد القادر ابن الدُّعَاس<sup>(2)</sup> ، ثم دخلنا المدينة بنية الزيارة ، فوجدنا غالب دورها سوداء الحجارة ، لكنها واسعة الأفنية ، متينة الأبنية ، قديمة العماثر ، عظيمة لمآثر ، ودخلنا إلى جامعها الكبير ، وزرنا بظاهرها سيدي خالد ابن الوليد الصحابي الجليل<sup>(3)</sup> الشهير ، وهذه البلدة أصح بلاد الشَّام هواءً ، وأعدلها تربة وماءً ، وليس بها حيَّة ولا عقرب ، بل يُقال إن الحِمَصِي بأي بلد كان لا تدنو منه عقرب ولا تقرب ، وكذلك الثوب المغسول بمائها إلى أن يُغسَل بغيره ، قيل وهو مجرَّب . قال القزويني<sup>(4)</sup> : ومن عجائبها الصورة التي على باب المسجد ، نصفها الأعلى على صورة إنسان ، ونصفها الأسفل صورة عقرب بذنب ورُبان ، تطبع تلك الصورة بالطين الحرّ وتلقى في ماء ، فإذا شرب منه الملدوغ برئ من الضرّ ، وبظاهرها [14أ] على نحو ميل بركتها المعظّمة<sup>(5)</sup> التي تصاد منها السمك الكبار ، وتجلب<sup>(6)</sup> إلى دِمَشق وغيرها من الأقطار ، وعند أهل حِمَص تغفّل شديد ، وحماقة ما عليها من مزيد ، فمما يحكى عنهم من الحكايات المشهورة ، أن بخارج المدينة ناعورة فراها مرة رجل حَمَوِيّ ، فقال : ما غرّيك بهذه الفلاة ، أترى أهل حِمَص سرقوك من حَمَاة؟ فاختشوا أن يأخذها أهل حَمَاة ليلاً ، فأعدوا لحراستها رجلاً وخيلاً ، ومعهم أنواع السلاح ، يدورون حولها كل ليلة إلى<sup>(7)</sup>

(1) الوُزْس : صبغ لونه أصفر . (لسان العرب 6 : 254) .

(2) عبد القادر بن أحمد زين الدِّين الكاتب الحِمَصِيّ (ت 937هـ) . ترجمته في : الكواكب السائرة 2 :

174 ، شذرات الذهب 10 : 302 .

(3) سقطت هذه الكلمة من الأصل .

(4) آثار البلاد وأخبار العباد 184 - 185 .

(5) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(6) في (م) و (ع) : «ويجلب» .

(7) وردت في (ع) : «حتى» .

الصباح ، وحكى بعض ظرفاء المؤرخين في وقائع الحمقى والمغفلين : أن رجلاً رأى بحمص يهودياً عطّاراً في دكان يؤذن بها على باب الجامع في أوقات الأذان ، يقول : أهل حمص يشهدون أن لا إله إلا الله ، أهل حمص يشهدون أن محمداً رسول الله ، ورأى الإمام يصلي ورجله خارجة من المحراب ، فسأل من رجل عن دار القاضي ليشتكي له ذلك المصاب ، فطأطأ برأسه وكشف عن فلسه ، فدخل إلى القاضي يشتكي ما داه ، فوجدَ عنده صبياً قد علاه ، فخرج [4ب] وهو يستغيث ، فقال له : ارجع يا خبيث ، ما بالك؟ وما حالك؟ فحكى له القصة ، فقال : أنا أزيح عنك العُصّة ، أما اليهودي فهو يؤدي للمسجد أجره الدكان ، ويؤذن دون المسلمين متبرعاً بالأذان ، وأما الإمام فلعل أصاب رجله بعض نجاسة الكلاب ، فما رأى أن يدخلها معه في المحراب ، وأما الذي سألته عن الدار فقد أجابك بما به أشار ، وذلك أن بابي مقنطر معلا ، وعليه قنديل مدلى ، وأما الصبي الذي كان فوق ظهره ، فهو تحت نظره وحجره ، وفي تربيته وحجره ، وأحب أن يَعْلَم إن كان بلغ مبالغ الرجال يسلمه ما له تحت يده من المال .

ومن أغرب الحكايات واقعة عبد السلام الحمصي الملقب بديك الجن<sup>(1)</sup> الشاعر ، وهي واقعة غريبة لم يُسمع بمثلها في الدهور الغواثر ، وذلك أنه كان يحب جارية له وغلاماً ، وقد افتتن بهما عشقاً وهياماً ، فمن شدة ما حصل له من قوة المحبة لهما<sup>(2)</sup> والوله ، خشي أن يفجعه فيهما الدهر ويمتّع بهما غيره ، فقتلها وجداً عليهما وغيرة ، ثم صنع من [15أ] رماديهما بُرنيتين<sup>(3)</sup> للمشروب وكان ينادمهما منادمة المحب المحبوب ، وإذا اشتاق إلى الجارية قبل البرنية المجبولة من رمادها المرصد ، وملاً منها قدحه وبكى وأنشد : [من الكامل]

(1) عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي (ت235هـ) من شعراء الدولة العباسية ، ترجمته في : الأغاني 14 : 33-45 ، وفيات الأعيان 3 : 184-188 ، وللبدي الملمم : كتاب ديك الجن الحمصي .

(2) وردت في الأصل : «فيهما» والتصحيح من (م) و (ع) .

(3) البرنية : قارورة أو إناء من خزف . (لسان العرب 13 : 50) .

يا طلعةً طَلَعَ الحِمامُ عَلَیْها  
 وَجَنى لَها ثَمَرَ الرُدى بِیَدَیْها  
 رَویتُ من دَمَها الترابَ وطالما  
 رَوى الهوى شَفَتی من شَفَتَیْها  
 وأجلتُ سَیْفی فی مَجالِ خِناقِها  
 ومَدامِعی تَجري على خَدَیْها  
 فَوَحَقُ نَعْلِیْها وما وطىء الثرى  
 طَیءُ أعزُّ عَلَیَّ من نَعْلِیْها  
 ما كان قَتْلِیْها<sup>(1)</sup> لَأَنی لم أَكُنْ  
 أبکی إذا سَقَطَ الفُبارُ عَلَیْها  
 لَكن بَخِلْتُ على سِوای بَحْسِنِها  
 وَأَنفَتُ من نَظَرِ العِیونِ إِلَیْها<sup>(2)</sup>

وإذا اشتاق إلى الغلام ، قبل البرنية المعمولة من رماده ، وملاً قدحه منها ، واندفع  
 يقول في إنشاده : [من الكامل]

أَشَفَقْتُ أن يَرِدَ الزُمانُ بِغَدَرِهِ  
 أو أُبْتَلَى بِعَدِ الوِصالِ بِهَجْرِهِ  
 قَمَرُ أنا اسْتَخْرَجْتُهُ من دَجْنِهِ  
 لِبَلِيَّتِي وأَثَرْتِهِ من خَدْرِهِ  
 فَقَتَلْتُهُ ولَهُ عَلَيَّ كِرامَةٌ  
 فَلَی الحَشاشا ولَهُ الفِؤادُ بِأسْرِهِ

(1) الأبيات في الأغاني 14 : 37 باختلاف في رواية بعض الأبيات .

(2) هكذا وردت في الأصل وفي (م) ، وكتب هذا البيت في (ع) على الهامش بخط مختلف وفيه : «ما

كنت اقتلها . . . »

عَهْدِي بِهِ مَيْتاً كَأَحْسَنِ نَائِمٍ  
 وَالطَّرْفِ يَسْفَحُ أَدْمَعِي فِي نَحْرِهِ [15ب]  
 غُصَصٌ تَكَادُ تَفِيضُ مِنْهَا نَفْسُهُ  
 وَيَكَادُ <sup>(1)</sup> يَخْرُجُ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ  
 لَوْ كَانَ يَذْرِي المَيْتُ مَاذَا بَعْدَهُ  
 بِالْحَيِّ مِنْهُ بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ <sup>(2)</sup>

فأي رقاعة أعظم من هذه الرقاعة ، وأي خلاعة تشبه هذه الخلاعة ، والجنون فنون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، وكان ديك الجن هذا ماجناً خليعاً ظريفاً مطبوعاً مغفلاً رقيقاً ، عاكفاً على القَصْف <sup>(3)</sup> واللهو ، رافلاً في ثياب المجون والزهو ، متلافاً لما يحصله (من المال) <sup>(4)</sup> ، وشعره في غاية الجودة والكمال ، ولُقّب بديك الجن لأنه كان يصبغ لحيته وشاربه وحاجبه <sup>(5)</sup> بألوان مختلفة ، ومات سنة خمسٍ أو ستٍ وثلاثين ومائتين <sup>(6)</sup> .

وقد رأيت أنا بجامع حِمص منبراً معظماً قديماً حسناً مطعماً ، وكأنه تخلخل وتضعضع ، وتقلقل وتقنع ، فسمرت بعرضه دفة بيضاء ثقيلة خشنة عريضة طويلة غير مجلوة ولا مصقولة ، وهذا من قبيل ما سردناه ، ومن جنس ما أوردناه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(رجع) فلما أن دعى مؤذن حِمص من المسلمين لصلاة الظهر وأذن ، أجبناه

(1) وردت في (ع) : «وتكاد» .

(2) الأبيات في الأغاني 14 : 38 .

(3) وردت في (ع) : «القصب» ، والقصف : اللهو واللعب (لسان العرب 9 : 283) .

(4) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(5) سقطت كلمة : «وحاجبه» من (ع) .

(6) سقطت كلمة : «ومائتين» من (ع) .

بصلاتها مجموعة مع العصر، ثم رحلنا قاصدين الرُّسْتَن (1)، وسرنا بعزم [16] غير مرتاب، وبسير يطوي البيد كطي السجل للكتاب، والحرّ قد قويت عزيمته واشتدت شكيمته : [من البسيط]

والغبار الكشيف ألبس عطفي  
عسلياً وديني التوحيد  
وكسى عارضي ثوب مشيب  
ورداء الشباب غضاً جديداً

فوصلناها عندما سئمت الشمس من الحرور، وركنت إلى الاكتنان والوكور، وكاد قرصها في العين الحَمْثَة يغور، فنزلنا برج أريج، ذي نبت بهيج، ومنظر فريج، يحتوشه العاصي من جانبه، ويتوصل من جسر على عشر قناطر إليه، وهذا الجسر واسع الفناء، محكم البناء، قد أحكم بالبلاط (2) الأسود تبيطه، وله جوانب عالية (3) من حافيته تحوطه، والرُّسْتَن لها ذكر في الملاحم والفتن، وهي قرية على تل قاطع الجسر من جهة حِمَص، ثم هي الآن مأوى لكل سارق ولص.

(رجع) فلما تنبّه القمر بعدما رقد، واستنار من مشرقه واتقد، وأسْنُ حسامه المجلو وأحد، وأن تجلى الواحد الأحد، من ليلة يسفر صباحها عن يوم الأحد، لم يبق منا بذلك المحل أحد، وسرنا نقطع مسافة البيداء، ونطوي شقّتها طي الرداء، فبيننا أنا أسير أمام القوم، وقد غلب عليهم النعاس، وحكم عليهم النوم، وإذا باثنين من السراق يظن أنهما من [16ب] الرفاق، فوقف المملوك الماشي أمامي وحر، وخاف منهما وجبن وخار، فزيرته وزجرته ونهرته، ثم تقدّمت إليهما وسلّمت عليهما لأسير كنهما وأخبر من هما، وأنا محترز منهما قابضة يدي على الحَسَام، فألقيا إليّ

(1) الرُّسْتَن: بلدة على نهر العاصي بين حَمَاة وحِمَص، وبها آثار باقية إلى يومنا وينسب إليها جماعة من أهل العلم والفضل (معجم البلدان 3: 43، وأخبار الدول 3: 372).

(2) وردت هذه الكلمة في (ع): «بالبلاد» مصحفة.

(3) وردت في (ع): «علية».



السلام وعدلا عن الطريق بعد أن ردا عليّ السلام ، فتبعتهما فذهبا وأسرعاً في المشي وهربا ، ثم وقفا يتوامران ويتشاوران<sup>(1)</sup> ، فسقت وراءهما فسقط أحدهما في بعض تلك الوهاد سقطت عظيمة هلك منها أو كاد ، وحرار الآخر وخاص ، ثم ولى مدبراً وله خصاص ، ولم نزل نسير مستعدين ونسري مجدين في تلك الفدافد والفيافي ونحن كما قال الرّصافي<sup>(1)</sup> : [من البسيط]

وَمُجِّدِينَ فِي الشَّرَى قَدْ تَعَاطَوْا  
خَمَرَاتِ الْكَرَى بِغَيْرِ كَوْسٍ  
جَنَحُوا وَانْحَنُوا عَلَى الْعَيْسِ حَتَّى  
خَلَتْهُمْ يَعْتَبُونَ أَيْدِي الْعَيْسِ  
نَبَذُوا الْفُنْضَ وَهُوَ حُلُوٌّ إِلَى أَنْ  
وَجَدُوهُ سُفْلَانَةً<sup>(2)</sup> فِي الرَّءُوسِ

فما طلع من الغد وجه النهار ، ولا بدا فيه حاجب الأسفار ، إلا وقد أشرفنا على مدينة حَمَاة ، جعلها الله تعالى في حفظه وحِمَاه ، تلح إلينا [17أ] أجياد قصورها وغرفاتها ، وتبسم عن ثغور أسوارها ، وفلج شرفاتها كالعذارى شدت مناطقها ، وتوجت بالإكليل مفارقها ، فحمدنا عند الصباح السرى ، ونفّرنا عن وكر العيون طير الكرى ، ثم دخلنا المدينة حين أشرق وجه الشمس مسفراً ضاحكاً مستبشراً من<sup>(4)</sup> يوم الأحد رابع عشر في شهر رمضان ، ونزلنا خارجها على نحو نصف ميل<sup>(5)</sup> ببستان ، ذي زهور وفينان<sup>(6)</sup> ، وأغصان تتمايل تمايل النشوان ، ومذانب<sup>(7)</sup> تسل

(1) الشرز : الشدة والصعوبة في الأمر ، وتشرز الرجل ، تهباً للقتال . (لسان العرب 4 : 405) .

(2) ديوان الرصافيّ البنسنيّ 102 .

(3) وردت في (ع) : «شلافة» .

(4) وردت في الأصل : «في» وما أثبتناه من (م) و (ع) .

(5) سقطت كلمة «ميل» من (ع) .

(6) وردت هذه الكلمة في (ع) : «وفينا» .

(7) المذانب : جمع مَذَنَب ، جدول الماء أو مسيل الماء الضيق .

السيوف ، وتري لنفسها على الأنهار المشفوف ، وتحترق من مكللات الثمار  
الصفوف ، وتدور على سوف الغصون كالخلائل<sup>(1)</sup> ، وتلتوي بها التواء اللسان المجادل ،  
ودولاب يحن الحنين الجوار ، ويضرم في القلب المشوق حرّ الأوار ، ويهيج لوعة الصب  
المغترب النازح الدار ، كما قيل في نعتة : [من الهزج]

ودولابٌ إذا أنْ يزيد القلب أشجانا

سقى الغصن<sup>(2)</sup> وغناه فما يبرح نشوانا<sup>(3)</sup> [17ب]

فما مضى من حين النزول إلا القليل ، حتى عزم القاضي وصمم على الرحيل ،  
فأرسلت إليه كلاماً خشناً<sup>(4)</sup> ، وقلت : هذا الذي تفعله ليس حسناً ، فإن رحلت  
أقمت أنا بالبلد ، ثم لا يتبعك من غير جماعتك أحد ، فأخر بسبب ذلك الرحيل  
والمسير إلى ثلث الليل الأخير ، ثم ركبت ودخلت المدينة قاصداً جامعها الكبير ، ثم  
قصدت زاوية القطب الرباني سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني<sup>(5)</sup> ، أعاد الله علينا  
من بركاته وأمدنا بمدده ، وفيها الآن جماعة باقية من ذريته وولده<sup>(6)</sup> ، فلتقانا منهم  
الشيخان الفاضلان والشابان الكاملان الشيخ بركات والشيخ عبد القادر ولدا الشيخ  
العابد العالم العارف بالله تعالى الشيخ قاسم وأخوا شيخ الزاوية الآن صاحبنا الشيخ  
الكامل العالم العامل ذي الإخلاص والصفاء والصدق والوفاء الشيخ أبو محمد  
وفا ، فابتهجنا بنا وأنزلانا بأعلى الزاوية في الرواق ، وكان الشيخ وفا قد خرج حينئذٍ

(1) وردت هذه الكلمة في (ع) : «والخلائل» .

(3) البيتان في تاج المفرق 1 : 147 وفي رفع الحجب المستورة 1 : 137 بلا عزو .

(2) وردت في (م) : «الروض» .

(4) وردت في (م) و (ع) : «حسناً» .

(5) عبد القادر بن موسى بن عبد الله ، مولده في جيلان من وراء طبرستان والنسبة إليها جيلاني

وكيلاني ، متصوف واعظ ، توفي سنة 561 هـ ، ترجم له كثيرون منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء

. 20 : 439 .

(6) ذكر الذهبي في ترجمته أنه لم يُعقَب ولم يترك ولداً .

إلى تلقينا بالوطاق<sup>(1)</sup> ، فما مضى ساعة من حين [18] التلاق حتى حضر فتلاقينا بالتقبيل والعناق ، وحن كل منا حين المغرم المشتاق ، وأن<sup>(2)</sup> أنين الموجع الأحشاء من ألم الفراق ، فيا له من صديق وأخ للروح شقيق<sup>(3)</sup> : [من الطويل]  
 نسيب إخفاء وهو غير مناسب  
 قريب صفاء وهو غير قريب<sup>(4)</sup>

ثم دخلنا إلى خلوة هناك مطلة على العاصي ، وقبالتها ناعورة ينصب منها الماء إلى الأذاني<sup>(5)</sup> من الزاوية والأقاصي ، وهو مكان بهج مستظرف مستنزه فرج ، ثم أحضر الشيخ وفا المنشور المكتتب له بالمشيخة بعد أخيه ، ورضا أخويه<sup>(6)</sup> المذكورين بما رقم وزير فيه ، فكتبت عليه تقریظاً<sup>(7)</sup> وأجزته بما يجوز لي وعني روايته أيضاً ، وقدّم رجل من جماعته فتياً صورتها رجل عمّر طبقة على مكان موقوف بغير إذن من مستحقي الوقف ولا يمر لها إلا منه ، ثم وقفها على نفسه ثم على ذريته ، فهل يصح وقفها أم لا؟ وما الحكم في ذلك؟ فكتبت عليها : الحمد لله اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، لا يصح الوقف المذكور ، بل ولا يجوز عمارة الطبقة ، إذ لا مسوغاً شرعياً وهي ملك لأربابها ، لكنها غير محرمة فتزال [ب18] أو تبقى بأجرة مثل إن كان في ذلك مصلحة للوقف ، ثم لا يحكم بأن وقفها صحيح إذا أبقيت بأجرة لانا حكمتنا بإبطاله أولاً لا بوقفه ، إذ الوقف لا يحتمل الوقف والله الموفق .

(1) الوطاق : كلمة تركية أصلها «أوتاق» ومعناها الخيمة الكبيرة وتأتي أيضاً بمعنى الخيم . انظر : لطف السمر 1 : 210 وإعلام الوري 66 .

(2) وردت في (ع) : «وحن» .

(3) وردت في (ع) : «شقيق» .

(4) البيت في معاهد التنصيص 4 : 258 من قصيدة لعلي بن محمد الكوفي .

(5) وردت في (ع) : «الأذاني» .

(6) وردت في (ع) : «إخوته» .

(7) وردت في جميع النسخ : «تقریظاً» والصواب ما أثبتناه .

ولم نزل نسرح في روضٍ من ذلك الاجتماع، ونسرح ما وجدناه من البعد  
والانقطاع، ونجول في ميادين بحوث ونقول، في أنواع العلوم المعقول منها والمنقول،  
ونتجاذب أطراف أخبار، وتذاكر مذاكرة ألطف من نسيم الأسحار، حتى هرم شباب  
ذلك النهار، وأخذ بنيانه في الانهيار، وأذنت الشمس بالغروب وانثنى قوس حاجبها  
وهو محجوب، وحلّ من الصيام الإفطار، وذرّ إئتمد الليل في عيون الأقطار، فصلّينا  
بالزاوية صلاة المغرب، ثم قدّم لنا سماطاً عن كرم شيم مقدّمه معرب، مشتمل على  
كل نوع مفتخر معجب، ثم ودّعنا هو وإخوته ومن حضر، وقرأوا الفاتحة ودعوا لنا  
بجمع الشمل<sup>(1)</sup> بعد قضاء الوطر، وأرسلوا معنا إلى الخيم<sup>(2)</sup> خمسة رجال بأسلحة  
من قسي<sup>(3)</sup> ونبال، وفارقت من فارقت لا عن ملالة، وودعت من ودعت لا عن  
تعوض، وصدروا من الوداع ووردت، [19أ] واجتمعوا في تلك البقاع وانفردت،  
(وأتهموا في بلادهم وأنجدت)<sup>(3)</sup>، وسرت: [من البسيط]

ولوجدي من العَروض بسِيطٌ

ومديدٌ ووافرٌ وطويل

لم أكن عارفاً بهذا إلى أن

قَطَعَ القلب بالفراق الخليل<sup>(4)</sup>

وتمثلت وقد جدّ العزم بقول أبي المغيرة بن حزم: [من الخفيف]

(1) سقطت هذه الكلمة من (ع).

(2) وردت في (ع): «الخيم».

(3) القسي: الأقواس، جمع قوس.

(3) ما بين القوسين ساقط من (م) و (ع).

(4) البيتان في تاج المُفرِق 2: 91 بلا عزو. وفي معاهد التنصيص 3: 151 منسوبة لنصر الله بن الفقيه

المصري باختلاف في الرواية:

وبقلبي من الفراق مديد وبسيط ووافر وطويل

لم أكن عالماً بذاك إلى أن قَطَعَ القلب بالفراق الخليل

واجدٌ بالخليل<sup>(1)</sup> من بُرَحَاءِ الشِّ  
وقِ وجدانَ غَيْرِهِ بالحبيب  
إن قلبي لكم لكالكبدِ الحراً  
وقلبي لغيركم كالقلوب<sup>(2)</sup>

ثم بتنا بذلك البستان المذكور ، وتلك الناعورة بالقرب منّا تحن وتدور ، وتنجد في طلب الماء وتغور ، كما قيل : [من مجزوء الرُّجز]

ناعورةٌ مـذعورةٌ  
ولهائة وحائرة  
الماء فوق كتفها  
وهي عليه دائرة

بل من هذا القبيل : [من الكامل]

باتت تحنّ وما بها وُجدي  
وأحنّ من طرب إلى نَجدي  
فدموعها تحيي الرياضَ بها  
ودموع عينيّ أحرقت خدي<sup>(3)</sup>

ولك أن تقول : [من الكامل]

باتت تحنّ وما بها كَربي  
وأحنّ من شوق إلى حبي

(1) وردت في الأصل : « بالحبيب » .

(2) البيتان في تاج المُفَرِّق 1 : 163 .

(3) البيتان في تاج المُفَرِّق 1 : 166 بلا عزو .

فدموعها تحبى الرياضَ بها  
ودموع عيني أحرقَت قلبي [19أب]

ولك أن تنشُد : [من الكامل]

باتت تحنّ وما بها شَجَنِي  
وأحنّ من شـوق إلى وطني  
فدموعها تحبى الرياضَ بها  
ودموع عيني أحرقَت بدني<sup>(1)</sup>

ومدينة حَمَاة هذه من أحسن بلاد الشّام ، وألطفها ، وأملحها ، وأظرفها ، وأنزهها ، وأترفها ، وبها قلعة شامخة ، عالية باذخة ، حصينة مانعة ، مكينة واسعة ، مليحة الأبراج والأبواب ، لكنها الآن خراب ، وبالمدينة جوامع ومساجد ومآثر ومعاهد ذات بهاء ورونق ، ومعظمها منقوش البناء بالحجر الأبلق ، مستدير بها العاصي على غالبها من الشرق والشمال ، وتتناوح فيها مهاب رياح الجنوب والشمال ، وتحفها بساتين من غالب الجهات ، وروضات طيبة النبات ، ذات ظل ظليل وماء سلسبيل ، تنساب بها الجداول انسياب الأرقام<sup>(2)</sup> بكل سبيل ، وتهدي حياة النفوس تحيات أنفاسها الصحيحة بنسيمها العليل ، وتتجاذب نواعيرها وهي<sup>(3)</sup> من ألم الأحزان باكية ، ومن تزايد الوجد والأشجان شاكية ، كيف وقد فارقت من الأغصان مآلف ، ومن الرياض معاهد ومقاصف ، ومن الحمام الهواتف مقاعد للسمع ومواقف ، ودارت طائفة في خدمة العاصي ، [20] وسقت بما يجري من عيونها الداني من الأرض والقاصي ، فلا غرو أن هيجت بحنينها الأحزان ، وذكّرت الغريب حنين أهله فأثارت عنده لواعج الأشجان .

(1) سقط هذا البيت من (ع) .

(2) وردت في (ع) : «الأرقم» ؛ والأرقام هي الذكور من الأفاعي .

(3) وردت في (ع) : «أي» .

وحَمَاةٌ وَشَيْرَزْرٌ<sup>(1)</sup> مَخْصُوصَتَانِ بِكَثْرَةِ النُّوْعِ الْعِظَامِ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ بِلَادِ الشَّامِ ،  
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ نَبَاتَةَ<sup>(2)</sup> فِي طَرْدِيئِهِ : [ مِنْ الرَّجْزِ ]

أَحْسِنُ بِوَجْهِ الزَّمَنِ الوَسِيمِ  
تَعْرِفُ فِيهِ نَضْرَةَ النِّعِيمِ  
وَحَبِذَا وَادِي حَمَاةِ الرَّحْبِ  
حَيْثُ<sup>(3)</sup> زَهَى الْعَيْشُ بِهِ وَالْعَشْبُ  
أَرْضِ السَّنَاءِ وَالْهِنَاءِ وَالْمَرْجِ  
وَالْأَمَنِ وَالْيَمَنِ وَرَايَاتِ الْفَجْرِ  
ذَاتِ النُّوْعِ يُرْسِقَاهُ الرَّبِ  
وَأَمْهَاتِ عَصْفِهِ وَالْأَبِ  
تَعَلَّمْتَ نَوْحَ الْحَمَامِ الْهَيْفِ  
أَيَّامِ كَوَانَتِ ذَاتِ فَرْعِ أَهْيَفِ  
لَا عَيْبَ إِلَّا أَنْ مَعْنَاهَا الْهِنَى  
يَنْسَى أَخَا الْغُرْبَةِ حَبَّ الْوَطَنِ  
وَكُلَّهَا مِنْ الْحَنِينِ قَلْبِ  
وَكَيْفَ لَا وَالْمَاءُ فِيهَا صَبِ  
لِلَّهِ ذَاكَ السَّفْحِ وَالْوَادِي الْفَرْدِ  
وَالْمَاءُ مَعْسُولِ الرِّضَابِ مَطْرَدِ  
يَصْبُو بِهَا الرَّائِي فَكَيْفَ السَّامِعِ  
وَيُحْمَدُ الْعَاصِي فَكَيْفَ الطَّائِعِ

(1) وردت في الأصل وفي (ع) : «شيرز» بتقديم الراء وهذه من قرى سرخس ، والتصحيح من (م) :  
بتقديم الزاي على الراء وهي كورة من أرض الشام . انظر : معجم البلدان 3 : 382-383 ، صبح  
الأعشى 4 : 123- .

(2) وردت في (ع) : «جمال الدين نباتة» ، وهو محمد بن محمد المصري ، أبو بكر شاعر عصره توفي  
سنة 768هـ . انظر ترجمته ومصادرها في أعلام الزركلي 7 : 38 .

(3) وردت في (ع) : «حين» .

إذا نظرت للربا والنهــــــــــــر  
فارد عن الربيع أو عن جمع فر  
محاسن تلهي العيون والفكر  
ربيع روضات وشحرور صفر  
أمام كل منزل بستان<sup>(1)</sup> [20ب]  
وبين كل قرية مــــــــــــــــيدان  
أما<sup>(2)</sup> رأيت الوزق في الأوراق  
جاذبة القلوب بالأطواق

وما قاله ابن حجة الحموي فيها : [من السريع]  
مرج حَمَاة بنواعييره  
زاد على المقياس في روضته<sup>(3)</sup>  
فاغتاز غمور دَمَشَق لَذَا  
فقلت لا أفكر في غبضته

وله فيها : [من الطويل]  
بوادي دِمَشَق الشَّام من أيمن الشط  
وحقك تطوي شُقَّة لهم بالْبَسَطِ  
بلاد إذا ما ذقت كوثر نيلها  
أهيم (كأني قد ثملت باسفنط)<sup>(4)</sup>

(1) وردت في (ع) : «لسان» .

(2) وردت في (ع) : «لها» .

(3) وردت، في (ع) : «روضه» .

(4) ما بين القوسين طمس في (م) ، وترك بياضاً في (ع) .



ومن يجتهد في أن في الأرض بقعة  
تشابهها قل أنت مجتهد مخطي  
وصوب حذيثي ماءها وهوائها  
فإن أحاديث الصحيحين ما تخطي

إلى أن يقول :

ومذ مذ ذاك النهر ساقا مدمجاً  
وراح بنقش النبات يمشي على بسط  
لونا خلاخيل النواعير فالتوت  
وأبدت لنا دوراً على ساقه السبط

وظرف من قال يهجوها وأهلها : [من الكامل]  
عمّ الفساد حمى حَمَاة فمردها  
ورجالها ونساؤها جميعا  
شبه النواعير التي يهونها  
من مسه العاصي يدور سريعاً

(رجع إلى سياق الرحلة) ثم رحلنا من ذلك البستان حين مضى من الليل  
الثلاثان ، [21] فلم نزل نسري ونُدلج ، ولا نعول على غير المسير ولا نعرج ، إلى أن  
أسفر وجه الصباح المبتلج ، فوافينا في الطريق عُربان مُدلج<sup>(1)</sup> ، وهم نزول على بعض  
تلك الجبال ، ومعهم خيل وجمال ، فلاقونا عند الإشراق ، وباعونا<sup>(2)</sup> من لبن النياق ،  
ورأى بعضنا امرأة منهم تقطع من زرع ، فقال : لا يحل لك هذا في الشرع ، فقالت

(1) هو مُدلج بن ظاهر بن عساف ، أبو هرموش ، أميرُ عرب الشام ، على جانب كبير من القوة والبطش  
توفي سنة 945هـ . انظر ترجمته في : درّ الحبيب ج2 ق1 ص480 ، الكواكب السائرة 2 : 250 .

(2) وردت في (ع) : «وباعون» .

يعيش (رأس مُدَلِّج)<sup>(1)</sup> لا عدانا برّه وخيره ، يحلل لنا هذا وغيره ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم سرنا فلما تكامل من النهار شبابه ، واستنار وجهه وصفى إهابه ، أفضى بنا إلى خان شَيْخُون<sup>(2)</sup> المسير ، وهو مكان موحش معطش ، يُسقى فيه من بثر على بعير ، فلما انهار ذلك النهار ، ومال الظل وامتد ، وحمى الحر واشتد ، واحتدم حموه واحتد ، أخذنا في أهبة الترحال ، وشددنا الأحمال على البغال ، ولم نزل نسير في تلك الضيافي<sup>(3)</sup> وهجيرها يلفح ، وزفيرها لا يكف عنا ولا يصفح ، إلى أن حان وقت المغيربان ، واختفت الشمس عن العيان ، [21ب] فوصلنا إلى مَعْرَةَ النُّعْمَان ، وذلك في ليلة يسفر صباحها عن يوم الثلاثاء سادس عشرين رمضان ، فنزلنا بها بمكان مخوف كثير السراق والذؤبان ، وبتنا بها وقلوبنا تخفق فرقاً وتطير وجلاً ، وإن رأينا غير شيء ظنناه رجلاً .

وقد كانت المَعْرَةَ مدينة كبيرة وانتشأ بها<sup>(4)</sup> من العلماء جماعة كثيرة ، وناهيك بأبي العلاء رأس النبلاء وعين الفضلاء ، وزين الأدباء ، وفخر الشعراء ، والشيخ العلامّة الفهامة زين الدين بن الوردى ، أفقه الشعراء ، وأشعر الفقهاء ، وأنبه الظرفاء ، وأظرف النبهاء ، وكفاه برهاناً على كماله وحجة نظمه الحاوي المسمى بالبهجة ، وغيرهم من الأفاضل والأعيان الأمثال ، وأما الآن فقد تعوضت من ذوي العلم بذوي الظلم ، ومن أهل الفضل بأهل الجهل ، ومن الأمثال بالأراذل ، ومن الفقهاء بالسفهاء ، ومن الحداق بالسراق ، ومن أهل الآداب بالذئاب في الثياب ، وعامة أهلها الآن لصوص ، إلا ما أخرجته من التعميم الخصوص ، فأقمنا بها سواد الليل ثم رَحَلْنَا البغال والحليل [22أ] ورحلنا منها عند ظهور نجم الصبح الثاقب . وحدود ضده المراقب ،

(1) ما بين القوسين ترك بياضاً في (ع) .

(2) وردت في (ع) : «سيحون» . ومرّ بخان شيخون الرحالة كبريت في طريق عودته من الأستانة قال :

«فأتينا على خان الشيخون ، وهو في وادٍ مُخْضَلٍّ وحوله ضيعتان بعيدتان عنه» انظر : رحلة الشتاء

والصيف 205 .

(3) وردت في (ع) : «الضيافي» .

(4) وردت في (ع) : «واتسباها» .

وزهاب الفجر الكاذب ، وإياب ضده المعاقب ، ذي الألقاب الغرّ والمناقب ، فوصلنا وقت الضحى الأعلى إلى منزل سراقب<sup>(1)</sup> ، وهو منزل رحيب ، ذو مرعى خصيب ، قد أخذ من الحسن والإحسان أوفر نصيب ، غير أنه كثير الطرار والطارق ، جم اللصوص والسراق ، فلما حان وقت الظهر وأن ، رحلنا قاصدين قرية زيتان ، فوصلناها ونزلنا بها : [من البسيط]

والشَّمْسُ تَجَنَّحُ للغروبِ مريضَةً  
والليلُ نحو مغيبها يتطَّلَعُ<sup>(2)</sup>

بمكان نصر المنظر حسن المخبر يدور به النهر الواصل من جهة حَلَب ، وهو في العذوبة والخفة غاية ما يُطلب ، فصادفت الخواطر فيه مرتعاً والبهائم مرعى ومربعاً ، وبتنا به تلك الليلة وهي ليلة الأربعاء ثم نسخ الهجوم الهجود ، وانتهى المقام مع انتهاء قيام نبي الله داود ، فأزمعنا على السرى وعزمنا على رفض الكرى ، فسلكوا بنا طريقاً عسراً عسراً<sup>(3)</sup> ، ودرباً<sup>(4)</sup> بعيداً محجراً ، وسبيلاً وعراً مضجراً ، متعدد التهائم والنجود ، متزايد [22ب] الهبوط والصعود ، حتى تعبت الرجال والخيل ، وولّى الليل مشمّر الذيل ، وبرق من الفجر نوره ، ولاحت من الصباح تباشيره ، وتتابعت راياته في الأفق الشرقي حتى : [من الطويل]

كأن سواد الليل والصبح<sup>(5)</sup> طالع  
بقايا مجال<sup>(6)</sup> الكُخْلِ في الأعينِ الزُرْقِ<sup>(7)</sup>

(1) سراقب : منزل شمال المعرة ذكره كبريت : «ضيعة لطيفة فيها خان ، وبها أبنية محكمة العمارة ومساجد وحمامات» انظر : رحلة الشتاء والصيف 203 .

(2) البيت في تاج المفرق 2 : 10 .

(3) وردت في (ع) : «عسراً عسراً» .

(4) وردت في (ع) : «ودرنا» .

(5) وردت في (م) : «الفجر» .

(6) وردت في (ع) : «مجال» .

(7) البيت في الحلة السبراء (1 : 199) لتميم بن المعز ، وتاج المفرق 2 : 66 بلا عزو .

ثم تجلّى وجهه الأشقر، وتبلّج ضاحكاً وأسفر، ثم تطلعت عين الشمس ومدت  
 حبالها الشديدة المرّس، الحاكية في لونها لون الورس، ثم ارتفعت وعلت، وفارت  
 قدرها وغلّت، وتزايد حرّها، واتقد جمرها، فترأى لنا حينئذ وجه حَلَب من بعيد،  
 وفارقنا القاضي من مقام الشيخ سعيد، (فيا له من فراق سعيد، ورأي سعيد، وأمر  
 حميد<sup>(1)</sup>)، ثم قصدنا باب المقام الحميد<sup>(2)</sup> ودخلنا مدينة حَلَب بسلام، وذلك يوم  
 الأربعاء سابع عشرين شهر الصيام، ونزلنا في زاوية الشيخي الإمامي الكبير  
 العارف بالله تعالى، الشيخ حسين البيري<sup>(3)</sup> رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه،  
 فتلقانا ولده صديقنا وصاحبنا، ذو الذئب الثخين، والورع المتين، والعقل الرصين،  
 الشيخ [23] العالم الفاضل أحمد أبو العباس شهاب الدين<sup>(4)</sup>، ولم يصدق بالقدوم  
 والحضور من عظم ما حصل عنده من السرور، ولم يعرفنا إلا من قريب، فقابلنا  
 حينئذ بالترحيب وتلقانا بالتقبيل والتعنيق، وبكينا فرحاً بجمع الشمل بعد التفريق،  
 ثم أفرد لنا ثلاثة أمكنة فضية متسعة مستحسنة، منها مكان مشرف أنيق، مشرف  
 بشبابيك على الطريق، فجزاه الله عنا الجزاء الحسن، وأمدّه بوافر الجود وكامل المن  
 (بمنه وكرمه)<sup>(5)</sup> آمين.

وقد كان هو اجتمع بي في دمشق مدة مديدة، وقرأ عليّ فيها كتباً عديدة،  
 وأعطيته نسخة بتأليفي المسمى «بالدّر النضيد في أدب المفيد والمستفيد»، وكتب  
 بخطه تأليفي المسمى «بالبرهان الناهض في نية استباحة الوطىء للحائض»، وقرأ

(1) ما بين القوسين ساقط من (ع).

(2) سقطت هذه الكلمة من الأصل ومن (م). وباب المقام أحد أبواب مدينة حَلَب، ويسمى أيضاً باب  
 دمشق، وقد بني في الفترة الأيوبية في زمن الملك الظاهر غازي. (معادن الذهب 81).

(3) حسين بن حسن بن عمر البيري الحلبي الشافعي الصوفي (ت 922هـ). انظر ترجمته في: الكواكب  
 السائرة 1 : 184، شذرات الذهب 10 : 153.

(4) أحمد بن حسين بن حسن البيري الصوفي (ت نحو 963هـ). انظر ترجمته في: الكواكب السائرة  
 104 : -، شذرات الذهب 10 : 484-، إعلام النبلاء 6 : 32.

(5) ما بين القوسين ساقط من (ع).

عليّ غالب الأوّل ، وتمّ الثاني قراءة وأكمل ، وكتبت له إجازة حسنة جاء فيها ما قلته  
بديهاً : [من البسيط]

فهو الشّهَابُ شبيهه البدر في شرف  
وفي عـلاء وتكمـيلٍ وتنويرِ  
والبحر فضلاً وإفضالاً فيا عَجَباً  
للبحر كيف انتهى <sup>(1)</sup> حقاً إلى البيري <sup>(2)</sup> [23ب]

ولم يزل أهل تلك الديار والأقطار يطيطون ، إلينا كل مطار ، بين سار بالليل وسارب  
بالنهار (لحصول مأرب وبلوغ أوطار) <sup>(3)</sup> ، فمنهم أحد المتقين ، وعباد الله الصّالحين ،  
الإمام الفاضل الفهامة الشيخ جمال الدّين يوسف بن محمد بن عثمان الشهرير بابن  
العوامة ، الخطيب والإمام بجامع الطواشي <sup>(4)</sup> باباب المقام ، قرأ عليّ مواضع متعددة من  
المنهاج قراءة سلك فيها أعدل طريق ، وأقوم منهاج <sup>(5)</sup> ، محققاً لمعانيها مدققاً لمبانيها ،  
وسمع من نظمي قصيدتي الآتية القافية القافية ، غرة القصائد التي رثيت بها شيخ  
الإسلام الوالد ، ووسمتها «بنفث الصدر المصدر وبث القلب المحرور» ، وأولها : [من  
الكامل]

قلب يذوب وأدمع تتدفق  
والجسم بينهما غريق محرق

وسمع أوائل شرحي المنظوم على ألفية ابن مالك ، وأخذ عني أشياء كثيرة غير  
ذلك .

(1) وردت في (ع) : «انتمى» .

(2) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 105 . وإعام النبلاء 6 : 34 .

(3) وردت هذه العبارة في (م) و (ع) : «بلوغ مأرب وحصول أوطار» .

(4) هذا الجامع داخل باب المقام ، أنشأه جوهر العللائي الطواشي ، وهو مطل على خندق قديم داخل  
البلد . (إعلام النبلاء 6 : 132) .

(5) وردت في (ع) : «مناج» .

ومنهم الشيخ الإمام والحبر الهمام شيخ المسلمين أبو عبد الله محمد شمس الدين الخناجيري الشافعي<sup>(1)</sup>، شيخ الفواضل والفضائل، وإمام الأكابر والأفاضل، وبدر الإنارة المشرق لسرى القوافل، وشمس الحقائق التي [24] مع ظهورها النجوم أوافل، له المناقب الثواقب، والفوائد الفرائد، والمناهج المباحج، وله بالعلم عناية تكشف العماية، ونباهة تكسب النزاهة، ودراية تعضد الرواية<sup>(2)</sup>، ومباحثة تشوق، ومنافسة تروق، مع طلاقة وجه، وقام بشر، وكمال خلق، وحسن سمت، وخير هذي، وأعظم وقار، وكثرة صمت: [من البسيط]

مُلِحَ كالرياض غا زلت الشم  
سُ رُبَاها وافتر عنها الربيعُ  
فهي للعين منظرٌ مونق الحُس  
ن وللنفس سُؤدُدٌ مجموع<sup>(3)</sup>

وقد كان اجتمع بي وبالوالد شيخ الإسلام في مِصر ثم في الشَّام، ووقع بيني وبينه مفاوضة ومذاكرة، ومباحثة ومحاورة، مع إذعانه لما أذكر، وقبوله لما أقول، وهو يدعولي ويشكر، وعلى الله تعالى القبول، والله المسؤول أن يوفقنا وإياه والمسلمين لما يحب من القول والعمل، وأن يعصمنا وإياهم من الخطأ والخطل والزيف والزلل .  
ومنهم الشيخ العالم العامل والإمام الأوحد الكامل أعز الأصحاب والأحباب، أبو هريرة عبد الرحمن بن حسن الكردي الشهير بابن القصاب<sup>(4)</sup>، إمام قد سما

(1) محمد بن محمد الخناجيري (ت940هـ)، ترجم له مجل المؤلف في الكواكب السائرة 2 : 14-، درّ

الحجب 2 / 1 : 251، شذرات الذهب 10 : 339، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 5 : 464 .

(2) وردت هذه العبارة في (ع) : «وله بالعلم عناية بكشف العماية، ونباهة بكسب النزاهة، ودراية بعضد الرواية» .

(3) الأبيات في الكواكب السائرة 2 : 14، وتاج المفرق 1 : 173 بلا عزو .

(4) أحد المدرسين بحلب توفي سنة 942هـ . انظر ترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 157-، وشذرات

بجلالة قدره ، ونبذ الدنيا وراء [24ب] ظهره ، ووضع الله له البركة في علمه وعمله وعمره ، يظل يقطع ليله مستعبراً ، ويهش للجهل مبتذراً ، عالماً أنه سيحمد عند صباحه السرى ، مع رواية ودراية وسلوك وهداية<sup>(1)</sup> ، ومراتب عليّة في الزهد والولاية ، قد جبل الله القلوب على محبته والنفوس على مودته : [من الكامل]

وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا<sup>(2)</sup> عَبْدَهُ

أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ<sup>(3)</sup>

فما رمقه طرف إلا وأحب أن يفديه بسواده ، ولا نال أحد دعوته إلا ورأى بركتها في نفسه وماله وأولاده ، نفعنا الله تعالى به وبالصالحين من عباده . حَضَرَ لِّلْسَلَامِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ أَضَافَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَدَّمَ مَا حَضَرَ مِنْ شَهِي مَأْكَلِهِ ، ثُمَّ دَعَا لِي بِبَلُوغِ مَا أَرْجُوهُ ، وَصَرَفَ كُلَّ سُوءٍ وَمَكْرُوهُ ، وَحَصَلَ لَهُ وَارِدٌ بَشْرَنِي فِيهِ بِعَمُومِ الْخَيْرِ مِنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ ، وَذَكَرَ لِي أَنَّهُ كَتَبَ عَلَيَّ سَوْأَلَ وَخَالَفَهُ فِي مَا كَتَبَ ابْنُ بِلَالٍ ، وَأَنَّ الشَّيْخَ أَحْمَدَ الْهِنْدِيَّ قَالَ : أَصَابَا مِنْ وَجْهِ وَأَخْطَأَ مِنْ آخِرٍ ، وَلَمْ يَفْصَلْ مَجْمَلِ الْمَقَالِ . وَالسَّوْأَلُ مَضْمُونُهُ : مَا الرِّزْقُ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ لِلْحَيَوَانَ الرَّفِيقِ؟ فَكَتَبَ ابْنُ بِلَالٍ : هُوَ مَا يُؤْكَلُ حَرَامًا أَوْ حَلَالًا ، وَكَتَبَ هُوَ : هُوَ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ اسْتِقْلَالًا ، فَافْهَمْتَهُ بِلُطْفٍ<sup>(4)</sup> [25] مَقْصِدِ الْهِنْدِيِّ ، ثُمَّ سَأَلْتَنِي عَنِ التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا عِنْدِي فَاسْتَحْسَنَ مَا قَلْتُهُ وَقَبِلَ يَدِي ، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ : هَكَذَا ، هَكَذَا ، وَالْأَفْلا ، لَا يَا سَيِّدِي ، ثُمَّ حَصَلَ لَنَا أَنْسٌ حَصَلَ مِنْهُ بَكَاءٌ وَأَنْينٌ ، وَتَعَانِقٌ وَتِلَازِمٌ وَحَنِينٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَعَامِلُنَا وَإِيَاهُ وَالْمُسْلِمِينَ بِخَفِيِّ لُطْفِهِ آمِينَ .

ومنهم الشيخ المحقق ، والإمام المدقق ، حسنة الليالي والأيام ، وقرّة عين المسلمین

(1) وردت في (ع) : «وهديّة» .

(3) البيت في تاج المُفَرِّقِ 1 : 226 بلا عزو . وهو لابن عبدربه الأَنْلَسِيّ (العقد الفريد 1 : 226) .

(2) وردت في (ع) : «قومًا» .

(4) وردت في (ع) : «لطف» .

والإسلام ، الشهاب أبو العباس أحمد الهندي الحنفي<sup>(1)</sup> عامله الله وإيانا ببره الوفي ولطفه الحنفي أمين ، شيخ له في تحقيق العلوم قدم عال وأشتات معال وخاطر يجول في أوسع مجال ، فيبرز نفائس لآل ، وعرائس جمال ، ويأتي بسحر حلال وبحر زلال : [من الرُّجْز]

### فضائل مثل الحصا كثيرة

وخطا طرَّ يغرف من بحر<sup>(2)</sup>

كان عندنا بالشَّام مدَّة ، وأقام يدرس بالجامع الأموي في كتب عدَّة ، وهو محبَّ معتقد ، غير ثان ولا منتقد ، لطيف الذات والطباع ، بخلاف من يأتي من تلك البقاع ، سلَّم عليّ وتردد إليّ وسمع مني وأخذ عني ، [25ب] وذكرت بحضوره قول ابن عباس وتبعه الشعبي بجواز صلاة الجنابة بغير طهارة ، فاستفاده وتلقَّاه بالقبول ، ثم أيده بقول أبي حنيفة رحمه الله بجواز التيمم لها مع وجود الماء وأنها عنده<sup>(3)</sup> لا تبطل بالهتقه ، وعلَّل ذلك بأنها عنده صلاة من وجه ودعاء من وجه ، وبحثت معه في غير ذلك أيضاً .

ومنهم الصَّالح النير الدين الخير القدوة العَلَّامة ، الشيخ زين الدِّين عمر ابن أسامة<sup>(4)</sup> ، حضر إليّ وسلم ودعا والتمس الخاطر والدعاء ، وحصل بيننا وبينه صحبة ومودة ، وأخوة ومحبة .

ومنهم الشيخ الفاضل العالم المواظب على وظائف الخير والملازم ، المشابر على

(1) أحمد البنارسيّ الهندي المتوفى سنة 939هـ ، انظر ترجمته الوافية في : در الحبيب ج 1 ا ،

ص 153-164 ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 5 : 457-461 .

(2) البيت في تاج المفرق 1 : 179 بلا عزو .

(3) وردت في (ع) : «عند» .

(4) توفي سنة 957هـ ، وأثبت ابن صاحب الرحلة هذه الترجمة بنصها في الكواكب السائرة (2 : 227)

وفيه : «عمر بن سامة العرضي» .



تلاوة<sup>(1)</sup> القرآن ، إمام جامع الأطروش<sup>(2)</sup> ، الشيخ عز الدين محمد بن الشيخ عبد الرحمن بن شعبان ، وقع بيننا وبينه مذاكرة ومفاوضة ومحاوره ، فاعترف بالفضل التام وأنشدني عند القيام : [من البسيط]

كانت محادثة الركبان تخبرني  
عن علمكم وسناكم أطيب الخبر  
حتى التقينا فلا والله ما سمعت  
أذني بأعظم مما قد رأى بصري<sup>(3)</sup> [26]

ومنهم الشيخ الفاضل العالم العامل ذو السكينة والوقار ، أبو زكريا يحيى ابن حسن بن قحقار ، إمام الحنفية بالجامع الكبير ، المشهور بابن الخازندار<sup>(4)</sup> ، سلم علينا بالجامع وتودد ، وأسرع وأشجع إلى تقبيل يدي وما تردد ، فأجللت عن ذلك مقامه ، وضاعفت حسن تلقيه وإكرامه .

ومنهم الشاب النبيل العالم الأصيل الفاضل الجليل ، البدري حسين بن الشيخ زين الدين عمر بن قاضي القضاة جلال الدين النصيبي الشافعي<sup>(5)</sup> ، له حسب صميم ، وسلف في العلم قديم ، ومنهج على السنة قويم ، وبيت له بالعلم والدين تعظيم وتفخيم ، فله ما هنالك من خيم ومناد لا يقبل الرخيم ، حسن الصورة ، جيد السيرة ، عف السريرة ، ذو رغبة في الخير وأهله ، وسلوك على قويم محجته وسبله ،

(1) وردت في (ع) : «قراءة» .

(2) وردت في الأصل وفي (ع) : «جامع الأطروش» .

(3) هذه الأبيات لعبد القادر الأبار وموجودة في الكواكب السائرة 1 : 242 وإعلام النبلاء 5 : 347 ، وفي

تاج المفرق 1 : 154 وكنوز الذهب 2 : 24 لمحمد بن هانيء يمدح جعفر بن فلاح .

(4) وهو سبط الشريف زين الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الجعفري ، توفي بمكة سنة 938هـ ، انظر

ترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 258- وفيه : «يحيى بن علي» ، شذرات الذهب 10 : 318 .

(5) توفي سنة 1000هـ ، وترجم له مجل صاحب الرحلة في الكواكب السائرة 3 : 145- ، وشذرات الذهب

10 : 652 ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 6 : 96- 101 .

سَلَّمَ عليّ مراراً وتردد ، ولا شكك في اعتقاده ولا تردد ، وتقربَ وتحبَّب وتودَّد ، وسأل مسائل على وجه الاستفادة في أنواع العلوم ، وسأل في القراءة بعد القدوم ، ثم أضافنا إلى مدرستهم الشرفية<sup>(1)</sup> ، وقدمَ سِمَاطاً هائلاً بأنواع المبرات أهلاً [26ب] وبأصناف الطيبات حافلاً .

ومنهم صاحبنا الشيخ العالم الفاضل ، والأوحد البارع الكامل ، ذو القريحة الوقادة ، والفطنة النقادة ، والطبيعة المنقادة ، الفائق في حسن الخبر والمخبر ، شمس الدِّين محمد<sup>(2)</sup> بن خليل بن الحاج علي بن أحمد بن محمد بن قنبر<sup>(3)</sup> ، اجتمع بي في دمشق الشام المحروس ، وحضر عندي بعض مجالس الدروس ، ولم تزل مكاتباته تفد إليّ وترد كل وقت عليّ ، وكاتبته بمكاتبة لطيفة فيها نكت ظريفة حكيبتها في تذكرتي ، وسمع بحلِّب قصيدتي القافية على التمام ، وقد اهتم بقضاء أشغال<sup>(4)</sup> لنا غاية الاهتمام ، فجزاه الله عنّا جزاء الحسنی .

ومنهم الشيخ الصَّالح المعتقد ، زين الدِّين عمر<sup>(5)</sup> بن الشيخ الصَّالح يحيى ابن الشيخ الصَّالح العارف بالله تعالى سيدي محمد الكواكبي البيري الرحبي ، حضر هو وأهله وأهل حارته وسلَّم ، وعزم علينا لزاوية جده بالجلوم<sup>(6)</sup> وصمَّم ، فذهبنا إليها يوم الجمعة تاسع عشرين رمضان المعظَّم ، واستمرينا عندهم وهم لا يمكننا من التحول

(1) المدرسة الشرفية من مدارس الشافعية بحلِّب سميت بذلك نسبة إلى منشئها شرف الدِّين عبد الرحمن العجيمي سنة 640هـ . (معادن الذهب 164) .

(2) وردت في (ع) : «شمس الدِّين بن محمد» .

(3) توفي سنة 971هـ ، وجل هذه الترجمة مثبتة في الكواكب السائرة 3 : 58- ، وشذرات الذهب 10 :

316 ، وفي در الحبيب ج2 ق1 ص135- ، وفاته سنة 961هـ ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 6 :

. 19

(4) وردت في (ع) : «أشعار» .

(5) وردت في (ع) : «زين الدين بن عمر» .

(6) الجلوم : حارة وناحية من نواحي حلِّب ، بها عدة مساجد وحمامات خراب . انظر : كنوز الذهب 1 :

عنهم والانتقال إلى عشية يوم الأحد ثاني شهر شوال ، فجزاهم الله عنا كل خير ووقاهم كل بؤس وشر وضير .

ومنهم الشيخ العلامة [27] والقدة الفهامة المقتفي سنن الهدى وأثاره ، خطيب الجامع الكبير ، الشيخ شمس الدين محمد الحنفي الشهير بابن الحمارة<sup>(1)</sup> ، سلم علينا وتودد بعد صلاة الجمعة بالجامع ، وهو بصفة المتودد المتواضع المتخاضع .

ومنهم الشيخ الفاضل العالم الكامل البارح في فنون العلوم وأنواع الآداب<sup>(2)</sup> ، الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ إبراهيم بن العرضي<sup>(3)</sup> المفتي بحلب ، حضر لدي ، وسلم علي ، وسألني عن الخوف والرجاء ، فأجبت بما فتح به ، وسألني عن حديث : لو وُزِنَ خوفُ المؤمن ورجاؤه لاغْتَدَلا . فقلت له : عدّه الزركشي في كتابه في الأحاديث المشتهرة بما لا أصل له ، مع<sup>(4)</sup> أن له أصلاً ، فإنه أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» عن ثابت البُناني بلفظ : «كانا سواء» . كما أفاده شيخنا شيخ الإسلام الجلال السيوطي في كتابه الدرر المنتشرة<sup>(5)</sup> ، ثم أنشدته أبيات أبي نواس في الرجاء : [من الوافر]

تَكَثَّرَ مَا اسْتَطَقْتَ مِنَ الْخَطَايَا  
فَإِنَّكَ بِالْغَرِّ رَيًّا غَفُورًا  
سَتُنْبَصِرُ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ عَفْوًا  
وَتَلْقَى سَيِّدًا مَلَكًا كَبِيرًا

(1) لم أهد إلى التعريف به .

(2) وردت في (م) و (ع) : «الأدب» .

(3) توفي سنة 967هـ ، ونسبته إلى «عرض» من أعمال حلب . وانظر ترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 186 ، وشذرات الذهب 10 : 379 (وفيه : وفاته نحو سنة 946هـ) ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 6 : 45-47 .

(4) سقطت كلمة «مع» من (ع) .

(5) الدرر المنتشرة 160 .

تَعْضُ نَدَامَةً كَفُنِكَ مُمَّا  
تَرَكْتَ مَخَافَةَ النَّارِ السُّرُورِ<sup>(1)</sup> [27ب]

وخبره هذه الطرف بقوله في الخوف : [من الكامل]  
سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ آيَةً لَيْلَةً  
مَخَضَّتْ<sup>(2)</sup> صَبِيحُوتَهَا بِيَوْمِ الْمَوْقِفِ  
لَوْ أَنَّ عَيْنِي فِي الْمَنَامِ تَخَيَّلْتُ  
مَا فِي الْقِيَامَةِ كَأَنَّي لَمْ تَطَّرَفِ

فكتب ذلك من إملائي ، ثم دعا والتمس دعائي ، والله تعالى يوفقنا وإياه لما يحبه  
في الدارين ويرضاه .  
ومنهم الشيخ العالم المنور ، موفق الدين أحمد بن شيخ الشيخ أبي ذر<sup>(3)</sup> ، وهو  
رفيقنا من حَلَبَ في السفر .  
ومنهم العالم النبيل والفاضل الأصيل الجميل الطاهر<sup>(4)</sup> الحسن السريرة ، السيد  
الشريف الحسيب النسيب ، شمس الدين محمد<sup>(5)</sup> بن النويرة ، اجتمع بي وأثنى  
واستفاد منا وأخذ عتاً .  
(ومنهم الشيخ العالم محيي الدين بن دغيم<sup>(6)</sup> من أعيان حَلَبَ .

(1) الأبيات في ديوان أبي نواس ص 730 .

(2) وردت في الأصل و (ع) : «مخضت» .

(3) هو أحمد بن أبي بكر أحمد ، الشيخ موفق الدين أبو ذر توفي سنة 962هـ ، انظر ترجمته في : دَرّ  
الجب ج 1 ص 165-170 ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 6 : 24 نقلاً عن دَرّ الجب .

(4) وردت في (ع) : «الظاهر» .

(5) وردت في (ع) : «شمس الدين بن محمد» .

(6) هو علي بن محمد بن دغيم الحنبلي ، المتوفى سنة 948هـ . انظر ترجمته في : إعلام النبلاء بتاريخ

حلب الشهباء 5 : 488 .

ومنهم السيّد الشريف الحسين بن عليّ ، برهان الدّين إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المعروف بابن البرهان ، الإمام بمحلّة حمام الذهب<sup>(1)</sup> .  
ومنهم الشّاب الفاضل إمام المدرسة الشرفيّة ، عزّ الدّين بن علوّ الدّين الحاضريّ ، من أعيان الخنفيّة<sup>(2)</sup> .

ومنهم الشيخ العلّامة والقُدوة الفهّامة (قاضي القضاة ذو العقل الوافر والحصا)<sup>(3)</sup> الأصيل النبيل الرئيس النفيس الذي لم يزل في ثوب السيادة يرفل القاضي ابن جنغل<sup>(4)</sup> ، حضر لديّ وسلّم عليّ وتودد وتردد ، وقدّم لنا<sup>(5)</sup> هدية من الحلّوة القرعية . [28]

ومنهم الشّاب الزاهد والخاشع العابد والأوحد الناسك والأمجّد السالك فخر الكبار وخير الأخيار ، سيدي أحمد<sup>(6)</sup> بن الأمير محمد بن إدريس الدفتردار ، ذو أبهة وبهاء وحبوة مملوءة مكارم خالية من ازدها ، وخلقة سمت في مطالع الحسن إلى أنهيّ كمال وأكمل انتهاء ، تتحلّى بجمانها<sup>(7)</sup> الخرائد ويحسد حسناتها النيرات الفراقد ، وتنبّه من سنة الغفلة ، ولا أقول لأجل السجعة ألف راقد ، أضافنا يوم العيد إلى محله السعيد وتأتق في سماط أحضره ، وقدمه وما أخره ، وليكن هذا خاتمة سردهم وواسطة عقدهم ، وثمّ جماعة آخرون تركنا ذكرهم خوف الإطالة وحذر السامة والملاة .  
وأخبرنا أصحابنا الشّمس الثلاثة : ابن الخناجريّ ، وابن قنبر ، والسيد ابن

(1) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

(2) سقطت هذه الترجمة من (ع) .

(3) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(4) وردت في (م) : «القاضي ... ابن جنغل» . وهو محمد بن عليّ الحلبيّ المالكي ، آخر قضاة المالكية بحلب ، توفي سنة 951هـ ، وترجمته في الكواكب السائرة 2 : 48 ، درّ الحبيب ج 2 ق 1 : 276 ، شذرات الذهب 10 : 416 ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 5 : 499 .

(5) وردت في (ع) : «إلينا» .

(6) وردت في (م) و (ع) : «سيد بن أحمد» .

(7) وردت في (ع) : «بجمانها» .

النويرة ، والبدر بن النُصَيْبِيّ ، وغيرهم ، أن المشهور بحلَبِ بَابِنِ بِلَالٍ (1) رجل جاهل لا يعرف شيئاً ، وإنما روج أمره أمراؤه بمالِكِ الحِمَزَاوِيِّ وأولاده ، وإسكانه له في بيته خشية أن ينزل فيه رومي ، وأنه سعى له في [28ب] بعض وظائف ابن المستوفي فحصل له بذلك غنية وشهرة بعد فقر وحمول ، وذكروا عنه تُرّهات تدل على جهل كبير لم أرَ ذكرها (2) هنا (3) ، ورأيت من خالفهم في ذلك كلّه ، وقال إنّه من حَمَلَة العلم وأهله ، والله أعلم بحقيقة أمره وبموافقة علانيته لسره ، والذي يظهر هو الثّاني لكنّه رجل لا مداراة عنده لأنّه تركماني .

### ذكر إرجاع ابن الفُرْفُور وما حدث بعد ذلك من الأمور

ولما كان يوم الاثنين ثالث شوال المبارك حضر أولقان (4) من جهة بكاربكي (5) بالشّام أمير الأمراء الكرام عيسى باشا ، البالغ من مراتب الكمالات ما شاء ، وصحبتهما مكاتبات من الأمير المذكور تخبر بحضور مرسوم بعود القاضي ابن الفُرْفُور محتفظاً به للتفتيش عليه وتحرير (6) ما نسب من المظالم إليه ، وأن المتولي لذلك القاضي ابن إسرافيل المنصوب لقضاء الشّام مكانه وعدوه عيسى باشا المشار إليه

(1) هو محمد بن محمد العيني الحلبي توفي سنة 957هـ وترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 7 ،

وشذرات الذهب 10 : 459 ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 5 : 538 ، أعلام الزركلي 7 : 58 .

(2) وردت في (ع) : «لم أذكرها» .

(3) من هنا إلى نهاية الورقة [30] من الأصل ساقط من (ع) .

(4) أولاق وأولقان : كلمة تركية معناها رسول أو مخبر ، انظر : شمس الدين سامي : قاموس تركي ص 219 .

(5) وردت في (م) : «بكليربك» والبكلربكية : الولاية أو الإمارة ، والبكلربكي أو البكاربكي هو أمير

الأمراء ، وهو لقب يطلق على بكوات الصناجق ، انظر : البرق اليماني - المقدمة ص 75 ، ولطف السمر

1 : 228 ، زبدة كشف الممالك لابن شاهين الظاهري 112 .

(6) وردت في الأصل : «تحريره» وما أثبتناه من (م) .

لتكامل في حقّه الإهانة ، فنعوذ بالله من زوال النعم ومفاجأة النقم ، فطلع من الشّام أعزّ طلوع ورجع إليها - والعياذ [29أ] بالله - أذلّ رجوع<sup>(1)</sup> ، فلما وصله ذلك الخير حار وجبن وخار ، ولاذ واستجار ، وذلّ بعد تجبّر<sup>(2)</sup> وما أذلّ من هو جبّار ، وانكسر بعد فخره وتكبّره وما أسرع كسر الفخّار ، وقد دخلت عليه بعد بلوغي هذا الخبر ، فوجدته في غاية الذلّة والانضاع والاختضاع ، ووجهه ممتقع غاية الامتقع ، ومنتقع نهاية الانتقع ، وهو وجماعته كما قال الله تعالى ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>(3)</sup> ، فتوجّع واشتكى وتأوّه وبكى ، ثم أظهر الجلد وأضرم البلوى ، وقال الحمد لله ما لأحد علينا تبعه ولا شكوى ، ولا ظلامة ولا دعوى ، وسوف يعلم أهل الشّام مقدار أيّامنا وحُسن أفضيتنا وأحكامنا .

فطيّب قلبه ، وسكّنت لبّه ، وقلت له : لا تخشَ من الرجوع ؛ فإنّ مقامك عند النّاس مرفوع ، وهذا إن شاء الله آخر القطوع ، ثم عانقني معانقة المشكل المفجوع ، وسقينا نبات الحدود بمياه الدموع ، ثم أنجد وأتهمت ، وأبمن وأشأمت [29ب] ، فعاد هو من الغد إلى الشّام ، وانتقض من حبله الإبرام ، وتهتكت حجابيه ، وانفضت عنه أحزابه ، وشائنة أحبابه وأصحابه ، وتقطّعت أسبابه ، وأبيعت أمتعته وأسبابه ، وبيوته ، وعماراته ، وبساتينه ، وجنيناته ، وأراضيه وقراه ، وأعيد لأربابه كل ما كان اغتصبه أو اشتراه ، وتعدّى ذلك إلى سائر جهاته وجهات<sup>(4)</sup> زوجاته وبناته ، وخرج عليه من كان داخلاً فيه وراكناً إليه ، وشدّد عليه في الحساب من كان يعدّه من الأحباب ، فأتاه الخوف من جانب الأمن ، ومن حيث أملّ الربح جاءه العُبن : [من الرُّجز]

(1) وقع في مسودة المؤلّف (م) تشطّيب بما يعادل ورقة مضمونها بعض ما نسب لابن الفَرَفُور من أخطاء وتُرّهات ، يتضح ذلك من السطر الأوّل الذي يمكن قراءته : «وكان ما انتقد عليه ونسب من أنواع القبيح إليه أمور منها . . .» .

(2) وردت في (م) : «تجبره» .

(3) سورة غافر آية 18 .

(4) وردت في (م) : «جهاز» .

رُبُّ مَنْ تَرَجَّسَ بِهِ دَفْعَ الْأَذَى  
عَنْكَ يَا تَيْكَ الْأَذَى مِنْ قِسْبَلِهِ  
رَبَّمَا يَرْجُو الْفِتَى نَفَعَ فِتَى  
خَوْفُهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ أَمَلِهِ (1)

ولم يزل في محبسه بقلعة دِمَشْقَ، يُرَشَّقُ بِسَهَامِ الْمَصَائِبِ أَي رَشَقَ، إِلَى أَنْ مَاتَ بِهِ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ فِي جَمَادَى الْآخِرِ (2)، فَنَسَأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ الْغَامِرَةَ، فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ، آمِينَ [30].

وَأَسْتَخِرُنَا اللَّهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ، وَقَوَى الْعِزْمَ عَلَى السَّفَرِ صَحْبَةَ جَانِمِ الْحَمَزَاوِيِّ (3) مَعَ الْخِزَانَةِ، وَقَدْ كُنْتُ اجْتَمَعْتُ بِهِ مَرَّتَيْنِ بِحَلَبَ وَالشَّامَ، وَحَصَلَ مِنْهُ غَايَةُ التَّعْظِيمِ وَالْإِكْرَامِ، ثُمَّ حَصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَحَبَّةٌ زَائِدَةٌ، وَصَارَ لَهُ فِيَّ اعْتِقَادٌ تَامٌ حَتَّى كَانَ لَا يَخَاطِبُنِي إِلَّا بِمَوْلَانَا شَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَخَرَجْتُ (4) مِنْ حَلَبَ قَبْلَ الزَّوَالِ مِنْ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ شَهْرِ شَوَّالٍ، وَكَانَتْ مَدَّةَ إِقَامَتِنَا بِهَا سِتَّةَ أَيَّامٍ (5) نَصَفَهَا مَعَ الْفِطْرِ وَنَصَفَهَا مَعَ الصِّيَامِ (6). وَحَلَبَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ كَبِيرَةٌ قَدِيمَةٌ، صَحِيحَةُ الْهَوَاءِ، خَفِيفَةُ الْمَاءِ، وَاسِعَةٌ الْفَنَاءِ، حَسَنَةُ الْبِنَاءِ، عَظِيمَةُ الْمَأَثَرِ وَالْمَعَاهِدِ، كَثِيرَةُ الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ، وَكَانَتْ مِنْ الْفَتْوحَاتِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَالْيَ أُخْرَ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ مُضَافَةً إِلَى قِنْسَرِينَ، وَلِذَلِكَ قَلَّ ذِكْرُهَا فِي كُتُبِ الْمُؤَرِّخِينَ. ثُمَّ تَدَرَّجَتْ فِي الْعِمَارَةِ وَقِنْسَرِينَ فِي الْخَرَابِ وَالْإِنْدِرَاسِ إِلَى أَنْ

(1) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 23 .

(2) سنة 937 هـ . وفي إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (5 : 451) : «أَنَّ عَيْسَى بَاشَا دَسْ لَه سُمَا فَمَاتَ» .

(3) هو جَانِمِ بَنِ يَوْسُفِ الْجُرْكَسِيِّ الْحَمَزَاوِيِّ، أَمِيرُ الْخِزَانَةِ الْمِصْرِيَّةِ، قَتَلَهُ سَلِيمَانُ بَاشَا بِأَمْرِ السُّلْطَانِ فِي سَنَةِ 944 هـ . انظر : الكواكب السائرة 2 : 132 ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 5 : 473 .

(4) وردت في (م) و (ع) : «فخرجت» .

(5) وردت في (ع) : «ست ليال» .

(6) وردت هذه العبارة في (ع) : «نصفها في رمضان ونصفها في شوال» .



صارت قنُسرين مضافة إلى حَلَب في أيام بني العباس [30 ب] ، وافتتحت في سنة ست عشرة من الهجرة ، وقيل سبع عشرة وقيل خمس عشرة ، وبينها وبين قنُسرين اثنا عشر ميلاً تزيد أو تنقص قليلاً ، وهي من <sup>(1)</sup> الإقليم الرابع أعدل الأقاليم إقليمياً ، ولذلك أهلها أنضر الناس وجوهاً ، وأصَحَّهم جسوماً ، وقبلتها موافقة لقبلة دِمَشق والشَّام ، ولها من الكور والضياع العظام ما يجمع سائر الغلات النفيسة كالفستق وحب الخضر والزيتون والتين ، وكانت من أكثر البلاد أشجاراً وأحسنها بساتين ، فأفناها كثرة وقوع الخلاف <sup>(2)</sup> بين الملوك والسُّلاطين . وقلعتها حصينة مانعة شامخة عالية واسعة ، يعجز عن مثلها الرائد ، وتمتنع على الطالب والقاصد ، تكاد تناطح نجوم الجوزاء وتتجاوز كرة الهواء وتناجي أبراجها بروج السماء ، ويحيط بها خندق عظيم ملوء على الدوام ، وبها بيباب المقام بها مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وبها كتابات قديمة رومانية من ذلك ما على الرخامة [31أ] البيضاء التي هي الآن بالمدرسة الخلاوية <sup>(3)</sup> ، وهي شفافة إذا جعل تحتها نور ظهر من أعلاها أو جعل في أعلاها بان من أدناها ، وعليها كتابة سريانية عُرِّبَت ، فإذا هي : «عَمِلَ هذا للملك قَلِيطيانوس <sup>(4)</sup> والنسر الطائر في رابع عشر درجة من برج العقرب» ، فيكون مقدار ذلك إلى تعريبه ثلاثة آلاف سنة ، وهذا اللوح أحضره السُّلطان الملك العادل نور الدِّين الشهيد من قَامِيَّة <sup>(5)</sup> ، وكان يحشي فيه القطايف للفقهاء ، وطوله يزيد على ثلاثة أذرع ، وعرضه على ذراعين ، وقد بذل الفرنج فيه مالاً جزيلاً فلم يجابوا إليه . ومن محاسنها جبل

(1) سقطت كلمة «من» من (ع) .

(2) سقطت كلمة «الخلاف» من (ع) .

(3) المدرسة الخلاوية بحَلَب كانت إحدى الكنائس التي بنتها هيلانة أم قسطنطين ، وعرفت بالكنيسة العظمى ، حولها القاضي يحيى بن الخشاب سنة 518هـ إلى مسجد عرف بالسراجين ، ثم حولها نور الدين زنكي سنة 543هـ إلى مدرسة ، وجعل بها مساكن للفقراء . (معادن الذهب 160) .

(4) وردت في (ع) : «قَلِيطيانوس» .

(5) قَامِيَّة : مدينة كبيرة من سواحل حِصص ، وقد يقال لها أيضاً أقامية . (معجم البلدان 4 : 233 ، صبح

الأعشى 4 : 125) .

الجَوْشَن<sup>(1)</sup> ، وهو من أنزه الجبال نباتاً ذا حسن<sup>(2)</sup> معتدل الأرواح طيب الأنفاس ، وبه كما يقال معدن النحاس ، ومحاسن حَلَب كثيرة وخيراتها غزيرة ، وبما قاله فيها صاحبها الملك الناصر ذو المناقب الغر والمأثر : [من الطويل]

سقى حَلَبَ الشهباء في كل أزمة  
سحابة غيث نوؤها ليس يقلع<sup>[3ب]</sup>  
فتلك دياري لا العقيق ولا الغضا  
وتلك ربوعي لا زرود ولغلع<sup>(3)</sup>

وقال نفيس الدّين الأمديّ : [من الوافر]

سقى حَلَباً ومن فيها سحاب  
كدمعي حين يهمني بانسجام  
فإن بها وإن شطت مغانني  
أحباباً على قلبي كرام

وقال الشيخ زين الدّين بن الورديّ : [من الوافر]

عليك بصهوة الشهباء تلقى  
بجوشنها محاربة الزمان  
فللغرفات في الفردوس طيب  
يضوعُ شذاه من باب الجنان

وللصنوبريّ : [من مجزوء الرمل]

(1) الجَوْشَن : جبل مطلق على حَلَب في غربيها ، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة . (معجم البلدان 2 : 186) .

(2) وردت في (م) و (ع) : «من أنزه الجبال نباتاً وأحسن» .

(3) الأبيات في قوافل الوفيات 4 : 363 باختلاف في الرواية .

فَاخِرِي يَا حَلَبُ الْمَدِّ  
 نَ يَزِدُ جَاهُكَ جَاهَا  
 فَإِذَا مَا كَانَتْ الْمَدُّ  
 نُ رِخَاخاً كُنْتَ شَاهَا<sup>(1)</sup>

فلما أن عزمنا على الرحيل منها في اليوم المذكور ، لم يتخلف أحد من الأصحاب عن الحضور ، ثم أخذوا في أصناف الوداع وهم بين مثن وداغ وباك ومتأسف على عدم ملازمة الاجتماع ، وأنا أودعهم والجوانح ملتهبة ، والدموع منسربة ، والشوق بالقلوب [32] لاعب ، وغراب البين بفرقة الإخوان ناعب ، ثم أخذت في أسباب الترحال وأنشدت بلسان الحال والقال : [من الخفيف]

ليت شمري أنلتقي بعد هذا  
 أم وداعاً يكون هذا اللقاءُ  
 فإذكروني وزودوني دعاءُ  
 خير زاد تزودوني الدعاءُ<sup>(2)</sup>

ثم لما قدموا الجواد ، قرأ في قفاي ابن الشيخ حسين ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾<sup>(3)</sup> ، ثم أنشد البيتين المجريين<sup>(4)</sup> في عود من قिला في قفاه إلى محل وطنه سالماً واجتماعه بقائلهما بعون الله كما نصَّ عليه في الإحياء حجة الإسلام الغزالي<sup>(5)</sup> أمدنا الله تعالى بمدده المترادف المتوالي ، وهما : [من مخلع البسيط]

يا من يريد الرحيلَ عنا  
 أسمعك الله في ارتحالك

(1) البيتان في معجم البلدان 2 : 289 ضمن قصيدة طويلة أوردتها ياقوت كاملة .

(2) البيتان في تاج المفرق 1 : 145 بلا عزو .

(3) سورة القصص آية 85 .

(4) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(5) لم نعر على هذه الأبيات في كتاب إحياء علوم الدين .

## كان لك الله خَيْرَ وَاقٍ أَمَّنَكَ اللهُ فِي الْمَسْأَلِكِ

والله تعالى يقدر ذلك ، أنه سبحانه القادر المالك ، ثم ذهبنا إلى جارتنا الأخرى وهي حارة الجَلُوم إلى زاوية الشيخ محمد الكواكبي <sup>(1)</sup> [32ب] بلغنا الله تعالى ببركته ما نحب ونروم ، وكان لنا عند حفيده الشيخ عمر جزيثات ، فوجدناه قد تقاضاها على أتم الحالات ، وتلقانا هو وأعيان أهل المحلَّة مودعين ، وباكين من ألم الفراق متوجعين ، ثم خرجوا معنا مشاةً من باب أَنْطَاكِيَّة <sup>(2)</sup> إلى قاطع النهر ، ثم جاوزوا العمران وانتهوا إلى البرّ ، فحلفنا عليهم في العود فعادوا بعد الدُّعاء وقراءة الفاتحة ، فجزأهم الله تعالى خيراً على أفعالهم الجميلة ونيّاتهم الصّالحة ، فلما عطف المودعون بالعود لقطرهم والرجوع ، وتبرأ التابع من المتبوع ، وطفيت نيران الوداع بمياه الدموع ، ترادفت <sup>(3)</sup> على القلب أشجانه ، وتزايدت كربوه وأحزانه ، ثم وقفت هناك وقفة المسلم ، وودعت البلاد الشّاميّة وداع المتأمِّل المتألم ، وأنشدت : [من الطويل]

خَلِيلِي هَذَا مَوْقِفٌ مِنْ مُتَتَمِّمٍ  
فَمُوجَاً قَلِيلاً وَأَنْظَرَاهُ يَسْلَمُ <sup>(4)</sup>

ثم سرت وقلبي في تلك التلاع وتلك الأجارع ، وقد فارقت الصبر عند مفارقة تلك المنازع ، وودعت الجلد عند وداعي تلك المجامع والجوامع ، [33أ] وقد خامرني الفَرِقُ واستولى على جفني الأرق ، وأولعت بما يولع به المشفق ، وأنفقت دمعي وكل

(1) وردت في (ج) : «الكواكبي» مصحفة .

(2) أحد أبواب حَلَب ، وسمي كذلك لأنه يُفْضِي إلى مدينة أنطاكية ، وقد بني قبل القرن الرابع الهجري (معادن الذهب 80) .

(3) وردت في الأصل و (ج) : «ترادف» ، وما أثبتناه من (م) .

(4) البيت في معاهد التنصيص 4 : 227 منسوبة لأبي نواس وتاج المُفَرِّق 1 : 148 بلا عزو .

امرء بما عنده ينفق ، ورحم الله زهيراً<sup>(1)</sup> المهلبى ، فعن حالي عبّر بقوله : [من الطويل]  
إلى كم جفوني بالدموع قريحة  
وحتام قلبي بالتفريق خافق  
ففي كل يوم لي حنين مجدد  
وفي كل أرض لي حبيب مفارق  
ومن خلقي أني ألوف وأنه  
يطول التفاتى للذين أفارق  
وأقسم ما فارقت في الأرض موضعاً  
وئذ كراً إلا والدموع سوابق<sup>(2)</sup>

ولم أزل أسير ممتعاً من شميم عرار نجد ، ومحملاً أنفاس الصبا حقائب الوجد ،  
وقد أخذ مني البين أخذته ، وفلذ من فؤادي فلذته ، واستولت على قلبي كروب جمّة  
وخطوب مُذْهِمّة ، منها فراق الوالدة والأولاد والأهل ، وسلوكي من ذلك طريقاً ليس  
بالهين ولا بالسهل ، ثم انفرادي صحبة من لا أثق به على نفسي بعد اجتماعي بأهل  
مودتي وأنسي ، وتبلكي من أمن الإقامة بخوف السفر ، وبخشونة [33] عيش أهل  
البدو من رفاهية عيش أهل الحضر ، وتغرّبي في بلاد لم أعرفها ، واثلاثني مع وجوه  
لم ألفتها ، فصرت في حالة دونها مفارقة الحياة لولا ما أرتجيه من تدارك لطف الله ،  
فما أشبه تلك الحال بما تخيله الأمير<sup>(3)</sup> حُسام الدّين الحَاجِرِيّ الإِرْبِلِيّ<sup>(4)</sup> ، حيث  
قال : [دوبيت]

لَمَّا نَظَرَ الْعِزْدَالَ حَالِي بُهْتُوا  
فِي الْحَالِ وَقَالُوا لَوْ هَذَا عَنَّتْ

(1) سقط اسم الشاعر من (ع) .

(2) الأبيات في تاج المفرق 1 : 157 .

(3) وردت في (ع) : «الإمام» .

(4) وردت في (م) و (ع) : «الأريدي» ، وحسام الدّين هذا هو عيسى بن سنجر أبو الفضل ، انظر : وفيات

لا تحسبُ إلا أننا نعدله  
من يسمع من يعقلُ من يلتفتُ<sup>(1)</sup>

وأتمثلُ في الإنشاد بقول العماد<sup>(2)</sup> : [من البسيط]  
بالله عرفت ما بحالي صنعوا  
خلوه بنار شوقهم ينصدعُ  
ما لم أر شملي بهم يجتمعُ  
ما أحسبني بعيشتي أنتفعُ

وأتوجعُ بما ألقاه متخلِّقاً بقول زين الدين الكاتب ابن عبيد الله : [من السريع]  
لم تجهد همي ولا ولهي  
أم مفقود لها ولهُ  
ما بقاء الروح في جسدي  
غيرُ تعذيب لها ولهُ

ثم ألتمس بقول القائل متمثلاً : [من الكامل]  
وعسى إلهي أن يمنَ بنظمنا  
عقداً كما كنا عليه وأفضلاً<sup>(3)</sup>  
فلرئنا نثر الجمان تَعَمَّداً  
ليكونَ أحسنَ في النظامِ وأجملاً [34]

(1) الأبيات موجودة في تاج المفرق 2 : 126 .

(2) العماد الكاتب الأصفهاني والبيتان في تاج المفرق 2 : 130 .

(3) ورد هذا البيت في نفع الطيب 4 : 106 منسوباً لابن خفاجة ، وهي في ديوانه 208 ، ورواية البيت

الأول :

وعسى الليالي أن تمنَ بنظمنا عقداً كما كنا عليه وأكملاً

وأنسخ الوحشة بالإيناس بما جرى على لساني إذ ذاك من قول بعض الناس : [من  
مجزوء الكامل]

أبشـر بخـير عـاجـلٍ  
تنسى به ما قد مضى  
فلرب أمرٍ مسـخـطٍ  
لك في عواقبِهِ الرضى<sup>(1)</sup>

إن شاء الله تعالى ، واستمر بنا السير متصل الأعمال ، غير مخفق المساعي  
والآمال ، إلى بلوغ الشمس من غاية الرفعة المآرب ، غير منهبطة في المشارق ولا  
منحدرة في المغارب ، فوصلنا حينئذٍ إلى المنزل المبارك بظاهر قرية الأثارب<sup>(2)</sup> ، ثم بتنا  
بها ليلة الأربعاء خامس شهر شوال ، نقاسي كرب تلك الأحوال ، ونعاني خطوب  
هاتيك الأهوال ، ونعالج شدة الأشواق ، وتتوجع من ألم الفراق ، ونطرح ذوات  
الأطواق ، وننشد قول أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان في نحو هذا الشأن :  
[من الطويل]

أقول وقد ناحت بقربي حمامة  
أيا جارتا هل بات حالك حالي  
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى  
ولا خطرت منك الهموم ببالي  
أتحمل محزون الفؤادِ قوائِمُ  
على غصنِ نائي المسافة عالي [34ب]  
أيا جارتا ما أنصف الدهرُ بيننا  
تعالِي أقاسمك الهمومَ تعالي

(1) البيتان في تاج المفرق 1 : 148 بلا عزو .

(2) الأثارب : قلعة وقرية معروفة بين حَلَب وأنطاكية ، بينها وبين حَلَب نحو ثلاثة فراسخ . (معجم

تعالى تَري روحاً لدي<sup>(1)</sup> ضعيفاً  
ترددُ في جسم يُعذبُ بالي  
أيضحك مأسورٌ وتبكي طليقةً  
ويسكتُ محزونٌ ويندُبُ سالي  
لقد كنتُ أولى منك بالدمع مقلّةً  
ولكن دمي في الحوادث غالي<sup>(2)</sup>

فلما طرب طائر السحر ، وأذهب نسيمه ما بقلب الساهر من الوخر<sup>(3)</sup> ، وطرزت  
طرة الظلام يد الإصباح ، وأرسل الفجر في رداء الليل<sup>(4)</sup> خيط الصباح ، ترخّلنا من  
ذلك المنزل بعد صلاة الصبح ، وسألنا من الله تعالى المعونة والنجح ، ثم جزنا وقت  
الإشراق على الرصيف ، وهو عجيب الوضع والترصيف ، طول<sup>(5)</sup> نصف ميل أو ينقص  
عنه بقليل ، ثم سرنا بوادي العمق<sup>(6)</sup> ونزلنا بوسطه وسايرنا النهر الجاري هناك وحللنا  
بشطه<sup>(7)</sup> ، وذلك وقت الضحى الأعلى من النهار ، وما أشبه ذلك المنزل بقول أبي  
القاسم بن العطار : [من الطويل]

نزلنا بشاطى النهر بينَ حدائق  
بها حدقُ الأزهار يستوقفُ الحدقُ

(1) وردت في (ع) : «لذي» .

(2) الأبيات موجودة في وفيات الأعيان 2 : 63-64 .

(3) الوخر : الغيظ والحقد ، وفي الحديث : «الصوم يذهب بوخر الصدور» . (لسان العرب 5 : 281) .

(4) وردت في (م) : «السحر» .

(5) وردت في (م) : «طوله» .

(6) وادي العمق : كورة بنواحي حلب بالشّام كانت قديماً من نواحي أنطاكية . انظر : معجم البلدان 4 :

(7) وردت في الأصل وفي (ع) : «بسطه» ، وما أثبتناه من (م) .



وقد نَسَجَتْ كَفَّ النَّسِيمِ مُفَاضَةً  
 عَلَيْهِ وَمَا غَيْرُ الْحُبَابِ لَهَا حَلَقٌ<sup>(1)</sup>

فنزلنا [35] هناك كيما نستريح ونقيل ، ونزيع علل الرفاق والدواب ونزِيل ، ثم أخذنا في التجميل والترحيل ، وسرنا نحث في المسير والرحيل ، فوصلنا منزلة يفره<sup>(2)</sup> وقد تضمخت صفحات الربى بنخلوق الأصيل ، وأزَّزَمَت المطايا على الدعة أَرْزَامَ الفَصِيل ، بعد أن قطعنا جسرهما الطويل ، وهو جسر محكم البناء مَتَّسِعُ الفناء لكنه تهدم من طول<sup>(3)</sup> الزمان ، وعليه مكتوب : عمارة مولانا السُّلْطَانُ المَلِكُ الأَشْرَفُ قايتبائي ، تغمده الله بالرحمة والغفران ، فبتنا بها تلك الليلة ، وهي ليلة الخميس ، فلما تبسّم وجه الشرق بعد التعبيس ، وأذن روح الصبح بالتنفيس ، رحلنا الخيل والبغال عوضاً عن حمر النعم والعيس ، ثم سرنا ذلك النهار وهو سادس شوال جامعين بين الاعتكار والتغليس ، في عقاب من عقبات ، وحدر<sup>(4)</sup> من مهاوي حدرات ، وغياض وأشجار ، وفياف وقفار ، ومهامة<sup>(5)</sup> ينقطع فيها الرفيق عن الرفيق ، ومسالك [35] غاية في السعة وأخرى نهاية في الضيق ، وكان ابتداء السير في ذلك النهار : [من البسيط]

في بسيط من الفيافي إذا ما  
 سَابَقَ الطرفُ فيه عادَ حسيِرا  
 وانتهينا إلى عقاب وجدنا  
 في ذراها من العقاب كشيِرا  
 وسلكنا ما بين حَزْنٍ وَسَهْلٍ  
 وقطعنا دمائياً ووعورا

(1) البيتان في نهاية الأرب 1 : 284 ، ومعاهد التنصيص 2 : 98 .

(2) وردت في الأصل «يفرى» وما أثبتناه من (م) و (ع) .

(3) وردت في (م) و (ع) : «من تطاول» .

(4) وردت في (م) : «حذر» .

(5) وردت في (ع) : «ومقامة» .

وَصَعَدْنَا إِلَى السَّمَاءِ ارْتِفَاعاً  
 وَهَبَطْنَا إِلَى الْقَرَارِ حُدُوراً  
 وَقَضَيْنَا مَنَاسِكَ الِهَمِّ فِيهِ  
 وَنَفَرْنَا مِنَ الْكُرُوبِ نَفُوراً

فأول عقبة تلقيناها عقبة بَغْرَاص<sup>(1)</sup> ذات الجموح والشماس ، فما حصل منها النجاة والخلاص ، حتى زالت الشمس ولات حين مناص ، وهي مشتملة على أشجار خضرة ، ومفاوز مقفرة ، ومسالك مزلة وعرة ، ودورات ولفترات وعطفات وفتلات ، وفي آخرها خان ومقيل ، وأشجار عظيمة تحتها ظل ظليل ، ونسيم يشفي العليل ، (ومياه كثيرة)<sup>(2)</sup> خصرة تروي الغليل ، وهناك مسجد قديم البنيان ، يجري الماء فيه في مثل الشاذروان<sup>(3)</sup> ، ويتحدر في ذلك المكان على حصباء [36] كالدر والمرجان ، وقد قيل : [من الكامل]

وتحدت الماء الزلال مع الحصا  
 فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى  
 وكان فوق الماء وشياً ظاهراً  
 وكان تحت الماء دُراً مُضمراً<sup>(4)</sup>

فيا له من نعيم في عقاب ورحمة بعد عذاب ، وراحة في بؤس ، وبشر في عبوس ،

(1) وردت في الأصل و (ع) : «بقراص» وما أثبتناه من (م) ، وعند ياقوت (1 : 467) : «بَغْرَاص : مدينة في لحف جبل اللكام ، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حَلَب . وانظر أيضاً : أخبار الدول 3 : 337 ، صبح الأعشى 4 : 122 .

(2) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(3) الشاذروان : يطلق على قسم من نهر أو قاع نهر قد رصفت في أرضه الحجارة وبنيت جوانبه بها لضبط الماء في النهر . (لسترايخ 82) .

(4) البيتان في تاج المَفرق 1 : 275 .

فترامينا على ذلك الماء الزلال ، وارتمينا بين<sup>(1)</sup> تلك الظلال ، فاسترحنا ساعة في ظل تلك الشجرات ، ونقعنا العُلة<sup>(2)</sup> من ذلك العذب الفرات ، وخفف عنا ذلك النسيم من شدة السموم بعض ما نجد ، حتى كان ذلك المكان بقول المَنَازي<sup>(3)</sup> قد قصد : [من الوافر]

وَقَانَا وَقَدَةَ الرُّمَضَاءِ ظِلُّ  
سَقَاهُ<sup>(4)</sup> مَضَاعَفُ الظِّلِّ<sup>(5)</sup> العميم  
نزلنا دَوْحَهُ فَسَحْنَا عَلَيْنَا  
حُنُوقَ المَرَضِمَاتِ عَلَى الفَطِيمِ  
يُرَاعِي الشُّنْسَ أَنَّى قَابَلْتَنَا  
فِيحْجُبُهَا وَيَأْذُنُ لِلنَّسِيمِ<sup>(6)</sup>  
وَسَقَانَا عَلَى ظَمِيرِ زُلَالٍ  
أَلْذَمِنَ المُدَامَ مَعَ النَّدِيمِ  
تَرَوُّعُ حَصَاةِ حَالِيَةِ العِذَارِي  
فَتَلَمَسُ جَانِبَ العَقْدِ النِّظِيمِ<sup>(7)</sup> [36ب]

(1) وردت في (ع) : «من» .

(2) العُلة : العطش الشديد .

(3) وردت في الأصل وفي (ع) : «المنادي» والصواب ما أثبتناه وهو : أحمد بن يوسف السليكي ، شاعر توفي سنة 437هـ .

(4) وردت في (ع) : «وقاه» .

(5) وردت في (م) : «النبت» .

(6) ورد عجز البيت في (ع) : «فتلمس جانب العقد النظيم» .

(7) وردت في (ع) : «التعظيم» ، والأبيات موجودة في وفيات الأعيان 1 : 143- ، والتذكرة الفخرية

للأربلي 390 ، ورفع الحجب المستورة 1 : 125 .

وتعارفنا في ذلك المكان بالقاضي كمال الدين التادفي قاضي<sup>(1)</sup> حَلَب ، ثم مَكَّة كان فوجدنا عنده لطافة وحشمة وظرافة ، ثم صار بيننا وبينه أكد صحبة وأشد مودة ومحبة ، ثم استقبلنا من ذلك [المحل و<sup>(2)</sup>] المركز ، العقبة المعروفة بعقبة المركز ، وهي عقبة طويلة مديدة صعبة وعرة شديدة ، تقطع الأسباب ، وتخلع الألباب ، وتذكر بالصراط والميزان والحساب ، كأنما الخطابي<sup>(3)</sup> عنها بقوله : [من الطويل]

سَلَكْتَ عَقَاباً فِي طَرِيقِي كَأَنَّهَا  
صَيَاصِي دِيُوكٍ أَوْ أَكُفَّ عُقَابِ  
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ ذَنْبِي أَحْطَا بِبِي  
فَكَانَ عِقَابِي فِي سَلُوكِ عِقَابِ<sup>(4)</sup>

ورأينا في طيِّها معدن الدُّهْنِج ، وجبالاً من آس عرف طيبها يتأرجح ، وغياض ماؤها سلسبيل وطلها سَجَسَج ، ورياض سقفاها مفوف وبساطها مديج ، وقفار نيران حرَّها يتوهج ، وسمومها يلفح الوجوه ويلفج ، وسبل وعرة المدرج عسرة المنهج ، يضيق الصدر من حَزُونِهَا<sup>(5)</sup> ويحرج ، فلم نزل نرقى ربوات يخيل لراقبها أنه لامس النجوم ، ونهبط وهدات [37] يظن<sup>(6)</sup> من هوى فيها أنه لابس التخوم ، ونسلك مسالك كالصراط إلا أنه غير المستقيم ، يضل العقل فيها ويتحير ويهيم ، ويقاسي القلب من هولها العذاب الأليم ، وقد اشتدت حمارة القَيْظ ، والنفوس من جواز تلك العقبة الكؤود تكاد تميز

(1) سقطت كلمة «قاضي» من (ع) . وكمال الدين التادفي هو : محمد بن يوسف بن عبد الرحمن المتوفى سنة 956هـ ، انظر ترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 63- ، شذرات الذهب 10 : 449 ، إعلام النبلاء 5 : 523- 528 .

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل وعوضناها من (م) و (ع) .

(3) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان الخطابي .

(4) البيتان في يتيمة الدهر 4 : 336 .

(5) الحَزُونُ : جمع حَزَنٌ ، ما غَلَطَ من الأرض .

(6) وردت في (ع) : «نطق» .

من الغيظ . فلم نزل ذلك اليوم في شغل شاغل حتى جمعنا بين طرفي البكر والأصائل ، وولّى ذلك النهار الطائل وعطفه في الثوب القصير رافل ، وأخذت الشمس في الاصفرار من ذلك المنظر المهول ، وعزمت على الفرار وصممت على الأفول ، فنزلنا حينئذٍ بمرج متسع قاطع قلعة المركز ، قد ألبسه الربيع ثياباً سُندسيةً طرفها<sup>(1)</sup> بأنواع الزهر وطرز ، وسحب عليه النسيم أذياله ، فاكتست من عرفه شذا ، وجرت في خلاله عيون كالأنهار سالمة<sup>(2)</sup> من الكدر والقذا ، ودارت كاسات رحيقها فانثى الغصن مستنبذاً ، وروى العشب واغتذا ، وجاوره البحر المالح فلم يحصل له بمجاورته أذى ، [37ب] فبتنا بتلك البقعة المتسعة ليلة سابع شوال وهي ليلة الجمعة ، ورحلنا منها عندما اكتهل الليل وشاب ، وأقبل النهار يخطر في برود الشباب ، وغردت الحمام على أعوادها ، وأعربت بعجمتها عما أكتته من الشجو في فؤادها ، فأثارت تباريح أشجان لم تبرح ، وأفاضت مياه أجفان لم تنزح ، وترنمت متمثلاً في تلك البقاع بقول عديّ ابن زيد المعروف بابن الرِّقَاع العاملي<sup>(3)</sup> : [من الطويل]

وما شجاني أنني كنت نائمًا  
أعلل من برّد الكرى بالتنسيم  
إلى أن دعت ورقاء في غصن أيكّة  
ترددُ مبكّاهها بحُسن الترميم  
ولما تلاقينا وجدتُ بنانها  
مخضبةً تحكى عُصارةً عنْدَمِ  
فقلت خضبت الكفُّ بعدي هكذا  
ولم تحفظني عهد المشوق المتيم  
فقلت وأذكت في الحشا لاجع الهوى  
مقالة من الودِّ لم يتبرم

(1) وردت في (م) : «فوفها» .

(2) وردت في (ع) : «سالمة» .

(3) سقطت هذه الكلمة من (م) و (ع) ، وبعض هذه الأبيات في ديوان ابن الرِّقَاع ص 266 .

بكيتُ دماً يوم النوى فمسحته  
 بكفي فاحمّرتُ بناني من دمي  
 وحَقِّكَ ما هذا خضابٌ خضيبَةٌ  
 سوى أنت بالهنان والروم متهم<sup>(1)</sup>  
 ولكنني لما رأيتك راجلاً  
 وقد كنتَ لي كفي وزندي ومعصم  
 فلو قبل مبكاها بكيتُ صبابةً  
 لسعدي شفيتُ النفس قبل التندّم [38أ]  
 ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا  
 بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ثم سرنا في بسيط من الأرض عريض مرآه لا يخترقه النسيم بمسراه ، يكاد البصر  
 يقف عند مداه<sup>(2)</sup> مشتمل على ربيع مريع<sup>(3)</sup> ذي زهو بديع ، وأشجار من الأس عنبرية  
 الأرواح والأنفاس ، يجلب منظرها أنواع الإيناس ، ثم نزلنا الضحى الأعلى كيما  
 نستريح ونريح ، ونزيل بعض العلل ونزيح ، بمكان قرب قراقابي ومعناه الباب الأسود ،  
 وهو باب قديم مقنطر بالحجارة السود ، مرصّف<sup>(4)</sup> منضّد ، لكنه من تطاول الزمان قد  
 تهدّم وتهدد ، ثم سرنا منه فنزلنا (والشمس قد)<sup>(5)</sup> عصفت أبرادها ودنى<sup>(6)</sup> في

(1) سقط هذا البيت والذي يليه من الأصل و (م) .

(2) قرأت في رحلة ابن جبير (ص 231) عبارة مشاكلة ومشابهة لهذه حيث قال في الحديث عن

حمص : «موضوعة في بسيط من الأرض عريض مداه ، لا يخترقه النسيم بمسراه ، يكاد البصر يقف  
دون منتهاه . . .» .

(3) مريع : خصيب .

(4) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(5) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(6) وردت في (ع) : «والى» .

العين الحمئة إيرادها بمكان يعرف بأستك ، بهمزة مفتوحة على وزن مرتك ، عند عين ماء غير تجاه بسطه ، وربيع قد فرش بسطه ، وأظهر سروره وبسطه ، وأخرج سوسانه ولسانه وقرطه ، فبتنا به ليلة السبت ثامن شوال ، ثم عزمنا على الترحال وشدنا الخيل وحملنا البغال [38ب] : [من البسيط]

حين شاب الدجى وخاف من الهجر  
فغطى المشيب بالزعفران<sup>(1)</sup>

فلما سرنا قليلاً لحقني الأمير جاتم ومعه جماعة فسلموا وقالوا : أردنا المشول لخدمتكم في هذه الساعة<sup>(2)</sup> . فقلت : ما الخبر؟ فقالوا : سؤال حضر . فقلت : ما السؤال ؟ فتقدم الأمير جاتم وقال : هو عن قوله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾<sup>(3)</sup> فقلت : ما المقصود؟ فقال : الضمير في خَلَقَهُ وما بعده على من يعود؟ فقلت : على عيسى . فقال : قد وقع بين علماء القاهرة فيه إشكال فإنه قال خَلَقَهُ من تُرابٍ فتم الخلق بهذا المقال ، ثم قال له كن هذا تحصيل حاصل أي وهو محال ، فقلت : كلا ، بل المقصود بقوله خَلَقَهُ من ترابٍ صور هيكلة الجسماني ، وبقوله ثم قال له كن نفخ فيه الروح وأتم فيه البشرية والخلق الإنساني . فشكر وأثنى وذكر أن ذلك التحقيق لم يسمعه إلا مناً ، ولم يزل يتودد ويتواضع ويتلطف ويتخاضع ، فلما تعالى النهار وترافع ، وتوالى حره وتتابع ، وصلنا إلى مدينة المصيصة<sup>(4)</sup> بعد أن سلكنا مسالك وعرة عويصة ، [39أ] وهي مدينة بكثرة الأشجار والمياه مخصوصة يجري بفنائها نهر جيحان وبها عليه جسر عظيم البنيان ، وعليها بابان يقفلان عليه إلى الآن ، وقد كانت من غرر البلدان ، وانتشأ بها جماعة من الأعيان ، لكنها الآن خربت ،

(1) البيت في معاهد التنصيص 2 : 98 منسوباً لأبي العلاء المعري .

(2) وردت في (ع) : « المشاعة » .

(3) سورة آل عمران آية 59 .

(4) المصيصة : مدينة على شاطئ جيحان ، من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم ، تقارب طرسوس .

(معجم البلدان 5 : 145) .

وأكلت الدهور على محاسنها وشربت ، وتركت ساحتها كدار مية بالعلياء فالسند ،  
وغادرتها منفضة الفناء منفضة البناء ، كأن لم يكن بها سيد ولا سند ، ولم يغن بها  
(1) بالأمس أحد ، لم يبق منها غير رسومها الواهنة الواهية ، وأطلالها العالية البالية ،  
وأزقتها الخالية الخاوية : [من الطويل]

طلولٌ إذا دمعي شكا البينَ بينها  
شكا غير ذي نُطقٍ إلى غيرِ ذي فَمهم (2)

(وقد تراجعت الآن في العمران والتحقت بصغار البلدان) (3) .  
وجيَّحان (4) بجيم بالفتح ثم ياء آخر الحروف بالسكون ، ثم حاء مهملة وآخره نون ،  
نهرٌ معروف بالعظم ، زاخر الأمواج كالبحر الخضم (5) ، يقارب في كبره نهر الفرات ،  
وماؤه لطيف عذب فرات ، يلتوي التواء الأرقم ، وينسحب انسحاب المحرم ، وينعطف  
انعطاف السوار بالمعصم : [من الطويل]

فَجَذولُهُ في سَرْحَةِ الماء مُنصلٌ  
ولكنه في الجزع عطفٌ سوار [39ب]  
وأواجهُ أردافُ غييدِ نواعِمِ  
تَلْفُفنَ بالأصاالِ رَبطُ نُضارِ (6)

(1) وردت في (ع) : «ولم يضربها» .

(2) البيت في تاج المَفْرُق 2 : 17 .

(3) ما بين القوسين ساقطٌ من (م) و (ع) .

(4) جيَّحان : نهرٌ مخرجه من بلاد الرُّوم ويمر بالمصيصة حتى يصبَّ بمدينة كفربيا من نواحي المصيصة .

انظر : معجم البلدان 2 : 196 .

(5) وردت في (ع) : «الخضم» .

(6) البيتان في معاهد التنصيص 2 : 95 منسوبة للخطيب أبي القاسم بن معاوية .



ولابن الأَبَّار<sup>(1)</sup> : [من الطويل]

وَنَهَرِ كَمَا ذَابَتْ سَبَائِكُ فَضَّةٍ  
حَكَى بِمَحَانِيهِ أَنْعَاطَ الْأَرَاقِمِ  
إِذَا الشَّقَقُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ اخْمِرَارُهُ  
تَبَدَّى خَضِيباً مِثْلَ دَامِي الصُّوَارِمِ

ير ببلاد السيس بين تلك الجبال والشعوب ، ثم يسير في حدود بلاد الرُّوم من الشمال إلى الجنوب ، في وداة وجبال وتلال ، حتى ير بالمصَيِّصَة من جهة<sup>(2)</sup> الشمال ، ويسير بجوانبها من مشارقها إلى مغاربها ، فلما وافيناها وحللنا بها نزلنا بها في علوة ، وذلك يوم السبت ضحوة ، يصاحبنا<sup>(3)</sup> الهواء الرطب ونسيمه ، والأرج العنبري وتقسيمه ، والنفس النجدي الذي هو في الصحّة شقيقه وقسيمه ، في ظل شجرة بَطْم في غاية الكبر والعظم ، كثيرة الأغصان ، غزيرة الأفنان ، يكاد<sup>(4)</sup> يستظل بظلها أكثر من ألف إنسان . ذات طول عظيم وقوام قويم ، يرجع عن بلوغ طرفها طرف العين كليلاً ، ولا يشفى من نظره لأعاليها عليلاً ، ولا يروى من ترائيه لأقاصيها غليلاً ، وقد قسنا أصلها باليدين فكان أربعة<sup>(5)</sup> باعات وشبرين ، قد فاقت [40] الأشجار طيباً ونضرة وعظماً ، فيا لها من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، فهي من أغرب ما عايناه وأعجب ما شاهدناه ، وقد جرى في نعتها والقريحة جامدة ، ونيرانها بعد ذكاتها<sup>(6)</sup> وتوقدّها خامدة ، ما تمثله الجنان ونطق به اللسان ورقمه البنان ، وهو قولِي : [من البسيط]

(1) ورد في (ع) : «ابن الأنبار» وهو أبو عبد الله محمد ابن الأَبَّار القضاعي البلنسي المتوفى سنة 658هـ ،

والأبيات في ديوانه 291 .

(2) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(3) وردت في (م) و (ع) : «فصاحبنا» .

(4) وردت في (ع) : «تكاد» .

(5) وردت في جميع النسخ : «أربع باعات» والصواب ما أثبتناه .

(6) وردت في (ع) : «ذكاتها» .

يا سرحةً سرحت في شطِّ جَيْحَانَ  
 وزاحمت في علاها برجَ كِيَوَانِ  
 فروعكِ الشَّمُّ لا تُخْصِي قِوَاعِهَا  
 والأصلُ أربعُ باعاتٍ وشبيرانِ  
 لنا بظلكِ مَفْنَى لَمْ يُشَبَّ بَعْنًا  
 فنونُ أفِيَاءِهِ من فيءِ أفنانِ  
 به نسيمٌ يصفى الروحَ من كَدَرِ  
 وينعش القلبَ من تبريحِ أشجانِ  
 يعمّنا في زمانِ القَيْظِ منك نَدَى  
 لو أنْ أقوامنا في العَدِّ أَلْفَانِ  
 هذا هو الجودُ لا ما قيل من قدم  
 عن حاتمٍ وعدي وابنِ جَدْعَانَ<sup>(1)</sup>  
 لآلت مخضلة الأغصانِ يانعة  
 يسقيك كل ملت القطرِ هَتَّانِ

فقيّلنا<sup>(2)</sup> في ظلها إلى أن استوفى النهار حدَّ الانتصاف ، وانتصفنا بحماها من  
 حموه غاية الانتصاف ، ثم سرنا تارة في ظل وأخرى في حرور ، [40ب] وطوراً نتجد  
 وأونة نغور ، حتى كادت عين الشمس تغور ، فوصلنا حينئذ مدينة أدنة<sup>(3)</sup> ، وهي  
 مدينة صغيرة مستحسنة ، قد استوعبت من الظرف أجناسه وأنواعه ، واستوعبت من  
 اللطف شيمة وطباعه ، ذات رياض أنيقة وأشجار وريقة : [من الوافر]

(1) وردت في (م) : «ابن جدعان» .

(2) من القيلولة وهي نوم الظهيرة عندما يشتد الحر ويقوى .

(3) مدينة في تركية على حافة نهر سيحان . وتدعى اليوم أضنة ، تقع شرق طرسوس على نحو يسير .

انظر : معجم البلدان 1 : 132 ، أخبار الدول 3 : 304 . صبح الأعشى 4 : 143 .

وحدائقُ تشببِكُ وشىُ برودها  
حتى تشبهها شبائبَ عَنقَرِ  
يجري النسيمُ خلالها وكأنما  
عُمِسَتْ فُضُولُ رِدائِه بالعنبر<sup>(1)</sup>

ومساكن حسنة بأهلها معمورة وأسواق بجميع ما يحتاج اليه مغمورة ، ويتوصل إليها من جسر عظيم على نهر سَيحَان ، ويمر بخلالها وجوانبها هذا النهر كالشعبان ، وعليه نواعير تسقي ما هناك من البساتين والغيطان ، وهي بمدينة حَمَاة أشبه البلدان ، والنهر المذكور هو بسين مهملة مفتوحة ثم ياء تحتية بالسكون ثم حاء مهملة وآخره نون ، نهرٌ عظيم يعدُّ من الأنهار الكبار ، وهو يقارب في كبره نهر جَيحَان المار ، وهما كما قال النوويّ شيخ الإسلام وقطب الأنام على الإطلاق [41] غير سيحون وجيحون اللذين هما من الجنّة بالاتفاق ، فنزلنا داخل باب المدينة في مسجد صغير ، وبجانبه بئر ماء عذب<sup>(2)</sup> معين نغير ، فاسترحنا فيه ساعة حتى تكاملت الجماعة ، ثم دخلت جامعها الكبير وقت المغرب فصليتها فيه والعشاء معاً ، واجتمع بي الإمام والمؤذن فسَلِّمًا عليّ والتمس كل منا من صاحبه الدُّعاء ، ثم سرنا هجمة الدِّيَجُور<sup>(3)</sup> إلى محل الوطاق بشط النهر المذكور ، وهو مكان بديع قد عَدَّب ماؤه ، وراق روضه ورق هواؤه ، وتفسحت مساحاته ومارجت أرجاؤه ، وقد أهدى اليه الربيع نوافحه<sup>(4)</sup> ، وأسدى لواقحه ، وأسدل ملاحفه ، وأسبل مطارفه ، وألان معاطفه ، وأفاض معارفه ، وأصفى<sup>(5)</sup> ملبسه ، ووشى سندسه ، وحدّق أحداقه ، وأرخی أوراقه :

[من الطويل]

(1) البيتان في تاج المرفق 2 : 154 . وفي معاهد التنصيص 2 : 37 منسوبة لابن المعتز .

(2) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(3) الدِّيَجُور : الظلمة الخالكة .

(4) وردت في (ع) : «نوافحه» .

(5) وردت في (م) : «وأصفى» .

وتبسمَ ثغرُ النورِ عن شَنِبِ القَطْرِ  
وَدَبَ عِدَارُ الظلِّ<sup>(1)</sup> في صفحةِ النهرِ<sup>(2)</sup>

فزينت الأرض مشهورة ، وحلّت الروض منشورة ، والبسيطة قد مدت بساطاً [اب] مفوقاً ، وأهدت من ذخائرها أطفافاً وتحفاً : [من الكامل]  
فالنور عقد والغصون سوافاً  
والجَزْعُ زَنْدٌ والسَّرى سوار  
رَقَصَ القَضيبُ بها وقد شرب الثرى  
وشدا<sup>(3)</sup> الحمامُ وصفق التيار<sup>(4)</sup>

فأقمنا هنالك تلك الليلة ، وهي ليلة الأحد تاسع شوال ، ثم يوم الأحد بالتمام والكمال ، ثم نحو الثلثين من ليلة تسفر عن يوم الاثنين ، ونحن ما بين ربيع ورتبع ، وزهر ونهر ، وموج ومرج ، وحدائق وماء دافق ، ورياض ونهر فياض ، ونسيم وتسليم ، وجنة ونعيم ، وروح وريحان ، وعرف من الجنان ، ودولاب يحنّ حين المستهام ، المدنف من شدة الغرام ، ويطارح بشجوه سجع الحمام ، كما قيل : [من الكامل]

للهِ دولابٌ يَفِيضُ بسَلْسَلِ  
في رَوْضَةٍ قد أِينَعَتْ أفنانا  
قد طارَحَتْه به الحمامُ شَجوها  
فِي جَيْبِها ويُرجِعُ الألحانا  
فكأنه دَنَفٌ يَدورُ بِمَعهدِ  
ضاقت مجاري طَرْفه عن دَمِعِه

(1) وردت في (ع) : «الظل» .

(2) هذا البيت لابن النبيه انظر ديوانه ص 37 .

(3) وردت في (م) : «وشدا» .

(4) البيتان في تاج المفرق 1 : 159 بلا عزو .

يبكي ويسألُ فيه عَمَّنْ بانا  
فتفتحت أضلاعه أجفانا (1) [24]

وذلك النهر يجول (2) في حلة فضية تذهبها الشمس بكرة وأصيلا ، ويجلوا صداها صيقل القمر ليلاً ، ونهر عطفه خيلاً ، ويسحب (3) في تبخرته بين الرياض ذيباً ، فتناديه تلك الأشجار على رسلك فـ ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ (4) وتلقانا في ذلك المقام جماعة من الأصحاب ما بين عرب وأروام قاصدين بلاد الشام ، فتلقينا بالتحية والسلام ، وجمعنا بين السلام والوداع ، وذيلنا الافتراق من ذلك الاجتماع ، وأنشدتهم والقلب بالفراق منكوي ، والجسم على نيران الفؤاد محتوي ، لفخر الرؤساء الشريف الرضي الموسوي : [من البسيط]

والدمعُ تنحدرُ من الأماق  
وتفورُ من جوانبِ الأحداقِ  
أيها الرائحُ المجدُ تحمّل  
حاجةً للمتيمِ المشتاقِ  
وأقرِ عني السلامَ أهلَ المصلَى  
وبلاغُ السلامِ بعضُ التلاقِ  
وإذا ما مررت بالخيفِ فاشهدْ  
أنَّ قلبي إليه بالأشواقِ

(1) هذه الأبيات موجودة في حسن المحاضرة 2 : 399 ورفع الحجب المستورة 1 : 136 منسوبة في كليهما لنور الدين علي بن سعد الأندلسي ، وفي نهاية الأرب 1 : 384 منسوبة إلى أبي حفص بن وضاح .

(2) وردت في (ع) : «يجول» .

(3) وردت في (م) : «وتسحب» .

(4) سورة الإسراء آية 37 .

وإذا ما سئلت عني فقل  
 وما أظنه اليوم باق<sup>(1)</sup>  
 ضاع قلبي فأنشده لي بين جمع  
 وهى عند بعض تلك الحداق [42ب]  
 وابك عني فطالما كنت  
 من قبل أغير الدموع للعشاق<sup>(2)</sup>

ثم ترحلوا عنا ، وأشأموا وأتهمنا ، والشوق بالجوانح مكتنف ، والدمع من الأماق  
 منذرف ، والقلب ذاهب معهم لم يستقر ولم يقف ، فصارعت مرامه ، وأنشدت أمامه :  
 [من مجزوء الكامل]

لله أي هوى برامته  
 حيث القلوب المستهامة  
 لم يبق قلب في الحصى  
 إلا وقد أعطى زمامه<sup>(3)</sup>  
 بالله يا حادي القلوب  
 إذا رجعت مع السلامة  
 فناخدغ فؤادي عليه  
 يرعى لمنزله ذمامه<sup>(4)</sup>

فلما مضى من ليلة الاثنين عاشر شوال ، مقدار أقصى ما يوصى به المريض من

(1) سقط هذا البيت من (م) و (ع) وكتب في الأصل على الهامش بخط مغاير .

(2) الأبيات موجودة في نسيب الشريف الرضي (الحجازيات) 98-99 .

(3) سقط هذا البيت والذي يليه من (ع) .

(4) الأبيات في تاج المفرق 1 : 295 بلا عزو .

المال<sup>(1)</sup> ، حكمننا على معزول السرى بالاستعمال ، ومتواني السير بالاستعجال ، ولم نزل<sup>(2)</sup> نجهد في سلوك مهامة تجمع بين النفس والجزع ، وتتصيد عنقاء البسالة في شرك الفرع ، ونصعد أنف كل تنوفة وثنية ، ونعقد لجهاد كل ماذق<sup>(3)</sup> ومارق أفضل نيّة<sup>(4)</sup> [43] ما بين غابات أشجار تضيق الأنفاس ، أحسن أنواعها البُطم والبُلوط وشيء قليل من الأس ، فقيّلنا بحدرة من جملة الهيش ، بها بعض ماء حار وحشيش ، وبتنا ليلة الثلاثاء بمكان من جملة جبال الورسَخ ، بين غابات محتبكة وجبال شُمخ ، لا مغيث بها لمظلوم ولا مستصرخ ، فبت ونيران الفؤاد لا تتبوخ ، وغليلة لا يروي ولا ينفخ ، والصدر لا يتفسح<sup>(5)</sup> من كربه بل يتفسخ ، والضلوع تقصف من بعض ذلك وترضح ، والدموع تنضح صحن الخد وتنضح ، وأنا متمثل بقول القائل : [من الطويل]

أحبائي<sup>(6)</sup> مالي بحياتي نفعُ  
 مذ عزّ لشملنا بشت<sup>(7)</sup> جمعُ  
 في الليل إذا أرقتني ذكركم  
 أبكي أسفاً جهد المقل الدمع<sup>(8)</sup>

ويقول الآخر : [من مجزوء البسيط]

(1) وهو الثلث .

(2) وردت في (ع) : «يزل» .

(3) وردت في جميع النسخ (مازق) والصواب ما أثبتناه ، والمذق : المزج والخلط ورجل ماذق : كذّاب .

(4) وردت في (ع) : «نبيه» .

(5) وردت في (ع) : «ينفسح» .

(6) وردت في (م) : «أحبائي» .

(7) وردت في (ع) : «ست» .

(8) البيتان في تاج المفرّق 2 : 127 منسوبة لحسام الدّين الحاجري الأربلي .

الشوق إليكم شديدُ البسرح  
 والوجدُ يجعلُ شرخه عن شرح  
 صبراً فعمى سماؤه أن تصحى  
 لا بد لكل ليلةٍ من صبح<sup>(1)</sup> [43ب]

ثم رحلنا من ذلك المكان عندما شاب مفرق الليل ، وولى من الصباح مشمر الذيل ، وبرز الفجر من خباته ، وبسط على العالم رداء<sup>(2)</sup> ضيائه ، فما سرنا إلا قليلاً حتى تلقنا عقبة الكولك<sup>(3)</sup> ، وهي عقبة عسرة المذهب وعرة المسلك ، ضيقة المدارج متشعبة المناهج ، متعددة الهبوط والصعود ، متزايدة التهائم والنجود ، كأن نجودها صعود إلى السماء ، وأغوارها نزول إلى قرار الماء ، فدخلنا بها<sup>(4)</sup> في أمر عظيم ، وطريق غير مستقيم ، وعذاب يوم عقيم ، بينا نحن في عقاب عقاب إذا نحن في مهاد وهاد ، وبينما نحن في رأس جبل إذا نحن في بطن واد . نهبط فنظن أن قد بلغنا من الأرض أدناها ، ونرقى فنتوهم أن قد تناولنا من السماء سهاها ، ونسلك سبلاً تحار فيها القطا ، ولا تهتدي إليها الخطى ، ويكثر من طارقها وأن ألفها الخطأ ، فهي كما وصفها أو نظيرها<sup>(5)</sup> مولانا المقر الكريم ، مولانا السيد بدر الدين عبد الرحيم<sup>(6)</sup> بقوله [44]: [من مجزوء الرمل]

(1) البيتان لعماد الدين الكاتب الأصفهاني وموجودة في تاج المفرق 2 : 130 .

(2) وردت في (م) : « بساط » .

(3) حدّد القلقشندي (4 : 135) موضعها : على رأس جبل شمالي طرسوس بنحو مرحلة ، وهي قلعة مدورة يسكنها التركمان ، وهي من فتوحات السلطان بايزيد سنة 888هـ . وانظر : المنح الرحمانية 55 ، قاموس الأعلام 5 : 3925 .

(4) وردت في (ع) : « فدخلناها » .

(5) وردت في (ع) : « نظير » .

(6) السيد عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي (ت963هـ) تقدم التعريف به في مطلع الرحلة .



كم عَقَابٍ فِي عَقَابِ  
 دُونَهَا مَسْرُ السَّحَابِ  
 لَيْسَ لِلطَّيْرِ رُقْيَا  
 فَوْقَهَا حَتَّى الْعُقَابِ  
 حَالٍ مِنْ يَرْقَى إِلَيْهَا  
 كَرَقِي فِي اضْطِرَابِ  
 كَمَا أَنْ يَكُنْ <sup>(1)</sup> مِنْ يَرْقَى  
 إِلَيْهَا لَمَسَ الشَّهَابِ  
 حَارَتِ الْأَفْكَارُ فِيهَا  
 بَيْنَ هَاتِيكَ الشَّمْعَابِ  
 وَأَنْشَى الْعَقْلُ ضَلِيلًا  
 بِأَسَى تَلِكِ الْهَضَابِ  
 وَرَبَا الْكَرْبُ أَزْدِيَادًا  
 مُذْ بَدَتْ تَلِكِ الرُّوَابِي  
 وَدَمَّوعُ الْعَيْنِ تَجْرِي  
 بِجَفْفَانِ كَالْجَوَابِ  
 يَسْدُرُ الْمَرْءُ فَلَا يَقْوَى  
 عَلَى رَدِّ الْجَوَابِ  
 وَإِذَا يَهْوِي أَنْحَادًا  
 صَارَ فِي أَقْصَى التَّرَابِ  
 كَمْ سَقِيطٍ صَارَ مِنْهَا  
 فِي أَفْئَانِ الْعَذَابِ  
 مَنْ يَقُمْ مِنْهَا صَحِيحًا  
 كَانَ فِي أَفْقِ <sup>(2)</sup> التَّحَابِي

(1) وردت في (ع) : «يكن» .

(2) وردت في (ع) : «أوفى» .

## فَسُدُّوْا الْمَرْءَ عَنْهَا أَبْدَأْ عَيْنِ<sup>(1)</sup> الصَّوَابِ

ورأينا بهذه العقبة أشجار صنوبر كالسوارى ، يُتخذ منها أعظم ما يكون من الصوارى ، والبعض منها ساقط منعجر كأعجاز نخل منقعر كما ضرب به النبي الصادق مثل هلاك المنافق . وفي وداتها ماء يجري من الثلج ، يتكسر ويفج من كل فج ، وبها مكان بين جبلين منتصبين كالجدارين لا يدرك الطرف أعلاه ولو احتد ، ولا يرقى مبلغ الطير أدناهما ولو اجتهد وجد ، يجري بينهما ماء كثير عذب زلال ثجاج غير وبه نسيم [44ب] يداوي السقيم ، ونبت أريج من كل زوج بهيج ، فياله من منظر ما أبهاه وأحسنه وأفرجه وأزهاه ، يرتقى منه إلى سفح أحدهما في عقبة كؤود ، ذات صخرات سود ، ومسالك لا تتسلق فيها القروود ، ولا يمر بها الفئران إلا وهي في صورة الحيران في غاية الخوف والرجفان . أصعب الطرق والمذاهب ، وأحزن السبل على ماش وراكب ، فلم نزل نخبط في سهل هذا الجبل ووعره ، ونخلط<sup>(2)</sup> سيراً تراه بصخرة ، ونشق أعطافه شقاً ، وندق جنادله بالخوافر دقاً ، مكتنفين الفزع ملتحفين<sup>(3)</sup> الجزع ، إلى أن جزمنا عوامله بالحذف ، ومنعتنا علاته من الصرف ، وأسفر لنا وجهه العبوس ، ومحياه الذي في مشاهدته البؤس ، عن مكان واسع ، به بعض ماء نابع<sup>(4)</sup> وربيع مريع<sup>(5)</sup> رائع ، وهناك للوزير بئر باشا خان وعمارة وجامع ، لكنها الآن خراب مأوى للبوم والحشرات والذئباب ، فاسترحنا به ساعة دون أن نحلّ عن الدواب ، ثم سرنا إلى [45أ] منزل به ربيع ، وماء عيون جريها ليس بالسريع ، فقلنا به ثم سرنا في ربوات ووهيدات وأنهار ، حتى انهار جميع بناء ذلك النهار ، فحين حان الغروب ، وأن

(1) وردت في (ع) : «غير» .

(2) وردت في (ع) : «ويخلط» .

(3) وردت في (ع) : «ملتحفين» .

(4) وردت في (ع) : «مانع» .

(5) وردت في (ع) : «مرعب» . والمرعب : الخصيب .

لقرص الشمس الوجوب ، واتصفت صلاة المغرب بالوجوب ، نزلنا بشط نهر في غاية الاتساع ، شديد الجري والدفاع ، أكثر في الارتفاع من مائة ذراع ، ويحاذه مرج أفيح ومسرح ومشرح ، وربيع يجول فيه الطرف ويمرح ، وهو بالقرب من آق كبرى ومعناه الجسر الأبيض بالعربية ، وهو آخر ما كانت تحكمه الجراكسة وأول البلاد القرمانيّة ، فبتنا بشط ذلك النهر ليلة الأربعاء ثاني عشر الشهر ، وهناك هواء شديد ، وبرد ما عليه من مزيد ، حتى خيّل لنا أن الشتاء عاد بأنوائه<sup>(1)</sup> والبرد رجع بأدوائه ، فاشتكت منه الأسنان ورجف الجنان ، وقعدنا تحت الرعدة ننتظر الفرج بعد الشدة ، ثم رحلنا منه [45ب] : [من الكامل]

والبدر يَجْنَحُ للغروب كأنه  
قد سلّ فوق الماء سَيْفًا مُذْهِبًا<sup>(2)</sup>

ثم برق من الفجر نوره ، ولاحت من الصباح تباشيره ، فسرنا في مخاضات وطلعات ونزلات (إلى أن ترفع النهار وتعالى ، وتتابع حرّه وتوالى)<sup>(3)</sup> ، وقيلنا ذلك النهار بمكان بشط بعض تلك الأنهار . ثم سرنا فجزنا على بساتين بها فواكه وزيتون ، وشذى يفوح من أشجار زَيْزْفُون ، ونزلنا بمكان به مياه ومرج ، وبالقرب منه جبال من تلج ، فحصل فيه برد شديد وريح بارد ، ومطر يقوى ويضعف لكنه متوال متوارد ، فقطعنا تلك الليلة بين همل وهطل ، وعطاء من السحب لا يكدره مطل ، ورقصت القلوب لتصفيق الرياح ، وفقدت النفوس الروح والخواطر الارتياح ، وطال الليل مع أنه قصير الذيل ، كما قال أبو المعالي الحظيري : [من مجزوء البسيط]

أقول والليل في امتداد  
وأدمع الغيث في انسفاخ

(1) وردت في (ع) : «بأنواعه» .

(2) البيت في معاهد التنصيص 2 : 100 منسوباً لمنصور بن كيغلف .

(3) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

أظنّ ليلسي بنفسي ر شك  
قد بات يبكي على الصبّاح

هذا والشمس في آخر برج السرطان ، والصيف قد ألقى على الأرض الجِران<sup>(1)</sup> ،  
وحكم في الوجود بقوة السُلطان ، فكان كما [46] قال مولانا المقر الكريم الشيخي  
الإمامي البدي السيد عبد الرحيم<sup>(2)</sup> : [من السريع]

جَادَتْ لَنَا الْأَنْوَاءُ مَفْدِقَةً  
وَالصَّيْفُ أَقْبَلَ مَسْرِعَ الْجُرِي  
فَكَأَنَّمَا شَمْسُ الضُّحَى خَرَفَتْ  
فَتَشَبَّهَ السَّرطَانُ بِالْجُدِي

وبما قلته : [من الكامل]

نَوُءُ الشِّتَاءِ وَيُرْدُهُ وَافِي وَقَدْ  
حَكَمَ المصَّيْفُ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ  
فَلَعَلَّ هَذَا الدَّهْرَ أَمْسَى ذَاهِلًا  
فَسَأَتِي بِنَوءِ الجُدِي فِي السَّرطَانِ

فلَمَّا طلع الفجر ولاح ، وضربت بشائر الصبّاح ، عزمنا على التبكير بالسير  
والتَّغْلِيْسِ ، وذلك ثالث عشر شوال يوم الخميس ، فوصلنا مدينة أركلي<sup>(3)</sup> والشمس  
مستوفية اللألاء مرتقية درجة العلاء ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وهي مدينة

(1) وردت في (ع) : «الجران» والجران : باطن عنق الفرس أو الجمل ومنه قولهم : ضرب الجمل بجرّانه إذا  
برك : (لسان العرب 13 : 87) .

(2) السيد عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي (ت 963هـ) تقدّم التعريف به في مطلع الرحلة .

(3) أركلي : مدينة بالرّوم ، ذكر القرماني (3 : 305) أنها كلها وقف على المجاورين بمكة والمدينة . ويرى

لستراج (182) أنها «هرقلة» وقد تحرّف الاسم في الأزمنة المتأخرة .

صغيرة ، وبها بساتين وأشجار كثيرة ، وفيها جامع لطيف بالدفوف الثقيلة مفروش ، وبه منبر لعله من الخشب لكنه مستور بالجص المنقوش ، وبه تختات مرتفعة زيادة فيه كالسدة<sup>(1)</sup> ، لكنها أكثر من نصفه تسع من المصلين عدة [46ب] ، وأقمنا به من ذلك الوقت إلى العصر ، ثم سرنا إلى الخيام بعد أن دعا لنا جماعة من حضر الصلاة والإمام ، وخارجه منارة عالية ذات طول مديد ، وهي مفردة في المدينة تُرى من خارجها من نحو نصف بريد ، والبرد فيها موجود ، والقطر غير مدفوع ولا مردود ، ولا يدرك بها من الزرع شيء كالقمح وما شابهه ، ولا غير القراصيا من جنس الفاكهة ، وهي شقراء وبعضها شقة بيضاء وشقة حمراء ، فنزلنا خارج المدينة بمرج أفيح ، فيه للطرف مسرح وللخواطر مسنح ، زكي المربع (زهى المراتع)<sup>(2)</sup> ، يجري إلى جانبه نهر نهاية في العذوبة والخضر ، فارتاحت الأنف من الحُصْر والألسن من الخضر ، ونسيت بحلاوة اليوم ما مرّ بالأمس ، وباشرت الملاذ بالحواس الخمس ، فأقمنا بقية ذلك النهار ثم ليلة الجمعة رابع عشر الشهر إلى وقت الاستغفار ، وانقطع منا فيها لمواصلة السير جماعة ، منهم الشيعي [47أ] البرهاني ابن جماعة ، ثم سرنا من ذلك المكان وقد : [من الرَّمْل]

كحَلِّ الفَجْرُ لَنَا جَفْنَ الدَّجَى  
وغدًا في وجنة الصبح لثامًا  
تحسبُ البدرَ مُحَيًّا ثَمَلًا  
قد سقته راحة الصبح مُدَامًا<sup>(3)</sup>

ولم نزل نسير ونسري ، وننزل منازل لا نعلم اسمها ولا ندري ، حتى سرينا<sup>(4)</sup>

(1) وردت في (ع) : «كالسدة» .

(2) ما بين القوسين زيادة من (م) .

(3) البيتان في معاهد التنصيص 2 : 56 منسوبة لأبي زكرياء المغربي .

(4) وردت في (ع) : «وصلنا» .

ليلة الأحد سادس عشر الشهر سرورة فوصلنا مدينة قُونِيَّة<sup>(1)</sup> ضحوة، والشمس قد اكتسبت بعد ضعفها قوة، وانجلت في حللها المذهبة أجمل جلوة، وارتقت من أوجها ذروة، وارتفعت عن مشرقها قدر غلوة، ومن متن برجها صهوة، وكست الأرض والجبال من روق ضيائها أحسن كسوة، ومدينة قُونِيَّة مدينة غراء وأرض خضراء، ذات تربة زكية، ونفحة ذكية، ورياض أنيقة، وأشجار نظرة وريقة، ومحيا صبيح، وترتيب مريح، أسواقها مرضية، وخاناتها فضية، ومساجدها وضية، وعيشتها رضية، وزمانها ربيع، وجنابها رفيع، ونسيمها وان، وجنانها دان، وقاطنها بحبها [47ب] عان، وليس لها في مزية الحسن بين البلاد القرمانيَّة ثان، وبها مساجد متعددة، وعمارات متجددة، وجامع عتيق، ذو معهد أنيق، وبناء وثيق، ومقام رجل مشهور بالولاية يقال له ملا خنكار<sup>(2)</sup>، يقام عنده وقت كل جمعة يضرب فيه بالدف والمزمار، ويحيط بها سور عظيم، ذو بناء قديم، به شخوص وأشباح، وجسوم تكاد تنطق لولا فقدها الأرواح، وعلى بعض أبوابها<sup>(3)</sup> صورة إنسان، متصلة أقدامه ببعض حجارة البنيان، فهذا هو المنكر الذي لا نرضاه ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهي الآن سره بلاد<sup>(4)</sup> قرمان، وقد كانت تحت الملك في قديم الزمان، وقد انتشأ بها جماعة من الصوفيَّة، ومن أئمة الفقهاء الشافعية والحنفية، ومنهم شيخ الإسلام فخر القضاة والحكام (القاضي علاء الدين وولده العلامة محب الدين وشيخ الصوفيَّة الإمام صدر الدين، أعاد الله تعالى من بركاتهم علينا وعلى المسلمين)<sup>(5)</sup>، [48أ] فنزلنا خارجها بمرج من تلك المروج، به ربيع تمور به الريح وتموج، وبعض غدران مياه

(1) قُونِيَّة : من أعظم مدن الإسلام بالرُّوم، وهي كرسي بلاد قرمان، وبها قبر أفلاطون الحكيم . انظر :

معجم البلدان 4 : 415 ، أخبار الدول 3 : 441 ، صبح الأعشى 5 : 352 .

(2) ملاخنكار : هو محمد بن محمد بن الحسين ، جلال الدين الرومي ، فقيه حنفي ، ولد في بلخ ورحل

إلى بغداد ثم إلى قونية وبها استقر ، توفي سنة 672 هـ . (أعلام الزركلي 7 : 30) .

(3) وردت في (ع) : «أنواعها» .

(4) وردت في (ع) : «ببلاد» .

(5) ما بين القوسين ساقط من (م) وفي (ع) ترك الناسخ مكانه بياضاً .

يخصب بها روض الحياة ، وتسحب ذيل صفائها على صفاء<sup>(1)</sup> ذلك المحل وحصاة ،  
كما قيل : [من الوافر]

وضاحية وردتُ بها غديراً  
يقدرُ<sup>(2)</sup> من صفاءِ الماءِ أرضاً  
كأنَّ الوحشَ حينَ تغبُّ فيه  
يقبَلُ بعضَها للشُّوقِ بعضاً

فأقمنا به بقية يوم الأحد ، ثم ليلة الاثنين بالكمال ، ثم عزمنا وجه الصبح  
المسفر عن سابع عشر شوال ، على الترحُّل والانتقال ، والتحوُّل والارتحال ، فلم نزل  
نحوب في فياف ومهامة ، ونجول بين أنهار ومنازه ، ورياض قد تولها الولي ، ووسمها  
الوسمي ، وجمشتها نسيمات الرياح ، وأظلتها رايات الصباح ، وغازلت كواكب الفجر  
عيون نرجسها الوقاح ، وباكرت الصبا<sup>(3)</sup> تقبيل ثنايا نورها : [من السريع]  
من قبل أن ترشُفَ شمسُ الضحى  
ريقَ الفؤادِ من ثغورِ الأقحاحِ

إلى أن نزلنا بمرج متسع الساحة ، كبير المساحة ، مرتع النواظر ، [48ب] ومتنفس<sup>(4)</sup>  
الخواطر ، تسفر كل ناحية منه عن خد روض أزهر ، وعذار نبت أخضر ، وتبسم عن  
ثغر حباب في نهر كالحباب ، وترفل من الربيع في ملابس سندسيات ، وتهدي نوافح  
مسكيات ، وتزهى من بهجتها بأحسن منظر ، وتتيه بجلباب أئيع من برد الشباب  
وأنضر ، فقبلنا به ذلك النهار ، ونقعنا الغلَّة من الماء البارد ، ونفعنا العلة من النسيم  
المعطار<sup>(5)</sup> ، ولم نزل نسير بين تلك الأزهار والأنهار ، في العشايا والأبكار ، حتى

(1) وردت في (ع) : «صفاء» .

(2) وردت في (ع) : «يقدر» .

(3) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(4) وردت في (ع) : «ومتنفس» .

(5) وردت في (ع) : «المعطار» .

وصلنا ضحوة الأربعاء تاسع عشر الشهر للمدينة البيضاء، وهي التي تسمى عندهم بأق شهر<sup>(1)</sup>، وهي مدينة لطيفة، حسنة ظريفة، من أنزه المدن القرمانيّة وهي آخرها، وألطف البلاد العثمانيّة وأخيرها، مبيضة كسقيط الثلج، مصطفة كبيوت الشطرنج، ذات مياه خصرة<sup>(2)</sup>، وبساتين خصرة، عظيمة المنازه، كثيرة الغلات والفواكه، يجلب منها الفاكهة إلى ما يحاذيها من البلاد [49] الرُوميّة حتى إلى المدينة العظمى القُسطنطينيّة، ويخترق أرجائها نهر سلسال، كدمع المهجور إذا سال: [من الطويل]

يُظنُّ به ذوبُ اللُّجين<sup>(3)</sup> فإنَّ بَدَتْ  
له الشمسُ أجرت فوقهُ ذوبَ عَسْجَدٍ<sup>(4)</sup>

وبها أسواق معمورة، بالخيرات الوفيرة مغمورة، ومساجد عظيمة، وحمّامات قديمة، وعمارة بظاها بها مسجد للجمعة معظّم، منسوبة لحسين باشا الوزير الأعظم، وتكيّة ينزلها المسافرون، ويحلّها المتفقهون القاطنون، وليس لها سور ولا حصار معمور، وهي من أرخا هذه البلاد لسعة رزقها ونزرة خلقها وكثرة مغلها وقلة أهلها وكثافة غيطانها وخفة قطانها، وبها على دون مرحلة بركة كبيرة، بها بعض مراكب صغيرة، يُصَاد بها منها السمك الكبار والصغار، ويُجلب إلى ما حولها من الأقطار، فنزلنا بها بمصلّى العيد، وهو منزل بديع غير بعيد، قد راق فيه الماء، ورقّ

(1) أق شهر: مدينة روميّة مشهورة، تبعد عن قونية نحو ثلاثة أيام شمالاً بغرب، ذكر الرحالة المشهور بكبريت أنّ معناها القرية البيضاء، كما مرّ بها الرحال الخياري وزار قبر الخواجا ناصر الدين الملقب بجحا، وتوسّع في ذكر خبره. انظر: رحلة الشتاء والصيف لكبريت ص 191، رحلة الخياري 1: 217، صبح الأعشى 5: 352، أخبار الدول 3: 306، بلدان الخلافة الشرقية 184، قاموس الأعلام 1: 266.

(2) وردت في (ع): «حضره».

(3) اللُّجين: الفضة.

(4) هذا البيت مذكور في رفع الحجب المستورة 1: 128، ومعاهد التنصيص 2: 98. منسوباً لأبي العلاء المعري.



به الهواء ، وسفر له الدهر عن محياه ، وتبسم له الزهر [49ب] وحيّاه ، وأحدقت به البساتين أحداق الهالة بالقمر ، والأكامم بالزهر ، وامتدت له بطحته الخضراء امتداد البصر ، وبالقرب من هذه المحلة والمنزلة ، مقام خجا ناصر الدين<sup>(1)</sup> المشهور عندهم بالولاية والولة ، وله عندهم حكايات مضحكة تدل على التغفل والبله ، نظير ما يحكى عن مصحفة جُحًا ، وكلاهما من المغفلين الصلحاء ، فأقمنا بها إلى وسط النهار ، ووقت الزوال والإظهار ، ثم أخذنا نجوب<sup>(2)</sup> ونجول في وهاد وتلول ، ووعر<sup>(3)</sup> وسهول ، وفياف وقفار ، وربيع وأزهار ، ولم نزل نسري ونسير ليلاً ونهاراً ، ونجذب بالنجب الفيافي أصلاً وأسحاراً ، وتغيب عنا الشمس والأقمار فتتخذ من المشاعل والفوانيس شمساً وأقماراً ، إلى أن وصلنا إلى مدينة قرآ حصار<sup>(4)</sup> يوم الجمعة حادي عشر الشهر وقت الإبكار ، وقد نشر علم الشمس الأصفر ، وتخلق الكون بردعها المَعَصَفَر ، وأشرق وجهها الأشقر في الأفاق وأسفر ، [50أ] وهي مدينة مستظرفة بين جبال مستلطفة ، وعلى جبل صغير عال في وسطها قلعة منيعة ، بديعة رقيقة<sup>(5)</sup> ، أمينة حصينة ، عليّة مكينة ، سمية متينة ، سوداء الحجارة وبها<sup>(6)</sup> تسمت المدينة ، وعلى هذه المدينة بساتين كثيرة ومياه غزيرة ، وبظاهرها مرج أريج ، ذو نبت بهيج ، فسبح الرحاب ، رحب الجناب ، كثيرة الكلا والعشب ، زائد الري والخصب ، يسافر

(1) ذكره الرحالة المشهور بكبريت عند مروره بأق شهر : «الخواجة ناصر الدين ، صاحب التفسير ، المتوفى سنة 386هـ والعامة تزعم أنه جحا الذي يضرب أمثاله في الجد والهزل» . (رحلة الشتاء والصيف 191) .

(2) وردت في (ع) : «نجور» .

(3) وردت في (ع) : «ووعور» .

(4) ذكر ياقوت أنّ قرآ حصار اسم لاماكن كثيرة غالبها ببلاد الروم ، غير أن هذه التي نزل بها الغزي هي التي حددها القُرْماني : بينها وبين القُسطنطينيّة عشر مراحل ، يُجلب منها البسط إلى البلاد . انظر :

معجم البلدان 4 : 315 وأخبار الدول 3 : 442 .

(5) وردت في (ع) : «رقيقة» .

(6) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

النظر فيه ، ويرتاح بمراثيه ، وبها أسواق جميلة ، ومساجد جلييلة ، وعمارة حسنة متسعة ، بها مسجد معظم تقام فيه الجمعة ، فجمعنا بها فية الجمعة مع العصر ، وجمعنا بين الإتمام والقصر ، وأول ما شاهدنا في تلك البقعة طرائق الرُّوم يوم الجمعة ، وهو أن يصعد المؤذنون المنارة يعلمون بالصلاة ويصلُّون ويسلمون على سيّدنا رسول الله ، ثم لا يصعد بعد ذلك إلاّ واحد للأذان ، ثم يشرع المقرثون على السدة واحد بعد واحد في قراءة القرآن ، وبعد الفراغ من [50ب] القراءة والختام ينشد منشداً أبياتاً بالتركي أو العربي بأواز وأنغام ، فكان ما حفظته مما أنشده يومئذ قوله : [من مجزوء الرمل]

لي حبيبٍ عربيّ  
مدنّي قُرشيّ  
وجهه في نظري  
كلّ صباحٍ وعشيّ

ثم يصلون السنّة ثم يصعد الخطيب ويفعل أفعالاً كثيرة بعضها<sup>(1)</sup> مخالفة للسنة من ذلك عدم الاتكاء على سيف ونحوه ثم تركه السلام ، ثم الخطبة بأواز عال وأنغام ، ثم الدق على درج المنبر بالرجل حالة الهبوط والصعود ، ثم الالتفات يميناً وشمالاً في القيام والقعود ، وكان نزولنا خارجها بذلك المرج ، بعد أن أحطنا علماً بالدخل منها والخروج . واجتمعنا هناك برجل جاء بعدنا في البحر من أهل الشام ، فاستخبرناه عن الأهل والأصحاب فأخبرنا بأنهم طيبون وبلغنا منهم السلام ، فزاد تحريك وجد لم يكن بالساكن<sup>(2)</sup> ، وأكد مؤكداً<sup>(3)</sup> شوق لتلك الأحباب والأماكن ، ففاضت الدموع من الأجفان ، واشتعل القلب بالنيران ، وتمثّلت قول<sup>(4)</sup> بعضهم في

(1) سقطت هذه الكلمة من (م) .

(2) وردت في (ع) : «بالساكن» .

(3) وردت في (ع) : «مولد» .

(4) وردت في (ع) : «بقول» .

هذا الشأن [151]: [من البسيط]

يا ساري الليل هل من رامةٍ خبرُ  
فإنني لسكواه لست أنتظرُ  
بالله ربك أخبرني فها كبدي  
تكاد من ذكرهم بالوجد تنفطرُ  
أحباب قلبي وأخواني وأهل مني  
روحي إذا طرنت والسمع والبصرُ  
أعندكم أنني من بعد فرقتكم  
لا استلذ بما يهوى له النظرُ  
ترى أراكم على بانات كاظمة  
والعدل قد غاب والأحباب قد حضروا  
ويجمع الله شملأ طالما لعبت  
به الليالي ولم يسعف به القدر<sup>(1)</sup>

ثم رحلنا من ذلك المكان بين الصلاتين والدموع تسقي تلك الأباطح، والأنفاس تتصعد من لهب الجوانح، فما سرنا إلا يسيراً من ذلك المكان حتى مررنا بحمام حامي المياه بغير إسخان، ولم نزل في حث السير والسرى، وعصيان الراحة وودع الكرى، وجول مهامة وبراري، وجوب فياف وصحاري: [من الكامل]

ألوي الضلوع من الولوع بخطرة  
من شميم برق أو شميم عرار  
وأنيخ حين دموع عيني منهل  
يروى وحيث حشاي موقد نار<sup>(2)</sup> [51ب]

(1) الأبيات في تاج المفرق 2: 153 - بلا عزو .

(2) البيتان ينسبان للرصافي البلنسي: الديوان 134، ولابن خفاجة: الديوان 128 .

فلم نزل في حطّ وترحال ، ووخذ وإزقال<sup>(1)</sup> ، إلى أن وصلنا إلى محلّة ابن أوكي<sup>(2)</sup> وقت الضحى العال ، من يوم الأحد ثالث عشرين شوال ، وهو مرج كبير ذو عشب كثير ، قد بسط الغيث به بساطاً أخضر ، بحيث لا يكاد شيء من سواد أرضه يُرى ، وبجانبه قلعة لطيفة منقورة في جبل عالية الموضع سامية<sup>(3)</sup> المكان مرتفعة المحل ، وهو معد لرعي الخيول السلطانية وتربيتها وإصلاح شأنها وتنميتها ، وبأسفله اصطبلات يرسم تلك الخيل<sup>(4)</sup> تُصان بها وتأوي إليها في الليل ، ثم رحلنا وقت الظهيرة من تلك المحلّة المذكورة ، ولم نزل نسير وقد جدّ المسير ، وحمل الهجير ، وكاد أن يبلغ الغبار الكثير الفلك الأثير ، فلما تضمخّ جيب الأصيل بالعبير ، وسقطت الشمس من الغرب على خبير ، بعد أن عراها من خوف هول<sup>(5)</sup> ذلك الحال اصفرار ، وأعقت من شفقها في الأفق لون الاحمرار ، وصلنا حينئذ إلى محلّة أرمني بازار ، وهي قسبة حسنة العمارة ، بها [52] مسجداً لطيفاً ومنارة ، فنزلنا بظاهرها منزلاً تشتهيبه الأنف وتلتذّه<sup>(6)</sup> الأعين ، وتسيح من حسنه الأفواه والألسن ، فسيح الأرجاء ، واسع الأنحاء ، صحيح الهواء ، به أعين زائدة الخصر والعذوبة ، فوق الغاية المطلوبة والحالة المرغوبة ، وبتنا في مقعد هناك معظم عال ، مركب على عين تجري بماء عذب زلال ، فلما ابتسم ثغر الأفق بعد الوجوم ، وفاض نهر المجرة على حصباء النجوم ، نبهنا أيدي المطي عن سنة السكون ، وحركنا منها ما كان مبنياً على السكون ، ورحلنا من ذلك

(1) الوخذ والإزقال : الإسراع ، أو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام . (القاموس المحيط 414 ، 1302) .

(2) محلّة ابن أوكي : ذكرها القرمانيّ عرضاً : «سلطان أوكي» وهي على شاطئ نهر يكي شهر الأتي

ذكرها بينكي شهر ، ولعلها هي ذاتها التي مرّ به الرحالة المشهور بكبريت من نواحي ينكي شهر

وسماها بلدة السلطان غازي ، سميت باسم فاتحها ، انظر : أخبار الدول 3 : 37 ورحلة الشتاء والصيف

190 : 1 .

(3) وردت في (ع) : «شامية» .

(4) وردت في (ع) : «الخيول» .

(5) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(6) وردت في (ع) : «وتليذه» .

المكان المركب على العين صبيحة رابع عشرين الشهر ، وهو يوم الاثنين في وهاد  
وتلال ، وحجارة ورمال ، وغياض وأشجار ، ومياه كالأنهار ، وذَرَبْتَدَات هنالك وعرة  
المسالك بعيدة المدارك ، كثيرة الهبوط والصعود ، والتهائم والنجود ، والغبار يكحل  
بإثمدة الأبصار ، فيكاد أن يفقدها حاسة الإبصار ، ويدخل في الخياشيم ، فيحول  
[52ب] بينها وبين روح النسيم ، ويكسو الأجساد ثياباً لم تعن فيها يد خياط ، ولم  
يلج فيها سم الخياط ، حتى يدع البياض سواداً ، ويدر على الملونات من قتامة رماداً ،  
فلم نزل نحث مطايا السير والسرى ، وتُرِيْق من كاسات العيون طلا الكرى ، ونحن  
كما قال بديع الزمان ، وعلامة هَمْدَان : [من الطويل]

كأنا على أرجوحة في مَسِيرنا  
لغور بنا تهوي ونجد بنا تغلو  
كأن السرى ساق كأن الكرى طلاً  
كأنا لها شرب كأن المنى نقل  
كأنا جِياع والمطي لنا قم  
كأن الفلا زاد كأن السرى أكل  
كأن ينابيع الشرى ثدي مرضع  
وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل<sup>(1)</sup>

حتى وصلنا إلى مدينة<sup>(2)</sup> ينكي شهر<sup>(3)</sup> ، يوم الثلاثاء خامس عشرين الشهر ،  
وهي بلدة نصيرة لطيفة صغيرة ، جميلة المنظر ، جليلة الخبر ، ذات أسواق موفورة ،  
ومساجد معمورة ، وخارجها نهر كبير ، ذو ماء كثير ، عذب زلال غير ، خضناه  
وقطعناه ، وركبناه [53أ] وما رهبناه ، واستصحبناه وما استصعبناه ، وهو يلتوي تحتنا

(1) الأبيات في معاهد التنصيص 2 : 233 .

(2) وردت في (م) و (ع) : «بلدة» .

(3) ينكي شهر : مرّ بها الرحالة المشهور بكبريت وذكرها «ينكي خان» ومعناه : الخان الجديد ، كما

ذكرها القرمانى عرضاً : ينكي شهر ، انظر : رحلة الشتاء والصيف 1 : 190 ، وأخبار الدول 3 : 37 .

التواء الصلال ، وينسل في تلك الأراضي أي<sup>(1)</sup> انسلال ، ويدور بجوانبها دور  
الهلال ، ويتراءى بين الشقائق كأنه العذار في الخد الوسيم ، ويلبس درعاً محكمة  
الزرد من نسج النسيم ، كما قيل : [من الرمل]

حَاكَتِ الرِّيحُ عَلَى الْمَاءِ زَرْدُ  
أَيُ ذِرْعٍ<sup>(2)</sup> لِقِتَالِ لَوْجَمَدٍ<sup>(3)</sup>

فنزلنا بها بعمارة عتيقة ، محكمة وثيقة ، حسنة أنيقة ، وكنا قد سبقنا القوم في  
ذلك اليوم ، ثم سرنا (إلى أن نزلنا)<sup>(4)</sup> بمرج<sup>(5)</sup> فسيح الأرجاء ، واسع الفضاء ، ذو  
مرعى غزير ، وربيع كثير ، ونهر كبير : [من المتقارب]

وَقَدْ غَشِيَ النَّبْتُ بَطْحَاءَهُ  
كَبَدِ الْعِذَارِ بِخَدِّ أُسَيْلِ  
وَقَدْ وُلَّتِ الشَّمْسُ مُجْتَثَّةً  
إِلَى الْغُرْبِ تَرْنُو بِطَرْفِ كَحِيلِ  
كَأَنَّ سَنَاهَا عَلَى نَهْرِهِ  
بَقَايَا نَجِيْعِ بِسَيْفِ صَقِيلِ<sup>(6)</sup>

وبتنا هناك مجاورين لذلك النهر ، ليلة الأربعاء سادس عشرين الشهر ، ثم رحلنا

(1) وردت في (م) : «كل» ، وفي (ع) : «كل أي السلال» .

(2) وردت في (م) : «ذرع» .

(3) البيت في معاهد التنصيص 2 : 96 منسوباً لظفره الأول لابن حمديس وتم عجزه الشاعر المشهور  
بالحجام .

(4) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(5) وردت في (م) : «بمرج بظاها» .

(6) الأبيات لابن خفاجة : ديوانه 206 ، ومعاهد التنصيص 2 : 97 .

منه عندما نصل خضاب الليل ، وشَمَّر [53ب] زنجيه<sup>(1)</sup> للهرب من رومي الصباح الذيل ، ولع صارم الفجر من الشرق كلمعان البرق ، وسرنا في دروب محجرة ، ودَرْبِنْدَات مضجرة ، وشعراء بالخوف مشعرة ، وأرض خالية من الأنيس مقفرة ، ومسالك عسرة وعرة ، إلى عقبة ينخفض عنها طرف العقاب ، ويعسكر دونها جيش السحاب ، بها أشجار لا تعدّ ولا تحصى ، ولا يدرك الأدنى منها والأقصى ، فلم نزل نجوب كل مسلك وطريق ، تارة في السعة وتارة في الضيق ، إلى أن وصلنا وقت الضحى الأنيق ، عند تعالي وجه الشمس الشريق ، من يوم الأربعاء إلى مدينة أَرْزِنِق<sup>(2)</sup> ، وهي مدينة عظيمة<sup>(3)</sup> المنظر حسنة الخبير ، تمتعة بالروض الناعم والنسيم الأعطر ، من أحسن البلاد الرُومِيَّة أزقة وأسواقاً ، وأكثرها فوائد وأرزاقاً ، وأوضحها بياضاً وإشراقاً ، وأبدعها اتصالاً بالبساتين والتصاقاً ، وأملحها مرسى<sup>(4)</sup> ، وأمنحها أنسا ، وأينعها روضاً ، وأترعها [54أ] حوضاً ، معتدلة الهواء ، سامية البناء ، واسعة الفناء ، ساكنة المساكن ، مكينة الأماكن ، لائحة المباهج ، واضحة المناهج ، صافية الزلال ، ضافية الظلال ، معشبة الشعاب ، عامرة الجنباب ، مرنة الرباب ، هامرة السحاب ، سابغة المدارع ، سائغة المشارع ، سافرة المطالع ، وافرة الصنائع ، وهي مخصوصة بعمل الصيني الرُومي<sup>(5)</sup> وبه تعرف ، وهو أطف من معمول الصّين وأظرف ، وبها فاكهة كثيرة حسنة ، وقد رأينا بها قراصيا ملونة ما بين بيضاء وشقراء

(1) وردت في (م) : «زنجيه» .

(2) أَرْزِنِق : مدينة في بلاد الرُوم قرب شواطئ بحر مرمرة الشرقية ، وهي مدينة أثرية ، وكان اسمها في القديم «نيقية» ، فتحها السلطان أورخان سنة 731 هـ . وبينها وبين القُسطنطينية أربع مراحل (90 كم) ، وقد مرّ بها الرحالة كبريت ، قال : «واليتها ينسب الفخار الأزنيقي لأنّ بها مصانعه وأحجاره» ، كما أفاض في الحديث عنها الرحالة الخياري ، انظر : رحلة الشتاء والصيف 189 ، ورحلة الخياري 1 : 235 وأخبار الدول 3 : 306 ، وبلدان الخلافة الشرقية 182 .

(3) وردت في (م) : «غضة» .

(4) وردت في (ع) : «رسي» .

(5) هو الفخار الأزنيقي ويعرف أيضاً بالقاشاني .

وسوداء وحمراء ، وبخارجها بحرة كبيرة ، وبها أسماك كثيرة ، وقد جُسْتُ خلال هذه المدينة ، وجُزْتُ في أماكنها المكينة ، ورأيت العجب من محاسنها الجمّة المستبينة ، فدخلت بها جنة حَفَّت من طرفها بالمكاره ، وعقيلة عقلت قلب الطائع والكاره ، ثم نزلنا بظاهرها على نحو نصف ميل ، بمرج أريج وظل ظليل ، قد نسجت به يد السحب بسطاً عجيبه التلوين ، غريبة التكوين ، [54ب] نقوشها تفوق الخبر ، ويكاد يضاهاي الزهر ما فيها من الزهر ، فياله من بلد ومنزل عزيز ، بديع التفويف والتطريف والتطريز : [من الكامل]

كَلِّ الْمَنَازِلِ وَالْبِلَادِ عَزِيزَةً  
عِنْدِي وَلَا كَمَنْزَلِي وَبِلَادِي (1)

فأقمنا هناك إلى وقت الظهيرة ، حين قبض النهار ظلّه وبسط حروره (وهجر برده وواصل هجيره) (2) ، ثم قطعنا مرحلة قصيرة بين أشجار كثيرة ومياه غزيرة ، وبتنا بساحة وادٍ حللنا به ، بين ظُفَرِ التوحّش ونابه ، لا تعرف جنوبنا من المضاجع قراراً ، ولا تطعم عيوننا النوم (3) إلا غراراً ، إلى أن قضى الليل نحبّه ، وغوّر الصبحُ شهبه ، ففوقنا سهام العزم ، وأطرنا عن زنده شرار الحزم ، وسرنا في دروب ضيقة المناهج ، ودَرَبَتَدَاتٍ وعرة المدارج ، ومفاوز ومهالك ومسالك يضل فيها السالك : [من السريع]

وَمَهَامَةٌ كَالْبَحْرِ لَا أُثْرُ  
لِلْمَقْتَفِي فِيهَا وَلَا سَنَنٌ (4)  
لَوْ سَارَ فِيهَا النَّجْمُ ضَلَّ بِهَا  
حَيْرَانٌ لَا شَامَ وَلَا يَمَنٌ (5) [55]

(1) هذا البيت في تاج المفرق 2 : 154 بلا عزو .

(2) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(3) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(4) وردت هذه الكلمة في (ع) : «شين» .

(5) البيتان في تاج المفرق 1 : 278 بلا عزو .



تضييق من رؤيتها الصدور، وتنفر من وحشتها النفوس غاية النفور، كثيرة الأشجار، وغالبها لا ثمار له ولا أزهار، وهناك مكان يُعرف باغش تنكز ومعناه بحر الشجر، لا يصدق وصفه عقل ويكفي شاهد البصر، وقلت: [من مجزوء الوافر]

عَهْدِنَا الْبَحْرَ مِنْ مَاءٍ  
 وَلَمْ نَعْمَهْدُهُ مِنْ شَجَرٍ  
 وَنَيْسَ الْعَقْلُ يَقْبِلُ ذَا  
 كَ وَيَكْفِي <sup>(1)</sup> شَاهِدُ الْبَصْرِ  
 شَهْدُنَا فِيهِ أَمْوَاجاً  
 مِنْ الْبَلُوطِ وَالشَّمَمِ  
 وَمَنْ أَثَلِ وَمَنْ ضَالٍ  
 وَمَنْ أَرْزَبِلَا ثَمَمِ  
 وَأَجْوُدَهَا إِذَا اعْتَبَرْتُ  
 بِلَا نَفْعٍ وَلَا ضَرَرٍ  
 بِهِ سُفْنِ رَكْبِنَاهَا  
 لِنَقْضِي نَهْمَةَ السُّفْرِ  
 مِنَ الْخَيْلِ السَّوَابِحِ فِيهِ  
 بِالْأَصْصَالِ وَالْبِكْرِ  
 تَسِيرُ بِهَا مَجَادِفُ  
 الْقَوَائِمِ سُرْعَةَ الْبَصْرِ  
 سَنَابِكُهَا لَهَا شَرَرُ  
 كَقَدْحِ الزُّنْدِ بِالْحَجْرِ [ب55]  
 إِذَا أَدَجَّتْ بِعَثِيرِهَا  
 أَعَاضَتْ عَنْ سَنَا <sup>(2)</sup> الْقَمَرِ

(1) وردت في (م) : «لولا» .

(2) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

فلم نزل نفوس في عبايه ، ونرقى على ثبجه رقى حبابه ، ونخلط بدك الخوافر جنادله بترابه ، هذا وحكم الحر لم ينسخ ، وإهابه لم يسليخ ، والريح تهب سموماً ، وتهدي إلى القلوب سموماً<sup>(1)</sup> ، والغبار متراكم متراكب ، تكاد أن لا تبين معه الشمس فكيف الكواكب ، مع أن الشمس ليس لها في ذلك المحل مواكب ، ولا محامل<sup>(2)</sup> ولا مراكب ، ولا تبلغ من تلك الأشجار إلا رؤوس المناكب ، ولا تنسج عليها إلا كنسج العناكب ، فما قطعناه إلا بعد جهد جهيد ، وتعب شديد ، وعناء ما عليه من مزيد ، ثم لم نزل نقطع مسالك ضيقة ومتسعة ، ومناهج منخفضة ومرتفعة ، نصعد على التهائم ونغور في النجود ، ونسلك كل مسلك لم يكن بالمعمور ولا بالمعهود ، ولا كان مسلكاً إلا للذئاب واللصوص والأسود ، إلى أن وصلنا ضحوة يوم الجمعة المشهود ، إلى بلدة أزنكميد<sup>(3)</sup> ويقال لها [56] أزنكمود ، ثم نزلنا خارجها بنحو نصف ميل لكي نستريح ونقيل ، ونخفف عننا<sup>(4)</sup> ذلك العبء الثقيل ، بمكان خضر الأرجاء والنواحي ، بهج المربع والضواحي ، وفيه ماء جارٍ ، وأشجار جوز كبار ، فقوي فيه الحر واشتد ، واحتدم واحتد ، واعتدى واعتد ، وتمادى وامتد ، وتنفست في ذلك المكان الجحيم ، وصار الماء أبرد منه ماء الحمام كأنما سيق من الحميم .

فبينما الناس في التهاف والتهاب ، واضطراب واضطراب ، وغرق من العرق ، وحرق من الحرق ، وقد تستروا بظل فروع الأشجار والورق ، واتخذوا أغصانها من سهام الشمس درق ، وإذا بالحمزاوي قد عزم على الرحيل والمسير ، فضج من ذلك الصغير والكبير ، واستنجد بي بعضهم في التواني قليلاً والتأخير ، لتتكسر سورة ذلك السعير ، وكنت قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام قبل ذلك الوقت بيسير ، فقلت

(1) وردت في (ع) : « سموها » .

(2) وردت في (م) : « مطايا » .

(3) أزنكميد وأزنكمود : وهو اسم تركي ، وبالعربية نقمودية ، وتسمى حالياً أزميد . وهي مدينة على

ساحل البحر بينها وبين القسطنطينية أربع مراحل ، فتحها الملك أورهان ابن السلطان عثمان ، انظر :

أخبار الدول للقرماني 3 : 307 ، وبلدان الخلافة الشرقية 190 .

(4) سقطت هذه الكلمة من (ع) ، وفي (م) : « ونخفف عننا بعض ... » .

لهم : لا خوف إن شاء الله تعالى ولا حذر ، ولا ضرر ولا ضرار ولا ضرر ، فإن النبي ﷺ مصاحبٌ [56ب] لنا في السفر ، فلما سرنا هبَّت الرياح ، فتنفست من تلك<sup>(1)</sup> الكرب الأرواح ، وعاودها الروح والارتياح ، وكان هبوبها من طلائع الرحمة ، ومقدمات كشف الغمة ، ثم أبرقت السماء فسَلَّتْ مذهب نصولها ، ورعدت فضربت مبشّرَ طولها ، وجعل السحاب<sup>(2)</sup> يعبىء كتابه ، والرباب يرتب مواكبه ، ثم ترادف البرق والرعد ، وأنجز بالإغاثة بالغيث الوعد ، ثم صوب صوب الغمام سهامه ، ثم لبس الجو لحرب المحل لأمه<sup>(3)</sup> ، فلم يبق قطر إلا وقد نفذت فيه تلك السهام ، ولا أفق إلا وقد علاه من خيوط الودق<sup>(4)</sup> مثل القتام ، ثم تتابع رشق القطر ، واتصل الهمل والهمر ، وسالت الأودية كالأنهار<sup>(5)</sup> ، وجرت السيول تحت أرجلنا متواترة التيار ، وانشقت السماء بصاعقة ، لم تنزل القلوب منها وجلة خافقة ، وسقطت في البحر كالشهاب في سرعة مروق النشاب ، ثم لم تلبث السماء أن أقلعت ، والأرض أن شربت ماءها وبلعت ، [57أ] والسحب أن تكشفت وتقشعت ، وعاد الفصل<sup>(6)</sup> إلى طبعه ، ورجع الوقت إلى وضعه ، وكان النهار قد عزم على الرحيل ، ورفل في برد الأصيل : [من الكامل]

وبدا لنا تُرسٌ من الذهب الذي  
لم يُنتسزِعْ من مَعدن يتعمَّل  
مرأة تبر لم تُشن بصياغة  
كلا ولا جليت بكف الصئقل<sup>(7)</sup>

(1) سقطت هذه الكلمة من (م) و (ع) .

(2) وردت في (م) : «الغمام» .

(3) اللأمة : الدرع .

(4) الودق : المطر .

(5) وردت في (ع) : «وسالت الأودية بقدرها . . .» .

(6) وردت في (ع) : «الفضل» .

(7) وردت في (ع) : «الصئقل» .

تسْمُو إلى كَيْدِ السَّمَاءِ كَأَنَّمَا  
تبغِي هُنَاكَ دَفَاعَ خُطْبِ مُفْضَلِ  
حتى إِذَا بَلَغْتَ إلى حَيْثُ انْتَهتِ  
وَقَفْتَ كَوَقْفَةِ سَائِلٍ عَنِ مَنَزِلِ  
ثم انشئت تبغِي الحدورَ كأنها  
طيرٌ أَشْفُ مَخَافَةً مِنْ أَجْدَلِ<sup>(1)</sup>

فوصلنا حينئذٍ إلى خان وسيع ، في مرج وربع ، وعشب مخصب مربع ، وعيون  
جارية ، وبالقرب منه أطلال بالية ، وعروش خالية ، وأثار أسوار عالية ، وقصور  
مستهدمة ، تدلّ على أنها كانت مدينة معظمة ، فنزلنا هناك ولم يحصل - بحمد  
الله - من ذلك المطر كبير ضرر ، ولا عظيم أثر ، بل خفف حرّ القلوب ، وأزال تلك  
الكروب ، ولبّد المسالك والفتجاج ، من التراب الثائر والعجاج ، فبتنا بذلك المحل بعد  
أن [57ب] تفقّدنا الأحمال ، وأصلحنا الأحوال وذلك ليلة السبت تاسع عشرين  
شوال ، فلمّا تفرّغ<sup>(2)</sup> عن وجنة الأفق عذار الغيب ، وتتوّج كسرى المشرق بالتاج  
المذهب ، عزمنا على الترحال ، وشددنا على الدواب الأحمال ، ثم سرنا فوصلنا إلى  
بلدة ككثيبزه وقت الزوال ، وقد بلغت الشمس من مرتقاها درجة الكمال ،  
واستقامت مقيمة ميزان الاعتدال ، وهي بلدة عامرة ذات خيرات غامرة ونعم ظاهرة  
(وأهم متكاثرة)<sup>(3)</sup> ، وبها أسواق متسعة ، وعمارة تقام فيها الجمعة ، عظيمة الآثار  
مزهاة ، عديمة الأنظار والأشباه ، منسوبة لمصطفى باشا الوزير ، رحمه الله ، وبظاها  
مرج أفيح ، للناظر فيه مسرح ، وللخاطر مسنح ومشرح : [من الكامل]

ولقد نزلتُ به وكفُ ربيعِهِ  
في نسجِ حُلّةِ نوره يتسأنقُ

(1) الأبيات موجودة في نهاية الأرب 1 : 46 وتاج المفرق 2 : 150 بلا عزو .

(2) وردت في الأصل وفي (م) : «تفرّغ» وما أثبتناه من (ع) بمعنى : انشق وتسير .

(3) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

وشذا خيوطِ المزنِ يرسلها الحيا  
إبراً وأكمامُ النباتِ تفتقُ

فأقمنا بذلك البلد بقية اليوم ثم ليلة الأحد، فلما أسفر نهاره، [58أ] وحمدت آثاره وتكلم عصفوره وترنم هزازه، وفاخر شيعه بعرفه عراره، حينناه بصلاة الصبح، وأملنا من الله الصلاح والنجح، وفارقناه غير مذم، وعمنا<sup>(1)</sup> إن شاء الله تعالى خير ميمم، وما زلنا ذلك النهار نساير السبيل حيث سار، ونأخذ تارة اليمين وتارة اليسار، بين جنات معروشات وغير معروشات، وأراضٍ موشات بالربيع منقوشات، وبطاح وأدواح، ومروج فساح، وانبساط<sup>(2)</sup> وانشراح، وبسيط له اتساع وانفساح، ومياه لها على درر الحصباء انسحاب وانسياب، وروضات يعترى ويعترض إليها اهتزاز وارتياح، ووجنات جنات ريقها نداءً وثغورها أقاح: [من الطويل]

وأرضٌ من الحصباءِ بيضاء قد جرت

جد أولُ ماءٍ فوقها تنفجر<sup>(3)</sup>

كما سبحت تبغي النجاة أراقم

على روضةٍ فيها الأقاح منور<sup>(4)</sup>

إلى أن تداعى بنيان النهار في الانهيار، فوافتنا الرحمة من سائر الأقطار، بوافر الغيث ومديد الأمطار، فاستبشرنا وحق لنا الاستبشار [58ب] ودخلنا حينئذ مدينة أسكودار، وداعى الفلاح يدعو إلى الصلاة الوسطى، فازداد القلب بذلك سروراً

(1) وردت في (م) و (ع) : «وأعمنا» .

(2) زيادة في (م) : «وصبا وانبساط» .

(3) وردت في الاصل و (ع) : «تنفجر» .

(4) البيتان في تاج المفرق 1 : 149 بلا عزو .

وبسطاً، وأجبناه بصلاتها من غير توان ولا إبطاء، وأسكودار<sup>(1)</sup> بلدة لطيفة حسنة ظريفة فسيحة الأرجاء<sup>(2)</sup>، صحيحة الهواء، ضروها صقيل، ومجتلاها جميل، ونسيمها أرج النشر<sup>(3)</sup> عليل، يمتد أمامها بسيط أنضر، ويساط أخضر، قد أجرى الله فيه مذائب الماء تسقيه وتحثف بها بساتين ملتفة الأشجار يانعة الثمار، والبحر الأعظم القُسطنطيني ينساب بين يديها، وينعطف عليها، ويخنو إليها، ويعنو خاضعاً لديها، وبها مساجد وضية، وعمارات فضية، وأسواق حسنة، وخانات مستحسنة، ومنها يُركب في المُعدية<sup>(4)</sup> إلى المدينة العظمى القُسطنطينية، فعدى الحمزاوي بالخزانة ومن معه من القوم بعد العصر من ذلك اليوم، واستخرت الله تعالى في الإقامة بها بقية اليوم، وهو يوم الأحد ثم من تلك الليلة إلى الغد، [59] فنزلت بمن معي بعمارة هناك على الساحل، وأرحنا الأبدان والرواحل، فتلقنا خادمها بالتأهيل والترحيب، وأنزلنا في مكان بها متسع رحيب، فلما أسفر وجه الصباح وحيعل<sup>(5)</sup> داعي الفلاح واستنار وجه المحجة بعدما كان بسواد الليل منتقياً، وابتهجت الأنف بقدوم فجر كان مرتقباً، وتخلق الكون بردع الشمس، وحُمد ظهورها في ذلك اليوم كما حُمد<sup>(6)</sup> بالأمس، ورد علينا مشرف شريف، وكتاب عال منيف، من مولانا وسيدنا المقر الكريم الإمام العلامة شيخ المسلمين السيد عبد الرحيم<sup>(7)</sup>، مضمونة الاعتذار عن عدم تلقيه بحمي شديدة بنافض تعتريه، وأنه هياً لنا منزلاً، ولكن نزل في عمارة

(1) أسكودار: مدينة كبيرة على بحر مرمره، وهي أحد أقسام (أحياء) مدينة القُسطنطينية، وكانت مركزاً

هاماً من مراكز التصوف في الدولة العثمانية. مرّ بها الرحالة المشهور بكبريت وكذلك الرحالة

الخياري، انظر: رحلة الشتاء والصيف 187، رحلة الخياري 1: 239، المنح الرحمانية 155.

(2) وردت في (ع): «الأرجاء»، ولعل الناسخ نقل الفاصلة هاءً.

(3) وردت في (ع): «النسيم».

(4) من الوسائل المستعملة في عبور الممرات المائية من قوارب وصنادل.

(5) الحَيْعَلَة هي قول: حيّ على الفلاح في الأذان.

(6) وردت في (ع): «كما حمدنا».

(7) هو السيد عبد الرحيم العباسي (ت963هـ)، تقدم التعريف به في مطلع الرحلة.

السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ أَوَّلًا ، حَتَّى يَجْتَمِعَ <sup>(1)</sup> بِالْوَزِيرِ مَوْلَانَا إِيَّاسَ بَاشَا ، ثُمَّ يَسْتَأْذِنُهُ فِي  
النُّزُولِ بِذَلِكَ الْمَكَانِ أَوْ حَيْثُ مَا شَاءَ ، وَصَدَّرَ الرِّسَالَةَ بِقَوْلِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَهُوَ عَلَى  
جَمْعِهِمْ إِذْ يَشَاءُ قَدِيرٌ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتَيْتَيْنِ بَعْدَ مَا  
يَظُنُّنَّ كُلُّ الظَّنِّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا <sup>(2)</sup>

مَرْحَبًا بِالْحَبِيبِ ابْنِ الْحَبِيبِ [59ب] السَّيِّدِ ابْنِ السَّيِّدِ الْحَبْرِ الْأَرِيبِ ، ذِي الْمَجْدِ  
وَالْمَفَاخِرِ الْمَأْتُورَةِ ، وَالْجَدِّ وَالْمَنَاقِبِ الْمَشْهُورَةِ ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَيْخِ الْمُسْلِمِينَ : [مِنَ الرَّجْزِ]

قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ تَحْمَدُهُ  
وَيُؤْمِنُ طَالِعُ كَذَا تَشْهَدُهُ  
يَا خَيْرَ مَنْ خُلِفَ عَنْ خَيْرٍ خُلِفَ  
مَا زِلْتَ تَحْيِي مَا حَيَّا سَحَبَ دَرْفِ  
قَرَّتْ بِبَقِيَاكَ عَيُونَ الْبَشَرِ  
كَمَا لَهَا دَرَّتْ عَيُونَ الْبِشْرِ  
زَيْنُكَ الْإِلَهَ ذُو الْجَلَالِ  
بِحَلِيَّةِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ  
لَيْسَ يُرَى لِمَجْدِكَ انْصِرَامُ  
مَا كَرَّتْ الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ

فَفَعَلْنَا كَمَا أَشَارَ ، وَصَعَدْنَا الْمَعْدِيَةَ عَصْرَ ذَلِكَ النَّهَارِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ مُسْتَهْلِ شَهْرِ  
ذِي الْقَعْدَةِ ، تَفَاوُلًا بِأَنَّ الْحِظَّ قَدْ أَبْرَزَ سَعْدُهُ ، وَالسَّعْدُ قَدْ أَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَأَنَّ الْوَقْتَ لَنَا إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِقْبَالِ ، وَنَجَاحِ سَعْيِ وَبُلُوغِ آمَالِ ، فَلَمَّا ارْتَقَيْنَا مِنْ ذُرُوتِهَا أَعْلَاهَا ،

(1) وردت في (م) : «يجتمع» .

(2) هذا البيت لمجنون ليلي من قصيدته المسماة بالْمُونِسَةِ انظر ديوانه ص 203 . وقد ضمّن كثير من الشعراء

هذا البيت في أشعارهم .

قلنا لأصحابنا ﴿اركبوا فيها بسم الله مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾<sup>(1)</sup> ، ثم أرخى شراعها ،  
ورُفِعَت مرساها ، وسارت بنا في ذلك [60أ] البحر العُباب ، تحسبها جامدة وهي تمر مرَّ  
السحاب ، وتمثلت بما قال بعض أهل الآداب<sup>(2)</sup> : [من الوافر]

تأمل حـالنا والجـو طلقُ  
محياءُ وقد طفـل المساءُ  
وقد جـالت بنا عذراءُ حـبلى  
يجاذبُ مرزطها ربحُ رخاءُ  
ببحرٍ كالسـجـنجل في صفاء  
تُعـاينُ وجـهها فيه السـماءُ<sup>(3)</sup>

ولم نزل نسير ونحن جلوس ، وهي تتبختر بنا تبختر العروس ، وتجول بنا خلال  
ذلك البحر وتجوس ، تارة بإبطاء وطوراً بإسراع ، وحيناً بمجاديف وأونة بأشراع ، وذلك  
البحر قد راق نعتاً ، ورق وصفاً ، والأمواج به تعطف صفاً وتنقصف قصفاً ، وتأتي  
خاضعة إلى البر فتقبل منه كفاً ، وتتيه أونة فتتعطف عنه عطفاً ، وتثنى عن الإلام به  
عطفاً ، وتستحي تارة فتبدي له تملقاً ولطفاً ، إلى أن أرسينا بمرسى قسطنطينية  
العظمى ، ذات المحل الأسمى والحمى الأحمى ، فتلقانا الأمين سنان جلبي<sup>(4)</sup> أمين  
الصقالة ، وعظمننا [60ب] وأجلنا<sup>(5)</sup> غاية العظمة والجلالة ، وأحلنا منزلته  
وحلاله<sup>(6)</sup> ، وكان مولانا السيد أسبغ الله ظلالة ، وختم بالصالحات أعماله ، قد أرسل

(1) سورة هود آية 41 .

(2) وردت في (ع) : «الأدب» .

(3) الأبيات في رفع الحجب المستورة 1 : 135 منسوبة لابن سارة الإشبيلي .

(4) جلبي : لقب تعظيم بمعنى سيد كان شائعاً بين العثمانيين ، انظر : البرق اليماني (المقدمة) 76 ، لطف

السمر 1 : 25 .

(5) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(6) وردت في (ع) : «وجلاله» .



إليه بسببنا رسالة ، وأزاح عنه بمعرفتنا الجهالة ، فحييناه بالتحية والسلام ، ودخلنا المدينة بسلام ، وذلك حين نشر الأصيل رداءه المذهب ، وتقوّضت خيام الضياء ومدت سرادقات الغيب : [من الكامل]

والشَّمْسُ تَنْفُضُ زَعْفَرَانًا فِي الرِّبَا  
وَتَمُدُّ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبًا

ومعلوم أنّ هذه المدينة دار الطمأنينة وقاعدة الرّوم وأمّ المدائن ومقر الملك ، ومركز دوران الفلك ، ومحطّ الرحال ، ومآل الترحال ، ومعدن الفخار ، وموطن الرؤساء والكبار ، ومنبع الإقبال ، ومربع الآمال ، ومنتهى المقاصد والمطالب ، ومشتهى القاصد والطالب ، ومظهر شمس السعادة ، ومقر جيوش<sup>(1)</sup> السيادة ، آيات محاسنها لم تزل بالسن السّمَار متلوّة ، وعرائس [61أ] بدائعها لم تبرح على أعين النظّار مجلوّة ، من أجل ما فُتِحَ من البلاد ، وأعظم ما استخلصته يد الصّلاح من الفساد ، كم خطبها عظيم من ملوك الزمان ، وأمهرها مواضي المشرفيّة وعوالي المران ، وهي أشدّ ما يكون إباءً وأقوى ما يمكن منعه واستعصاء إلى أن قصدها من ادخر<sup>(2)</sup> له ذلك الفتح في خبر طويل الشرح ، وهو المرحوم السعيد الشهيد السّلطان محمد خان بن مراد خان ، ووالد السّلطان بايزيد ، بوأهم الله غرف الجنان ، بمزيد العفو والغفران ، وذلك في سنة سبع<sup>(3)</sup> وخمسين وثمانمائة ، فنذلت له صعابها ، وخضعت لسطوته رقابها ، ولان جماعها ، وتسنّى انفتاحها ، وأعلن فيها بالتهليل والتكبير ، وصرّح فيها بالصلاة على البشير النذير ، وقامت بها قامات المناثر ، وارتفعت فيها درجات المنابر ، وأخرست

(1) وردت في (م) و (ع) : «غروس» .

(2) وردت في (م) : «اذخر» .

(3) سقطت سنة الفتح من جميع النسخ وعرضنا ذلك من كتب التاريخ ، وقد تسنّى للسّلطان محمد خان

فتح القُسطنطينيّة بعد حصار دام أشهر ، وبعد تمام الفتح سمح للمسيحيين بأداء شعائرهم وأعطاهم نصف كنائسهم وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين . انظر : تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد

فريد بك ص 60 ، وكتاب محمد الفاتح للدكتور سالم الرشيد ص 53-

النواقيس ، ونطق بالتأذين على رغم إبليس ، وخُطَّتْ بها المساجد والمدارس ، وعمرت [61ب] بأوقات الخيرات بعدما كانت دوارس ، ونصب الدِّين المحمدي خيامه ، ورفع الشرع الأحمدي على قُلُلها أعلامه ، وبُذلت من الإنجيل بالقرآن ، وعُوِّضت من الرهبان بعلماء الايمان ، فأصبحت شمس الدِّين بأفاقها مشرقة ، وسُحِب اليقين بجنباتها مغدقة .

وبها من الأئمة الأعلام ، وعلماء الإسلام ، من العرب والعجم والأزوام ، ما يتجمل به الزمان ، ويفتخر به العصر والأوان . ومن الجنود الوافرة والأأم المتكاثرة ما يُعزَّ به الدِّين ويذل<sup>(1)</sup> به الطغاة المعتدين والبغاة المفسدين ، وسنذكر فيما بعد إن شاء الله تعالى بعضَ من اجتمع بنا من أعيانها وأهلها وقطانها . وبها من المساجد والجوامع ، التي هي لأنواع الخيرات جوامع ، ما تقرَّ به أعين الموحدين ، وتزداد به عبادة المتعبدين ، ومن العمارات العظيمة ذات الصدقات الجسيمة والمبرات العميمة ما هو [62أ] جار أجره إلى يوم الدِّين ، ويشهد لفاعله أنه من المحسنين المهتدين . ومن أجلها المساجد الإحدى عشرة الفائقة المتقاربة المتلاصقة ، البديعة الحسنة الرائقة ، المنسوبة إلى السُّلطان محمد المشار اليه ، أسبغ الله تعالى ملابس رحمته ورضوانه عليه ، وهي المدارس الثمانية<sup>(2)</sup> اللاتي مدرسوها أعظم مدرسي الرُّوم ، ولكل منهم أجرز وأجر وأجل معلوم ، والتاسعة العمارة التي يطعم بها الفقهاء والمتفقهون ، ويحلُّها وينزل بها المقيمون والقاطنون ، والمسافرون والظاعنون ، وتجري عليهم الأظعمة صباحاً ومساءً ، ويعم خيرها من لا يحصى رجالاً ونساءً ، والعاشرة الجامع المعظَّم السامي الرفعة ، المتسع الرقعة ، التي تقال فيه الخطبة ، وتقام فيه الجمعة ، ويجرى في هذه الأماكن من الخيرات ما لا يمكن حدُّه ، ولا يحصر عدُّه ، [62ب] والحادية عشرة المارستان<sup>(3)</sup> وهو مدرسة على كيفية

(1) وردت في (ع) : «وتذل» .

(2) المدارس الثمان : وهي مجموعة المدارس التي بناها السُّلطان محمد الفاتح ؛ بنى أولاً أربع مدارس إلى شمال مسجده ، ثم أربعاً أخرى جنوبه ، وسميت هذه المدارس الثمان «بمدارس الصحن» ثم أسس ثماني مدارس أخرى للدراسات التمهيدية سميت «تمة الصحن» .

(3) المارستان : كلمة فارسيّة تعني دار المرضى .

العمارة . وبها امام مراتب وبجوانبها الحجرات المتعلقة بالمرضى ، وهو من أعجب الأشياء لا يُرى أحسن منه بناء ، ولا أبدع إنشاءً ، ولا أكمل انتهاء في الحسن وانتماء ، ولا أكثر خيراً ، ولا أحسن شرباً وميراً ، وفيه من قناطر الأشربة والأحمال الرفيعة الطيبة ، والأدوية الحسنة المعجبة ، وسائر المعاجين المعمولة على القواعد الطبية والقوانين إلى ما يضاف إلى ذلك من لحوم الطيور والأغنام على اختلافها وتباين أصنافها ، مع ما يحتاج إليه كل واحد من يوافيه ويحلّ فيه من غطاء ووظء ، ومشموم ومدرور وشبه ذلك على ما هو معد على أكمله هنالك ، وقد رتب على ذلك كلّ من الأطباء الماهرين والشهود المبرزين والنظار العارفين والخدّام المتصرفين كل ما هو في معالجته ، موثوق بعدالته ، مسلم إليه في معرفته [63] ، غير مقصر في تصرفه وخدمته ، ويحصل منه كل يوم من التفرقة على الصادرين والواردين ما لا يدخل تحت ضبط حيسوب ، ولا يحيط به دفتر ولا مكتوب ، وفي مبانيه الرائقة ، وصناعاته الفائقة ، وطرره الرهيبة ونقوشه العجيبة المنتخبة التي ترفل في ملابس الإعجاب ، وتسحر العقول والألباب ، ما يفتن النفوس ، ويكشف البدور والشموس ، ويعجز عن وصفها خطات الأقلام في ساحة الطروس<sup>(1)</sup> .

وأما مسجدها الأعظم أي صوفياً<sup>(2)</sup> الذي كان كنيستها العظمى فهو من<sup>(3)</sup> أعظم معاهدها وأجلّ مشاهدها ، يحار النظر فيه ، وينحسر دون تصوّر قوادمه وخوافيه ، ذو أبنية غريبة جميلة ، وأعمدة عجيبة جليلة ، وقبة عظيمة محيرة للعقل في التربيع والتسديس والتثمين والتدوير والتقويس ، فكم من بناء داخل بناء وقوس داخل آخر ، وكم من إحكام [63ب] وضع ، وتحديد صنع ، كاثّر بذلك بها<sup>(4)</sup> إرم ذات العماد

(1) من عبارة «المعاجين المعمولة» إلى عبارة «... في ساحة الطروس» بياض في (ع) ، وكتب في (م) على الهامش بخط غير مقروء ذهب التصوير بغالبه .

(2) معنى أي صوفياً باليونانية (الحكمة المقدسة) وبنى الكنيسة قسطنطين الأكبر سنة 320م ، ثم حولها السلطان محمد الفاتح إلى جامع سنة 857هـ ، وأصبح الآن متحف .

(3) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(4) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

وفاخر، فلا يحيط به نظر ولا تفكر، ولا يحكيه عقل ولا تصور<sup>(1)</sup> : [من الطويل]

تجاوزَ حدَّ الرُّهْمِ واللَّحْظِ والمنَى  
وأغشى الحُجَى لألأوه المتضايِ  
فتنعكس الأفكار وهي حواسرُ  
وتنقلبُ الأبصارُ وهي خواسي<sup>(2)</sup>

وقد كان بها صور أجسام عجيبة الأشكال<sup>(3)</sup> والأجرام، وقد طمس أكثرها وبقي أثرها، وبها مسجد آخر كان كنيسة أخرى يقال له أيا صوفيا الصغرى ذو أبنية غريبة وأشكال عجيبة، ولكن ليس كالذي سبق ولا يقاربه ولا يناظره في جلالته ولا يناسبه، فما كل صهباء خمرة، ولا كل حمراء جمرة، ولا كل سوداء تمرة : [من الطويل]

وما كل دار أنست دائرة الحما  
ولا كل بيضاء الترائب زينب<sup>(4)</sup>

وبها من المباني الهائلة، والأسواق الحافلة، والمرايع الرائعة، والمصانع الناصعة، والقصور الشاهقة، والمسكن الرائقة، والمسالك المتسعة، والربوع المبدعة، والمرامي العالية [64] والمراقي السامية، ما تحار فيه الأوهام، وتكَلِّ دون وصفه الأقلام : [من الرُّجز]

هي القصورُ البيضُ لا ما حدثوا  
عن إرمٍ وغبيـرِها من البنا

(1) وردت في (ع) : «تصوير» .

(2) البيتان في تاج المفرق 1 : 220 بلا عزو .

(3) وردت في (ع) : «الإشكار» .

(4) البيت في تاج المفرق 1 : 220 بلا عزو .

تخستطف الأبصارُ من لآلئها  
والليل قد ألقى القناعَ الأذكَنا<sup>(1)</sup>

وبها من المفترجات الظريفة ، والمنتزهات اللطيفة ، والرياض النضرة ، والمروج  
الخضرة ، والأزهار الزاهرة ، والأشجار الباهرة ، ما هو نزهة النفوس ، ومسرّة العبوس ،  
وبهجة الخواطر ، وقرّة النواظر ، ومن محاسنها أيضاً أنّ بكل بيت منه روضاً وبثراً  
يفيض منها الماء فيضاً : [من الكامل]

فالجوّ رقراق الشماع مفوفٌ  
والماءُ فياض الآتي معسجدُ  
والروضُ في حلى الربيع كأنما  
نَظَفَ الغمامُ لؤلؤً وزبرجد<sup>(2)</sup>

وبها من الآثار القديمة ، والأعمدة العظيمة ، والمعالم الجسيمة ، والمراسم المقيمة ،  
ما يذهل الألباب ، ويستولي عليها منه<sup>(3)</sup> العَجَبُ العُجَاب<sup>(4)</sup> .  
فلما دخلناها في الوقت المذكور ، وركنا إلى الاكتنان [ب64] والوكور ، نزلنا أولاً ،  
كما أشار مولانا السيّد ، في عمارة المرحوم السلطان محمد ، شمله الله تعالى برحمته  
وتغمد ، فشهدنا منها أعظم مشهد وأكرم معبد ومعهد ، وخيرات تدلّ على رحمة  
منشئها وتشهد ، وحضر خادم المكان فتفقد مصالحنا وتعهد ، وأخلى لنا مكاناً متسعاً  
فضياً وأفرد ، وفرش لنا فرشاً موطاً موطد ، وبتنا هناك بأنعم ليلة وأسعد ، على مهاد  
وطى ووطاء بمهد ، غير أنّ لواعج الأشواق لا تهمد ، ونيران الفراق لا تنطفئ ولا  
تخمد ، بل تتزايد ضراماً وتتوقّد ، وتتأطد وتتأكّد ، وكلما جمعنا شمل النوم تبدّد ، أو

(1) البيتان في تاج المُفَرِّق 1 : 198 بلا عزو .

(2) البيتان في تاج المُفَرِّق 1 : 239 بلا عزو .

(3) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(4) ترك المؤلف هنا في مسودته (م) بياضاً مقدار ورقة .

عقلنا نادةً تفلّت وتشرّد ، والقلب كلما ألمه القلق رفع عقيرته وأنشد : [من البسيط]

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ  
إن عهدي بالنوم عهدٌ طويلٌ<sup>(1)</sup>

وقد توارد على القلب تفلقان ، أنتجهما<sup>(2)</sup> تحرقان ، وأوجيهما تشوقان ، أحدهما إلى الأهل والأولاد والأوطان<sup>(3)</sup> ، والثاني إلى مشاهدة مالك الروح والجنان والفضّاد السيّد الكريم عبد الرحيم<sup>(4)</sup> ، والثاني [65] أغلب وللأرق أجلب وللب أسلب ، إذ لا يقاس الشاهد بالغايب ، ولا يلتحق أفراد الجمع بقوة الواحد ، ولا الداني الدار بالبعيد المزار : [من الوافر]

وأبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً  
إذا دنتِ الخيامُ من الخيامِ<sup>(5)</sup>

وقد طال ذلك الليل مع قصره وعَسْعَسَ ، وسألته عن صبحه فقال لو كان حياً لتنفس ، كما قال المنشد وهو ابن مُنقذ<sup>(6)</sup> رحمه الله تعالى : [من الكامل]

ولربُّ ليلٍ تاهَ فيه نَجْمُهُ  
قضيتُهُ سَهراً فَطالَ وعَسْعَسَا  
وسألتهُ عن صُبحه فأجابني  
لو كانَ في قَيدِ الحِياةِ تَنفَسَا

(1) البيت في معاهد التنصيص 4 : 231 منسوباً إلى إسحاق الموصلي .

(2) وردت هذه الكلمة في (ع) : «التجا» وفي (م) : «انتجا» .

(3) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(4) السيد عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي (ت963هـ) ، تقدّم التعريف به في مطلع الرّحلة .

(5) البيت المذكور في تزيين الأسواق ص32 بلا عزو ، وفي : الحلة السيراء (1 : 5) وتاج المفرق (2 :

154) : «إذا دنت الديار من الديار»

(6) أبياته في معاهد التنصيص 1 : 265 .

فلما تنفس الصباح بعد ما أيسناه ، وتحققنا أنه في قيد الحياة ، وأظهر نوره في الأفاق وسناه ، وانجاب طيلسان الليل ، وشمر للفرار من النهار الذيل ، وستر كافور الفجر مسك الغياهب ، وظهرت الشمس المنيرة على الأنجم الثواقب ، قصدت منزل مولانا المشار إليه ، للسلام عليه والمثول بين يديه ، فوجدته قد جد<sup>(1)</sup> به ذلك المرض ، وأثر في جسمه بعد ذلك الجواهر العرض ، وأثقله حمل عبئه [65ب] وبهض ، فلما رأني اجتهد في القيام ونهض ، فتلاقينا بالتقبيل والعناق ، وتهاديننا تحف الأشواق ، وتشاكينا روعة الفراق ، وحن كل منا حنين المغرم المشتاق ، وحمدنا الله تعالى على ما من به من التلاق ، وتسابقت شهب الدموع من الأماق ، وتراكضت جارية في جوانب الأحداق ، وتراكت من العيون سحبتها ، وقضى من النحيب نحبها ، وأنشدت لبعضهم : [من الطويل]

ولما وقفنا للسلام تبادرت  
دموعي إلى أن كدتُ بالدمع أغرقُ  
فقلتُ لعيني هل مع الوصلِ عبرة  
فقالت ألسنا بعده نتفرق<sup>(2)</sup>

ولبعضهم : [من الكامل]

ووقفتُ بين تأملٍ وتململٍ  
يبدو السرورُ على فؤادي الجازعِ  
حيرانَ لا أدري لقربِ رائقِ  
أذري<sup>(3)</sup> المدامعَ أم لبعدِ رائقِ<sup>(4)</sup>

(1) وردت في (ع) : «جدد» .

(2) البيتان في تاج المفرق 2 : 11 بلا عزو .

(3) وردت في الأصل : «أبدي» ، وأثبتنا ما في (م) و (ع) .

(4) البيتان في تاج المفرق 2 : 11 بلا عزو .

ثم جدّد البكاء بالانتحاب الزائد ، لفراق شيخ الإسلام الوالد ، فحرك لواعج  
أحزان لم تفتّر ولم تهمد ، وأضرم نيران أشجان لم تنطف ولم تخمد ، فأخذ كل منّا  
من ذلك حظه وبلغ منه نصيبه ، واسترجعنا [66] وحوقلنا<sup>(1)</sup> من تلك المصيبة ،  
وتوجّعنا وتألّمنا من رشق سهامها المصيبة ، ثم أخذنا نجول في ميادين مذاكرة ،  
ونحوض في بحار محاورة ، ونستخرج كمائن محادثة ، ونستفتح خزائن منافثة ،  
ونجتلي أبحار أفكار ، ونجتذب أهذاب<sup>(2)</sup> آداب ، ونقيد شوارد فوائد وأوابد فرائد ،  
فمضى لنا من ذلك يوم : [من الوافر]

أشفّ من الليالي في صفاء  
وأحلى من معاطاة الكؤوس

فلما استوت شمس ذلك اليوم ، ومالت الرؤوس وقت القيلولة للنوم ، خرجنا من  
عنده للسلام على صاحبنا وصديقنا وحبیبنا الشيخ الأوحّد والإمام الأمجد ملا  
حاجي جلبي عبد الرحيم بن علي بن المؤيد<sup>(3)</sup> ، هو صدر من صدور أئمة الدّین ،  
وكبير من كبراء الأولياء المهتدين ، وقدوة في أفراد العلماء الزاهدين ، حامل لواء  
المعارف ، ومحرز التالذ منها والطارف ، محافظ على الكتاب والسنة ، قائم بأداء  
الفرض والسنة ، حامل لأعباء صلاح الأمة ، باسط للضعفاء وذوي الحاجات جناح  
الرفقة والرحمة<sup>(4)</sup> ، ذو أوراد وأذكار يعمّر بها [66] مجالسه ، وأحوال وأسرار يغمر  
بها مجالسه ، وجدّ في العبادة ، وجهد في الزهادة ، ومواظبة صيام ، وملازمة قيام :  
[من الكامل]

(1) الاسترجاع قول : «إنا لله وإنا إليه راجعون» ، والحوقة قوله : «لا حول ولا قوة إلا بالله» .

(2) وردت في (م) و (ع) : «أهذاب» .

(3) توفي سنة 944هـ ، وترجم له مجل صاحب الرحلة في الكواكب السائرة 2 : 165-167 ، والشقائق

النعمانية 258- ، شذرات الذهب 10 : 364 .

(4) وردت في (ع) : «الراحمة» .



يقضى بنفع الناس سائرَ يومِهِ  
ويجفوه في جنح الظلام مضاجِعُ  
فينفك عنه يومُهُ وهو ذا كَرُّ  
وينفك عنه ليلُهُ وهو رَاكِعٌ<sup>(1)</sup>

فبادرته بالسلام عليه ، والذهاب إليه ، لعلمي بأنه ضعيف البنية ، قديم السن عسر المشية ، فقابلني بالرحب والترحيب ، وعانقني معانقة الحبيب الحبيب ، وترحم على شيخ الإسلام وبالغ في الشاء وابتهل في الدعاء ، ولم يدع شيئاً من أنواع الإكرام وأصناف الاحترام وأجناس التلطف في الكلام ، فلم أر أحسن من لقائه ، ولا أزين من ولائه ، ولا أجلى من محادثته ، ولا أحلى من منافته ، فلم أدر أأرد أم أروود ، وأفد على مجالس جود أو مجال سجود ، وقد كان هو اجتمع بشيخ الإسلام في بلاد الشام حين قدمها قافلاً من الحجاز ، وفاز بمشاهدته كل مفاز ، فأكرمه وواخاه وخالته ووالاه ، [67] وشهد كل منهما في الآخر أنه ولي الله ، فلبثنا عنده وقتاً نجوب في أرجاء المؤانسة<sup>(2)</sup> ونجول ، ثم ودّعناه ومضينا إلى محل النزول ، وأرسل هو خلف شخص من أكابر الرؤم ، ليعلم صاحبنا الوزير بالقدوم ، فأعاد الجواب بأنه فرح بذلك وسرُّ به ، وابتهج غاية الابتهاج بسببه ، وأن ميعاد الاجتماع به يوم الجمعة بكرة أو يوم الخميس عشية لتنقضي ضيافة السلطان بسبب مهم ختان أولاده للأمراء والينكجيرية<sup>(3)</sup> ، وهذا المشار إليه هو الهمام المرتضى والحسام المنتضى ، حسنة الأيام وغيث الأنام ، غمام ندا الهاطل ، وجمام العدا العاجل ، ناظم شمل الفريق ، وفاتح باب الأزمة والضيق ، جامع أشتات المعالي ومحرز شرط الكمال ، فلم يصلح إلا له المقر الكريم العالي الأميري الكبير الوزير المشير العالم العادل الفاضل الكامل المهدي

(1) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 166 ، وفي تاج المفرق 2 : 37 بلا عزو .

(2) وردت في (ع) : «المواقيت» .

(3) الينكجيرية : كلمة تركية معناها : الإنكشارية أو الجيش الجديد . انظر : لطف السمر (هوامش المحقق)

المشيدي<sup>(1)</sup> الذخري<sup>(2)</sup> العضدي ، زعيم جيوش الموحدين ، عاضد الغزاة والمجاهدين ،  
 أصف الدهر وفريد العصر ووجيد المصر وفخر القطر ، [67ب] وسم العداة وآفة الجُرز ،  
 ومالك بيض الطروس وسمر السطور بالبيض والسمر ، عين الوزراء العظام ، ورأس  
 الأمراء الفخام ، وأشدّهم بأساً وأقواهم جأشاً ، مولانا الوزير المعظّم والمشير المفخم إياس  
 باشا<sup>(3)</sup> : [من البسيط]

ذو عزيمة كالتماع البرق واقدة  
 تجيء من نُضْره بالعارضِ الهطلِ  
 لولا السعودُ التي نيّطت بهمته  
 لكننتُ أنسبها بُغداً إلى زحل<sup>(4)</sup>

أدام الله سعده ، وحرس بعين العناية مجده ، ما دارت الأفلاك وسبحت الأملاك ،  
 وهو بمن له محبة واعتقاد تام ، في سيدي الوالد شيخ الإسلام ، وقد حضر إلى عند  
 الوالد حين كان بكلربكي<sup>(5)</sup> بالشام متخشعاً متواضعاً طالباً للبركة والدعاء ، راغباً في  
 اللحظ والإمداد ، ملتمساً للصحبة والوداد ، ولم تزل الصحبة بيننا وبينه من ذلك  
 الزمان ، والمكاتبات تتردد بيننا وبينه في كل حين وأوان ، فوفينا له بما وعدّه به وشرّطه ،

(1) المشيدي : من ألقاب أكابر أرباب السيوف ككتاب السلطنة ونحوهم ، وهو نسبة إلى المشيد من

التشييد وورفع البناء . انظر : صبح الأعشى 6 : 28 .

(2) الذخري : من ألقاب أرباب السيوف أيضاً وربما أطلق على غيرهم . انظر : صبح الأعشى 6 : 14 .

(3) إياس باشا الوزير كان كافلاً لدمشق ، وكانت سيرته حسنة ، توفي في القسطنطينية سنة 946هـ ،

وترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 125 .

(4) البيتان في تاج المفروق 2 : 112 بلا عزو .

(5) البكلربكية : كما تقدّمت الإشارة إليها هي الولاية أو الإمارة ، والبكلربكي أمير الأمراء وهو لقب

يطلق على بكوات الصناجق . انظر : البرق اليماني - المقدمة - ص 57 ولطف السمر (هوامش المحقق)

1 : 228 ، وزبدة كشف الممالك 112 - .

واجتمعنا به بكرة الجمعة في بستانه بر<sup>(1)</sup> الغَلَطَةَ ، فحصل منه غاية التعظيم ، ونهاية التبجيل والتكريم ، وتلقاني [68] إلى خارج الدار ، وهو مظهر للسرور والاستبشار ، فبادر كل منّا لصاحبه وسابق ، وصافح واستلم والتزم وعانق ، وحيّاً بأطيب السلام ، ووانس بأعذب الكلام ، وسألني عن جماعة من أهل الشّام ، وترحم وترضّى على سيّدي شيخ الإسلام ، وتألّم لفراقه وتوجّع ، وحوقل لتلك المصيبة واسترجع<sup>(2)</sup> ثم قال : هو باق وسره ما فات ، فإن من خَلَفَ مثلك ما مات ، فإنك نعم الخلف ، كما كان رحمه الله نعم السلف ، ونعتني بالعلم والفضل التام ، وشهّرني بذلك عند الخاص والعام<sup>(3)</sup> ، وسألني ابتداءً منه فيما لنا من الحاجات والأشغال ، لتقتضى بإذن الله تعالى على أكمل الأحوال ، والله تعالى هو المأمول<sup>(4)</sup> ، في المقاصد كلّها والمسؤول ، في قضاء الحاجات جلّها وقلّها ، وسألني عن محل النزول فقلت له الآن في عمارة السّلطان محمد ويريد مولانا السيّد أن ينزلنا عنده ؛ فقد أخلى لنا مكاناً حسناً وأفرد ، فقال : [68ب] تقدّمنا السيّد وسبق ، والآ فنحن كنا بذلك أحق . وحصل منه من التواضع والرقّة ما لا يعبر عنه ولم يصدر في حق أحد غيرنا منه . ولله تعالى الحمد أهل الثناء والمجد ، ثم اجتمعت به ببيته بالمدينة ثاني مرّة ، فبالغ في الإكرام والمبرّة ، وأظهر غاية البشر والمسرّة ، وأهديت له مهادة الأحاب ، مُصْحَفاً معظماً بخطّ ابن البوّاب ، وبُرْدَة لطيفة ، وسُبْحَة بلّور ظريفة ، فقابل ذلك بالإقبال والقبول والتقبيل ، وأنزل منزلة الكثير ذلك النزر القليل ، وقرأ في المُصْحَف في أماكن عدّة ، ثم قرأ بعض أبيات من البُرْدَة ، وسألني عن معناها ، فأجبتّه بأجوبة ارتضاها ، وسألني : هل المعوذتان من القرآن قطعاً أو هما من قبيل التعوّذ؟ فقلت له :

(1) وردت في (ع) : « بين » ، والغَلَطَةَ على ما ذكر ابن بطوطة هي القسم الثاني من القُسُطُنطينيّة ، والقسم الأول يدعى اصطنبول يفصل بينهما نهر يسمى أبسُمي ، والغَلَطَةَ بالعدوة الغربية من النهر وهو خاص بنصارى الافرنج يسكنونه . انظر : تحفة النظّار 2 : 251 .

(2) الحوقلة هي قول : « لا حول ولا قوّة إلاّ بالله » ، والاسترجاع قول : « إنّنا لله وإنا إليه راجعون » .

(3) وردت في (ع) : « العالم » .

(4) وردت في (ع) مصحفة : « المأمور » .

هما من القرآن قطعاً . وأما ما نقل عن ابن مسعود أنه أسقطهما من مُصْحَفِه وأنكر كونهما قرآناً ؛ فعنه أجوبة منها أن هذا النقل لم يصح عن ابن مسعود كما قال الفخر الرازي وابن حزم في المحلى وغيرهما ، وعليه شيخ الإسلام [69أ] محيي الدين<sup>(1)</sup> النووي ، ومنها أنه إنما أنكر كتابتهما لا كونهما قرآناً ، لأنه كانت السُّنَّة عنده أن لا يكتب في المصحف إلا ما أمر النبي ﷺ بإثباته فيه ، ولم يجده كتب ذلك ولا سمعه أمر به ، وعليه القاضي أبو بكر وغيره ، واستحسنه ابن حجر وردَّ الجواب الأول بصحة النقل عن ابن مسعود بإسقاطهما من مُصْحَفِه من طريق أحمد وابنه وابن حبان والطبراني وغيرهم ، ومنها أنه لم يستقر عنده القطع بأنهما من القرآن ، ثم حصل الاتفاق بعد ذلك ، وحاصله أنهما كانتا متواترتين في عصره ، لكنهما لم تتواترا عنده لا أنهما تواترا بعد ذلك ، لما يلزم عليه من أن القرآن أو بعضه ليس بتواتر في الأصل ، وهذا الجواب لابن الصبَّاح وهو حسن . وقال ابن قتيبة في مشكل القرآن : ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبي ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين رضي الله عنهما فأقام على ظنه ، ولا نقول إنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون<sup>(2)</sup> والأنصار [69ب] ، وما يؤيد قوله رواية الدارقطني والبخاري عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول : إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما فأعجبه ذلك جداً وسألني في كتابته ، ثم عن لي كتابته شرح مختصر لطيف على البردة ، فكتبته في مدة يسيرة ، وسميته «الزُبْدَة» ، وأخر على آية الكرسي محرراً مطوَّلاً ، ففرغ في مدة يسيرة وتكمل ، وبيّضت للوزير نسخة بالأول ، ففرح بها غاية الفرح ، وسرَّ كثيراً وانشرح ، ثم اجتمع به قاضي العسكر قادري جلبي<sup>(3)</sup> ، فكلّمه

(1) سقط اللقب من (م) و (ع) .

(2) وردت في (ع) : «المهاجرين» .

(3) هو المولى عبد القادر بن محمد الحميدي ، المعروف بقادري جلبي ، عمل في التدريس ثم عُيِّن قاضياً في بروسة سنة 927هـ ، وبعدها بعامين عُيِّن قاضياً في مدينة إستانبول ، واستمر حتى عام 930هـ حيث عُيِّن قاضياً لعسكر الأناضول «أناضولي قاضي عسكر» واستمر حتى عزله سنة 944هـ . (انظر ترجمته في : الشقائق النعمانية 264) .

أما منصب قاضي العسكر فهو الذي كان يعين للفصل بين الجنود في أوقات الحرب والسلام .

وأكد عليه بسببي وقال : كل (ما هو) <sup>(1)</sup> متعلق به فهو متعلق بي ، وأمره بالاعتناء بشأني من كل الوجوه ، وقال : ليس لي صديق في الشام إلا هذا الرجل وأبوه ، وأمرني بالاجتماع بالقاضي المشار إليه للمعرفة به والسلام عليه ، فأكرم غاية الإكرام ، وبالغ في التعظيم والاحترام ، ووعد بقضاء الأشغال <sup>(2)</sup> على التمام ، وصار بيننا وبينه صحبة ومودة ومحبة ، واجتمعت بمولانا الوزير ، والمدبر [70] المشير ، قسيم المشار إليه ، وتاليه وعاضده ومواليه ، المقر الكريم العالي المولوي الأمير الكبير الزعيم المشير الذخري العضدي المهدي <sup>(3)</sup> الموطدي ، فخر الملوك والسلاطين ، ذخر الفقراء والمساكين ، أصف الزمان وفريد الأوان ، ضالة الناشئ الناشد ، وبغية القاصي العاضد ، وحديقة <sup>(4)</sup> الرأي الرائد ، غيث الندى الغائث ، وليث الوغا اللايث ، مولانا قاسم باشا الوزير الثالث : [من البسيط]

خَلَى لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْمَجْدِ حَاسِدُهُ  
 وَمَرَّ سَاحِلَ صَوْبِ الْعَارِضِ الْهَظَلِ  
 حَلْمٌ وَعَزْمٌ وَرَأْيٌ مُحْصَدٌ وَنَدَا  
 سَبْحَانَ جَامِعِ هَذَا الْفَضْلِ فِي رَجُلٍ <sup>(6)</sup>

فأهل غاية التأهيل ، وبالغ في الإكرام والتبجيل ، والتمس ما لنا من الضرورات والمهمات ، ليسعى في قضائها على أكمل الحالات ، والله تعالى هو المأمول والمقصود والمسؤول . وصار بيننا وبين المشار إليه صداقة ومحبة ومودة ومؤانسة وصحبة ، والله

(1) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(2) وردت في (ع) : «الاشتغال» .

(3) وردت في (ع) : «المجتهدي» .

(4) وردت في (ع) : «وحديقة» .

(5) وردت في (ع) : «ومن» .

(6) البيتان في تاج المفرق 2 : 62 بلا عزو .

تعالى يعاملنا وإياه بخفي أطفاه [70ب] ووفي عونه وإسعافه بمنه وكرمه أمين<sup>(1)</sup> .  
هذا كلّه وأرباب الدولة مشتغلون بهم الخِتان ، المتعلّق بأولاد مولانا السُلطان ،  
وليس ثمّ موكب ولا ديوان ، واستمر ذلك مدّة وأياماً عدّة ، استوعبت غالب شهر ذي  
القعدة ، فلما انفتح الديوان مفتح ذي الحجة الحرام ، اهتم الوزير بحاجتنا غاية  
الاهتمام ، والتمس منا كتابة ورقة بما نطلبه ، وما نحن بصدده ، فكتبناها فسلمّها هو  
لقاضي العسكر بيده ، وأكدّ عليه بسبب ذلك ووصّى ، فبادر<sup>(2)</sup> ذلك سفر السُلطان  
إلى مدينة برصاه<sup>(3)</sup> وصحبه إبراهيم باشا الوزير الأعظم ، ثم كان عودهما في أواخر  
شهر المحرم ، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما جرى بعد ذلك من بلوغ المرام ، ثم العود  
الى بلاد الشام إن شاء الله تعالى ، ولنلتفت الآن الى سياق التنقلات فى المنازل<sup>(4)</sup>  
الرؤميّة والتفضلات الرحيميّة ، فأقول :

لما نزلت بعمارة السُلطان محمد ، وانفردت بذلك المكان المفرد ، وصرت بين أهل  
تلك المدينة [71أ] كالشامة البيضاء فى الثور الأسود ، أعاني الغربة وأقاسي الكربة ،  
لا أجد مألفاً ولا صديقاً ولا أنيساً ولا شقيقاً ولا رفيقاً رفيقاً ، فاستوحش قلبي ،  
وطاش لبي ، وزاد كربى ، وعظم خطبى ، وضاق صدري ، وقلّ صبري ، وترادفت علىّ  
هموم ، وتواردت لديّ غموم ، من ذلك فراق الوالدة والأولاد والأهل ، وارتكاب<sup>(5)</sup>  
خطّة أمر لم يكن بالهين ولا بالسهل ، ودخولي فى أمر لم أعتده ، وشأن لم آفّه ولم

(1) ما بين القوسين ورد فى (ع) باضطراب ، ولعل الناسخ لم يستطع قراءة النص فرسم الكلمات

بأشكالها وفى (م) ورد ما بين القوسين فى الهامش .

(2) وردت فى (ع) : «فنادر» .

(3) برصاه أو برصه أو بورصا : يقال لها اليوم بروسه إحدى مدن تركيا الواقعة شرق بحر مرمرة على بعد

(20) كم وعن إستانبول حوالي (280) كم ، وقد فتحها السُلطان العثماني أورخان فى جمادى الأولى

سنة 726هـ وجعلها عاصمة الدولة العثمانية الأولى ، وذكر القرمانى أنها ذاتها عمورية التي فتحها

المتعصم . انظر : أخبار الدول 3 : 420- ، المنح الرحمانية 19 ، بلدان الخلافة الشرقية 189 .

(4) وردت فى (ع) : «المنازلات» .

(5) وردت فى (م) : «وارتكابي» .

أرتده وأعهده ، وكنت سمعت من متمقلين بالشَّام بأنَّ هؤلاء الأروام<sup>(1)</sup> لا يعرفون مقدار أحد ، ولا يلتفتون إلى من صدر أو ورد ، فزادني ذلك فرقاً ، وأكسبني وسواساً وقلقاً ، فألقي الله سبحانه على الجنان ، ما نطق به اللسان ، وأبان عنه البيان ، وجرى به البنان ، فقلت : [من الطويل]

إلى الله في كل الأُمور توسّلي  
 بهادي الوري المختار أشرف مُرسَلِ  
 محمد المبعوث من آل هاشم  
 إلى الخلق بالدين القويم المكمل [71ب]  
 لقد خُصُّ بالإرسال حقاً بأخبر  
 كما خُصُّ في الإنشاءِ خلقاً بأولِ  
 رفعتُ إليه قصتي من حوادثِ  
 وهى جَلدي منها وقلُّ تمملي  
 ألا يا رسول الله أني عائدُ  
 بجاهك من خطبِ عراني مُجللِ  
 فراقٌ لأولادي وأمي وعشترتي  
 وأهلي وأصحابي وداري ومنزلي  
 وتشتيتُ شملي في البلادِ وغربتي  
 بغيرِ شفقٍ لي عليه مُعولي  
 وقصدي لحاجاتِ أرومِ قضاءها  
 سريعاً وأخشى أنها لا تعجلِ  
 ويخفقُ من إخفاقها القلبُ سيدي  
 ويؤنسُنه علمي بأنك موثلي  
 وخوفي من كيدِ الحسودِ ومكره  
 ومن قصدهِ بغياً إصابةً مقتلي

(1) وردت في (ع) : «الأروام» .

ومن ذلّ نفسي عند إعراض مدبرٍ  
 وفتنة تعظيم لإقبال مقبلٍ  
 وكثرة تردادي لبابٍ محجّبٍ  
 ومن رؤيتي غيرَ الإله وفعله  
 عزيز إليه كلّ وقتٍ توصلني  
 لدي<sup>(1)</sup> كل حالٍ مجملٍ ومفصلٍ  
 فقوتني منها الله ثم وسيلتي  
 محمد الهادي النبي المفضل  
 فليس على غيرِ الإله توكلني  
 وليس بغير الهاشمي توسلني [أ72]

فببركة التوجّه إلى الله الملك العلام ، والتوسّل بنبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، لم يقابلنا أحد من الأكابر إلاّ بغاية الإكرام والتعظيم والتبجيل والاحترام ، والله تعالى هو المأمول في نجاح المطالب وبلوغ المآرب ، إنه سبحانه لا يخيب من توكل عليه ، والتجأ في كل أموره إليه ، وكان من تمام السعد والتوفيق ، الانتماء إلى جناب الجنّاب<sup>(2)</sup> الكريم العريق ، الصّديق الصديق ، بل الشقيق الشفيق ، بل الركن الوثيق ، والسيد على التحقيق ، ذي الحسب الصميم الظاهر ، والنسب الكريم الطاهر ، والجلال الباهي الباهر ، والجمال الزاهي الزاهر ، والكمال المتجلّي في أعلى كمالات المظاهر ، والفضل الذي تطفّل الفاضل على موائده<sup>(3)</sup> ، واستسقى من غير موارد ، والبيت الذي نمي على قواعد الدّين بل نمي الدّين على قواعد ، فقام على أرفع أركان وأثبت أساس ، وارتفع بالفضل على سائر الناس ، كيف وبانيه عمّ النبي صلّى الله عليه

(1) وردت في (ع) : «الذي» .

(2) الجنّاب : من ألقاب أصحاب السيوف والأقلام ، وقيل هو أعلى ما يكتب للقضاة والعلماء من

الألقاب . انظر : صبح الأعشى 5 : 495 .

(3) وردت في (ع) : «فوائده» .



وسلم أبو الفضل العباس ، فهو [72ب] ابن عم من ختمت به الرسالة والنبوة ، وعمته بركة العمومة الزاكية والبنوة ، السيد الكريم والسند العظيم الإمام بدر الدين أبو الفتح عبد الرحيم<sup>(1)</sup> ، فأنزلني بمنزل جوار منزله ، وأنهلني من صافي منهله ، وأغدق عليّ سبب فضله وتفضله ، فأقمنا بذلك المنزل حيناً من الدهر نحو شهر ونصف شهر ، ثم انتقلنا إلى مكان نفيس لطيف حسن أنيس ، أخلاه لنا داخل داره ، بالقرب من مكانه الذي هو مقيم به وجواره ، فلم نزل مدة مقامنا في حماه وجواره ، فكان لنا جاراً كجار إبي دُواد<sup>(2)</sup> ، وغمرتنا منه ببالغ نعم وسوايغ أباد ، وأنالنا من شمول لطفه ولطف شمائله ما برّد الكبد وأثلج الفؤاد ، ومن القرب إلى حضرته ما خفف عن القلب حرّ نيران البعاد ، أخالني بمجالسته جليس القَعَقَاع بن شُور<sup>(3)</sup> ، وأقتطف من مؤانسته أنيق ثمر وأعبق نور ، وأجنتني من مفاكهاته الجنيات ما هو ألد من فاكهة الجنات ، وأتحلّى بزالال بحره<sup>(4)</sup> المتدفق الجاري ، [73أ] وأتحلّى بعقد نظمه الفائق على الدرر بل الدراري ، وأجمع من زهر منشوره ما فاق عرار نجد ، وسما على شذا البان والرند ، وأرى على عرف النرجس والورد ، وأنبسط في داره تبسّطي في داري وأبلغ ،

(1) السيد عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي (ت 963هـ) وتقدّم التعريف به في مطلع الرحلة .

(2) أبو دُواد هو جارية بن الحجاج الإيادي من شعراء الجاهلية ، ويقال أنه مدح الحارث بن همام فأعطاه عطايا كثيرة ، ثم مات ابن لأبي دُواد وهو في جواره فوداه ، فمدحه أبو دُواد ، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه ، فضربت العرب المثل بجار أبي دُواد ، وفيه يقول قيس بن زهير :

أطوف ما أطوف ثم أوي إلى جـارٍ كـجارِ أبي دُوادِ

انظر : الأغاني 16 : 257 .

(3) القَعَقَاع بن شُور الذهلي تابعي من الأجداد ، يضرب به المثل في حسن المجاورة ، قيل : كان يجعل لمن يجالسه نصيباً من ماله ، ويعينه على عدوه ، ويشفع له في حوائجه ثم يذهب إليه بعد المجالسة

شاكراً . انظر : أعلام الزركلي 5 : 201 .

(4) وردت في (ع) : «نحره» .

وَأَتَنَعَمَ فِي ظِلَالِ جَوَارِهِ بِأَخْفِضِ عَيْشٍ وَأَرْفَعِ وَأَرْفَعِ<sup>(1)</sup> ، وَأَتَفِيأُ مِنْ ظِلَالِهِ أَوْرِفَ ظِلِّ  
وَأَسْبِغَ ، فَالْفَى مِنْهُ رَكْنًا عَظِيمًا ، وَمَأْوَى كَرِيمًا ، وَأَبَا بُرًّا رَحِيمًا ، فَكَانَ حِكَايَةَ بَعْضِ  
ذَلِكَ الْحَالِ مَا أَنْشَدَهُ طَفِيلُ الْعَنْوِيِّ<sup>(2)</sup> ، فَقَالَ : [ مِنْ الطَّوِيلِ ]

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا جَعْفَرًا حِينَ أَزَلَّتْ<sup>(3)</sup>

بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتْ  
أَبُو أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنْ أَمَّنَا  
تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَى زُونََنَا مَلَّتْ  
هُمُ خَلَطُونَا فِي النَّفْسِ<sup>(4)</sup> وَالْجَاوَا  
إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَاتٍ وَأَظْلَّتْ

وقد كتبت عنه أشياء تفوق الحصر ، وكتب عني أشياء قصد بها حصول الرفعة  
والجبر ، فمما كتبت عنه واستفدته منه مؤلفه «شرح المقامات» ، وهو عجيب في بابه ،  
ولم يكمل إلى الآن . و«شرحه على الخنزرجية» ، وهو جامع حسن ، وشرحه على  
شواهد التلخيص المسمى «بمعاهد التنصيص» ، وقد لخصته في منزله في مختصر  
سميته «تقريب المعاهد» ، وغير ذلك من مؤلفاته ومروياته ، وحكى لي عن بعض  
مشايخ<sup>(5)</sup> الكبار أن العالمة المحدثّة فاطمة بنت المنجا التُّنُوجِيَّة كانت متزوجة برجل  
دونها في الفضل ، ثم تغاضبا وتفارقا فلامها بعض تلامذتها على فراقه ، فأنشدت :  
[ من الكامل ]

(1) الرفاعة : طيبة العيش وسعته .

(2) وردت في جميع النسخ مصحفة : «العنزوي» ، والصواب ما أثبتناه وهو طفيل بن عوف بن كعب ،

شاعر جاهلي توفي نحو 13ق هـ . انظر : طبقات الشعراء 223- ، معاهد التنصيص 1 : 233 .

(3) وردت في (ع) : «أزلت» .

(4) وردت في (م) و (ع) : «بالنفوس» .

(5) وردت في (ع) : «مشايخه» .

لما رأيتُ الودَّ منه قد انقضَى  
وأراد حبلَ الوصل أن يتمزَّقَا  
فارقتهُ ونفضتُ من يده يدي  
وقرأتُ لي وله وأن يتفرَّقَا [73ب]

ونقل بلفظه وقرأته بخطه ما حكى أن الرشيد أجرى الخيل يوماً بالرقّة ، فوقف متلوّماً حتى طلعت ، فإذا في أولها فرسان في عنان ، فتأملهما فقال : فرسي والله ، ثم تبين وقال : وفرس ابني عبد الله ، فجاء الفرسان أمام الخيل ، فرسه السابق وفرس المأمون المصلي فسرب ذلك . قال الأصمعي : فقلت للفضل يا أبا العباس هذا من أيامي فاحتل بأن توصلني<sup>(1)</sup> فقال : يا أمير المؤمنين إن الأصمعي قد أعدّ في أمر الفرسين شيئاً يزيد به سرور أمير المؤمنين ، فقال هات يا أصمعي . قلت : يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم وفرساكما كما قالت الخنساء<sup>(2)</sup> ، وقد قيل لها كدت تفضلين أخاك على أبيك : [من الكامل]

جَارِي أَبَاهُ فَأَتَبَلَا وَهَمَّا  
يَتَمَاوِرَانِ مُلَاءَةَ الْخُضْرِ  
وَهُمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا  
صَقْرَانِ قَدْ حَطَّأَ عَلَيَّ<sup>(2)</sup> وَكُمِرِ  
حَتَّى إِذَا جَدُّ الْجِرَاءِ وَقَدْ  
سَاوَتْ هُنَاكَ الْعُذْرَ بِالْعُذْرِ  
وَعَلَا هَتَافُ النَّاسِ أَيُّهُمَا؟  
قَالَ الْمَجِيبُ هُنَاكَ لَا أَدْرِي

(1) وردت في (ع) : «يوصلني» .

(2) الديوان 108 ، وشرحه 55 والوافي بالوفيات 10 : 393 .

(3) وردت في (م) و(ع) : «إلى» .

برقت صفحةً وجبه والده  
ومضى على غراته يجري  
أولى فأولى أن يساويه  
لولا جلال السن والكبر

قيل لأبي عبيد: ليس هذا في مجموع شعرها، فقال: العامة أسقط من أن [أ74]  
يجاد عليها بمثل هذا قولها ملاءة الحضرم، يعني به غبرة الفرسين اللذين أثارهما  
جعلتهما كأنهما يرتديان بها ويتجاذبانها.

ونقل أن عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين كانتا تحت مُصعب بن الزبير  
فحببنا معاً ومحملهما متعادلان، فأنشد حادي عائشة: [من الرجز]  
عائش يا ذات الجمال<sup>(1)</sup> السنتين  
لا زلتِ مذ عشتِ كذا تحجّين

فأجابه حادي سكينة: [من الرجز]  
عائش ما ذي ضرة تشنوك<sup>(2)</sup>  
لولا أبوها ما اهتدي أبوك

فقالَت عائشة لحاديها: أكفف، والقصة مشهورة<sup>(3)</sup>.  
وحكى لي عن الشيخ العلامة زين الدين الأسدي أنه حكى له عمّن نقل عن  
قاضي القضاة صدر الدين المناوي أنه قرأ قول الخنساء<sup>(4)</sup> في أخيها: [من الوافر]

(1) في الأغاني (11 : 130) : «البغال» .

(2) في الأغاني (11 : 130) : «تشكوك» .

(3) هذه القصة مثبتة في الأغاني 11 : 130 .

(4) في الديوان 119 ، وشرحه 62 .

ولولا كثرة الباكين حولي  
 على أمواتهم<sup>(1)</sup> لقتلت نفسي  
 وما يبكون مثل أخي ولكن  
 أسلي<sup>(2)</sup> النفس عنه بالتأسلي

فصحفها وما سيكون بتقديم الباء الموحدة، واحتج به على جواز إدخال [74ب] الباء على الفعل المضارع كما هو في السنة العوام، فذكر ذلك للركراكي قاضي القضاة المالكي فأظهر استحسان ذلك، وحسن له أن يذكره بحضرة السلطان وكان في نفسه منه شيء، فلما ذكر ذلك بحضرة السلطان، قال المالكي: لعل هذا تصحف على مولانا، وإنما هو سيكون بتقديم الياء المثناة من تحت، فنجعل صدر الدّين، ويقال إن ذلك كان سبب موته والله تعالى أعلم.

وأشددني للعلامة المحقق الشيخ شهاب الدّين بن شقير التونسي<sup>(3)</sup> رحمه الله :  
 [من البسيط]

سائلي عن قضيتي في البراغيث  
 خذ الشرح إن أردت التقصي  
 نحن فيها ما بين قتل وقتل  
 وهي فينا ما بين قرص ورقص<sup>(4)</sup>

وذكر أنه أنشده أيضاً لنفسه أو غيره بهجو، وهو نوع لطيف : [من مجزوء البسيط]

جماعة كلهم قشور  
 ما فيهم واحد لباب

(1) في الديوان وشرحه : «إخوانهم» .

(2) في الديوان وشرحه : «أعزي» .

(3) هو أحمد بن شقير المغربي توفي سنة 909هـ، ترجم له نجل صاحب الرحلة في الكواكب السائرة 1 :

135 . وأخذه بنصه ابن العماد في الشذرات 10 : 59 .

(4) البيتان في الكواكب السائرة 1 : 135 .

## رابعهم كلبهم ولكن من حيث ما يبدو الحسابُ

وأشدني لسَيِّدي الوالد شيخ الإسلام رضي الله عنه [75] ما أنشده إياه ، وكان قد رآه راكباً في موكب السائر شخصاً أسود يقال له عبد القادر العدويّ : [من الرُّجز] لما رأيت البدرَ سائرَ أسوداً  
في موكبٍ متلاطمِ الأمواجِ  
ناديتهم لا تعجبوا من شأنه  
البدرُ يسري مع ظلامِ داجي

وحكى عن سيِّدي الوالد رضي الله عنه وأمدنا بمدده في الدنيا والآخرة ، أنّ ما وقع له معه وهو نازل عنده في بيته مختفياً في قَيْطُون بيت<sup>(1)</sup> ابن حجر ببركة الرطلي<sup>(2)</sup> من القَاهِرَة أنه كان كثيراً من الليالي ما يوقظه للقيام ، ويسمع صوته عند رأسه يقول : يا هو قم . وبينه وبينه ثلاثة أبواب مغلقة ، وأنه كان كثير التغلُّق إذ ذاك ، فقال له هذه خلوة حصلت لك فلا تخرج منها حتى تبلغ الأربعين فكان كذلك .  
وحكى لي عنه رضي الله عنه أنه حكى له أنه كان مغرماً بحب الجمال ، فأراه الله تعالى في عالم الحسن صورة حورية ، فانتسخ ذلك من قلبه بالكلية ، وأخبرني [75ب] أنه كان جالساً بحضرتة يوماً ، رضي الله عنه ، فدخل رجل يقال له وفا الجوهريّ وهو من محبيه وهو متغيّر الوجه فسأله عن حاله ، فقال : يا سيِّدي رأيت الليلة مناماً وأنسيته ، فقال له رضي الله عنه وهو يضحك : أخبرك به؟ فقال : نعم ، فقال : رأيت النبي ﷺ وهو يخبرك أن أجلك اقترب فتيقِّظ لنفسك ، فصرخ وفا

(1) هكذا وردت في الأصل ، وفي (م) والكواكب السائرة 2 : 162 : قيطون بنت ابن حجر ، والقيطون : الخدج ، ويطلقها المغاربة على الخيمة ، وجمعها قياطين .

(2) ذكرها المقرئ في الخطط التوفيقية (3 : 264) بأنها في الجهة البحرية من القاهرة ، وعرفت أيضاً ببركة الطوابة ، وسبب تسميتها بالرطليّ لأنه كان فيها شخص يصنع أرتال الحديد التي يوزن بها .

صرخة كادت روحه تخرج معها ، وقال : نعم ، هكذا والله رأيت ، ثم قام من المجلس وهو مضطرب متواجداً ، فما كان إلا دون الشهر ومات وفا المذكور . وحكى لي عنه أيضاً غير ذلك ، وكراماته ، رضي الله عنه ، أكثر من أن تُحصَر ، وقد ذكرت منها جانباً في القصيدة القافية التي رثيته بها ، وسأذكرها قريباً إن شاء الله تعالى .

وأخبرني عن قاضي القضاة محب الدين بن الشُّحْنَة عمن ينقل عنه من أهل العرفان والعلم ، أن من قرأ آية الكرسي إحدى عشرة مرة عند قصده حاجة أو دخوله على كبير ، فإنه يقضي حاجته ويعظم في عين ذلك الكبير ، ولم يزل في حرز وحماية [76] ونجاح مقصد وكفاية ، (وقد نقلت ذلك أيضاً عن بعض من اعتقد فيه الصلاح ، وذكر أنها تقرأ سبع عشرة مرة)<sup>(1)</sup> ، ونقل عن بعض الصلحاء من أهل مصر أنه من قرأ بعد العُطَّاس فاتحة الكتاب ثم قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(2)</sup> ومرّ بلسانه على أسنانه جميعها ، فإنها تحفظ من الآفات ، ولا يصيبه منها سوء ، وبما أنشدنا إياه من نظمه ، فسح الله في أجله ، ونفع بعلمه قوله ، وهو معنى مخترع : [من الوافر]

أحبُّ من البرية كلَّ سَمَّحٍ  
قريب المستقى سهل القيادِ  
إذا ناداه مُفْتَقِرٌ لبراً  
أجاب نداءه قبل صدَى المنادي

وقوله مضمناً : [من مجزوء الرجز]

دَعَّ الهَوَى وَاَعَزَّمْ عَلَى  
فَغَلَّ الثُّقَى وَلَا تَسَلْ  
فَأَفَى الرَّأْيِ الهَوَى  
وَأَفَى الْعَجْزِ الْكَسَلِ<sup>(3)</sup>

(1) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(2) سورة يس الآيات 78 ، 79 .

(3) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 164 .

وقوله أيضاً: [من مجزوء الرُّجز]

افعلْ جميلاً وانسهْ تُحصِه

من سرّه يدري ونجسواه [76ب]

فإن أسنى حُلّة لامرئ

أن يفعل الخبيرَ وينساه (1)

وقوله وقد جلس فوقه في مجلس بعض الرؤساء جاهل : [من السريع]

إن يقعد الجاهلُ فوقي ولم

يَرعَ ذمّ العلم والأصل

فالشمسُ يعلو زحلّ أوجهاً

وهي على الغاية في الفضل (2)

وقوله : [من الطويل]

كثير من الخلان يبدي تملقاً

وفي قلبه داءٌ من الشر موبقُ

كبحر أجاج لا يسوغُ مذاقهُ

يُريك صَفَاءَ قَاعِهِ وهو مفرِقُ

وقوله : [من مجزوء الرُّجز]

في الدهر قومٌ ملثت نفوسُهم من خبيث

أجدُّ في فراق ما قد ألفوا من رفث

اغسل رجلي فإنك نويت رفع الحدث

(1) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 165 .

(2) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 165 ، ومعاهد التنصيص 3 : 71 .



وقوله : [من مجزوء الرُّجْز]

حَالُ الْمُقْلِ لَمْ يَزَلْ  
يَشْكُو اضْطِرَاراً مَسْتُهُ  
يَقُولُ لِمَا ضَيَّفَهُ  
يُذْهَبُ عَنْهُ أَنْسُهُ  
إِنَّ الَّذِي يَزُورُنِي  
يَظْلِمُنِي وَنَفْسُهُ<sup>(1)</sup>

وقوله : [من الرُّجْز]

يَا وَاهِباً غَفْرَانَهُ لِمَنْ أَعَزَّ شَأْنَهُ  
هَبْ لِفِسْوَادِي قِسْوَةً تَزِدُّ بِهِ إِيمَانَهُ  
حَتَّى يَقُولَ دَائِماً لِمَنْ يَرَى جِثْمَانَهُ  
سَبْحَانَهُ سَبْحَانَهُ سَبْحَانَهُ سَبْحَانَهُ [أ77]

وقوله : [من المتقارب]

أَرَى الدَّهْرَ يَسْعِفُ جُوهَالَهُ  
فَأَوْفَرُ حَظِّهِ الجَاهِلُ  
وَانظُرْ حَظِّي بِهِ نَاقِصاً  
أَيَحْسَبُنِي أَنَّنِي فَاضِلُ<sup>(2)</sup>

فأجبتة بديهة بقولي : [من المتقارب]

أَعْبُدُ الرَّحِيمَ سَلِيلَ الْعُلَا  
وَيَا فَاضِلاً دُونَهُ الْفَاضِلُ

(1) الأبيات موجودة في الكواكب السائرة 2 : 165 .

(2) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 165 .

أَتَعْتَبُ (1) دَهْرًا غَدًا مَوْقِنًا  
بَأَنَّكَ فِي أَهْلِهِ الْكَامِلُ (2)

وقوله أحجية : [من المجتث]

يَا سَيِّدًا قَدْ تَسَامَى  
عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَسَّ قَتِ  
مَا بَنُوهُ مِنْتَهَا هَاهَا  
مَرَادِفُ غَيْبٍ وَقَتِ

فأجبتة بقولي : [من المجتث]

يَا سَيِّدًا ذَا نَعْمَوَاتِ  
عَلَّتْ عَلَيَّ كُلُّ نَفْتِ  
لَعَلَّ أَخْرَجَ صَادِ  
بِمَا تَحَاجَّيْتَهُ يَأْتِي

ويقولي أيضاً : [من المجتث]

يَا بَحْرَ عِلْمٍ وَجُودِ  
لِكُلِّ غَادٍ وَصَادِ  
لَعَلَّ ذَا اللَّفْزِ يَأْتِي  
فِي خَتَمِ سُورَةِ صَادِ

ومن الغرائب ما سمعه في المنام ، وقد مات السلطان سليم خان ، وأُخْفِيَ مَوْتُهُ  
إِلَى أَنْ يَحْضُرَ وَلَدُهُ سَلِيمَانُ : [من السريع]

(1) في الأصل و (ع) : «اتعبت» ، والتصحيح من (م) والكواكب السائرة .

(2) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 165 .

قُلْ لِشَاطِطِينَ الْبَغَاةِ اخْسِئُوا  
قَدْ أُوتِيَ الْمَلِكُ سُليْمَانُ<sup>(1)</sup> [77ب]

وأخبرني أنه رأى نفسه في المنام وهو ينشد ويشير للأديب علاء الدين ابن  
مليك<sup>(2)</sup> وكان حياً : [زجل]

هذا الأديبُ لصُ نشُـال  
في كلِّ بيتِ كمِّ لو خـزينة  
يبطُ يشـرطُ ويشـتـالُ  
وتش يعـملوا أهلُ قطيـنة

وكتب لبعض الأكابر وقد التمس منه حاجة ففوض قضاءها لرجل اسمه صالح  
قوله : [من السريع]

يا مظهـرَ الأملِ والمرتجـي  
ومفـخرَ الحامدِ والمدحِ  
خالصِ ودي لم يكن فأسـداً  
فلا تكـلِ أمري إلى صالحِ

وكتب لقاضي قسطنطينية سعدي ، وقد عمّر منزلاً وسكن فيه يوم النيروز قوله :  
[من الخفيف]

يا عظيمـاً دونـه شمسُ الضحـى  
بدليلِ قطـمٍ ما فيه خفـا

(1) البيت مثبت في الكواكب السائرة 2 : 163 .

(2) هو علي بن محمد ، ابن ملك ، شاعر توفي سنة 917هـ ، ترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 261-

وأعلام الزركلي 2 : 11 .

هي بالمنزل تعطى شرفاً  
وبك المنزل يُعطى الشرفا

وأنشدني أول اجتماعي به في بيته بمنزلة القُسْطَنْطِينِيَّة في هذه الرحلة قوله :  
[من الكامل]

عَجِبَ الأَنَامُ لِنورِ قُطْرِ زُرَّتِهِ  
يا ذا العُلا والمجدِ والتَمَكِينِ [178]  
فَعَجِبْتُ مِنْ إعجابِهِمْ وَأَجَبْتَهُمْ  
لَمْ لَا يُضِيءُ الكَوْنُ بِدَرِّ الدِينِ  
وأنشدني من قصائده الطوال ، حرس الله ذاته من عين الكمال ، شيئاً كثيراً كتبت  
منها جملة في غير هذا الكتاب ، واخترت أن أذكر هنا منها ما أرسله لشيخ الإسلام  
الوالد ضمن كتاب وهو قوله : [من الخفيف]

يا فـؤادي وأين مني فـؤادي  
لست أدريه ضل في أي وادٍ  
شعب الحب قد تشعب قلبي  
في ذراها وغاب عنه الهادي  
يا خليلي إن تميراً بلغل  
فانشده ما بين تلك الوهادِ  
وهو في قبضة الغرام أسير  
دون فساد أو هالك دون وادي  
ليس غير الصدى يرد جواباً  
لي عنه في حالة الإنشادِ  
كلما قلت أين ضل فؤادي  
رد لي منه أين ضل فؤادي  
كم ليال سهرتها وسميري  
في دجائها زهر النجوم البوادي

أذرعُ الأفقَ بين شِرقٍ وغربِ  
بجفونٍ تعافُ طيبَ الرقادِ  
أحسنتُ صنعةَ البديعِ فوافتُ  
بجناسٍ بين السهأ والسهادِ [78ب]  
وكذاك الطباقُ لاح فصبري  
في انتقاصٍ ومدمعي في ازديادِ  
والصباح استعمار من هجر حُبي  
حُلةً أو ثنته طولَ التَمَادِي  
فترى الطرفَ في ارتقابِ سنائه  
مثل رُقبي أهلةَ الأعْيَادِ  
لو بدالي وجهه الرضبي لأغنى  
عن سنائه بنوره الوقَادِ  
سَيِّدٌ لم يزل يُمدّ مواليه  
بفبيضٍ من أغزر الأمدادِ  
ولعبد الرحيم رَحْمَى لَدَيْهِ  
هو في ظلِّها وثبيرُ المَهَادِ  
لم يزل منه لي نتائجَ لطفِ  
غادياتٍ تفوقُ سحَّ الغَوَادِي  
والتففاتِ بخاطرِ حائلِ ما  
بين حالي وبين أهلِ العنادِ  
وسلوكِ على طريقِ قسومِ  
مُوصِلِ هُدْيِهِ لنهجِ الرَشَادِ  
لستُ أنسى لياليا بحمَاهُ  
بتُ فيها قريرَ عينِ الودَادِ  
راتعماً من ولانها في برودِ  
نَسْجُهَا محكمِ بصنْعِ الأيَادِ

وظلالٍ من فيضِهِ سابغاتٍ  
 لم يزل في جبرها في امتدادٍ  
 وتلافٍ لما بدأ من تلافٍ  
 بصلاح يزيل عَيْثَ الفسادِ [79أ]  
 ليتَ أيا مَنّا المواضي تفضدي  
 بالبواقي من جالباتِ البعادِ  
 فله في الحشَا اضطرأ لهيبِ  
 ليس يُطفئ بغير نيل المرادِ  
 حقق الله في التلاقي رجاءً  
 هو للنفس أشرفُ الأزوادِ  
 وأزاح الأعذارَ عنه وحيًّا  
 وأراح الفؤادَ مما يعادي  
 يا وليّ الوجودِ عطفاً على من  
 هو من مُنتدك في خير نادِ  
 ماله غيرُ ظلِّ جودك ظلُّ  
 فهو يعدو به على كلِّ عادِ  
 دمتَ للعالمين بحرُ علومِ  
 يرتوي منه كلُّ صَادٍ وُعَادِ  
 ولشيخِ الشيوخِ نجلك سعدِ  
 ذو نغمٍ من مالكِ الإسعادِ  
 ومعالِيه قرةٌ لعيونِ  
 من نوالِ وسخنةٍ للمعادِ  
 ما أذيل اللقاء من يوم بين  
 وأعاد السرور لطفَ المعادِ (1)

(1) بعض أبيات هذه القصيدة موجودة في الكواكب السائرة 2 : 162-

وما كتبه أيضاً لشيخ الإسلام أيضاً ضمن مطالعة وأراد إرسالها صحبة مولانا حاجي چلبي حين قدم الشام حاجاً ، ثم لم يتيسر إرسالها معه فأرسلها صحبة غيره ، واختصر منها الأبيات المتعلقة بالشار إليه [79ب] : [من الكامل]

هل لي إلى سُبُل اللقَاءِ وَصُورُ  
لأرى وحبل مسرتي موصولُ  
وتقَرَّرَ عَيْنُ طالمَا باتت به  
والجفن معها بالقذا مكحولُ  
ويقرَّ قلبٌ دائمٌ خفقانه  
ويصحَّ جِئْمٌ بالأسى مفلولُ  
وأقولُ غفراً للذي جَنَّتِ النَّوى  
وأحيدُ عن ذمِّي لها وأحولُ  
وأرى الذي فوقَ العنان محلُّه  
رأي العَيان وينقضي التخييلُ  
وتزولُ أوهام الحُلُومِ وينتـهي  
شبهه يحقق دَرَكَها التأميلُ  
فهناك الأمالُ يذهبُ عينيها  
ويفوت وسواسُ بها ويزولُ  
وأرى محيَّاه رَضِيأً كاسمه  
عني وبرغم حاسدٍ وجهولُ  
فهو المنى والقصدُ والسؤلُ الذي  
أبغِييه والمرجـو والمأمولُ  
يا من به وبحبِّه وولائه  
أحيا وأقْبِرْ لستُ عنه أزولُ  
عودتني بلطيف<sup>(1)</sup> برُّ عَادَة  
كم عادَ لي مما تُعيدُ جميلُ

(1) وردت في (م) : «بجَمِيل» .

ترتاحُ رُوحِي عندَ لِقياها كما  
يرتاحُ من رُوحِ الشَّففاءِ عليلُ  
ويهزُّني عندَ إِذْكارِي لطفِها  
طربُ كما هزَّ الحَكيمُ شمولُ [180]  
وأظَلَّ مرْتقباً طلوعَ سَمودِها  
رُقبي الهلالَ وقد أَطلَّ حلولُ  
والآنَ إبطاءُ سيبِها في سَحاهِ  
وغَدَتَ رياضُ الأَنسِ وهي محولُ  
وذوتُ غروسُ أنتِ غارسِها ومنِ  
شأنِ السحابِ تكريمَ وهطولُ  
فابللُ بها رَمَقاً متى أهَمَّتْه  
حُقُّ الفناءِ وحُتْمُ التَّخْوِيلُ  
ولأنتِ أَكْرَمُ شبيمةٍ من أن يري  
لك سائلُ والدمعُ منه يسيلُ  
واهنأُ بلقيا سيّدِ فرعِ الوري  
عِلماً وقد طابتَ لديه أصولُ  
متفرّدُ جمعتَ حسانَ خِلاله  
غراً لها زهرُ السَّماءِ حُجولُ  
عرفَ المعارفَ قد تَضوَعُ نَشْرهُ  
منه ويقولُه <sup>(1)</sup> عليه دليلُ  
حَسْبُ المشيدِ به اختصارُ حديثه  
متعمّداً فالشرحُ فيه يطولُ  
يهوى لقاكَ بالسَّماعِ وقد أبى  
إلا العيانَ فجَدُّ منه رحيلُ

(1) وردت في (ع) : «ومعوله» .



وإذا التقى البحران قُلْ في مجمع  
 البحرين مهما شئت فهو قليل  
 والعبدُ في حال التلاقي راغبُ  
 في دعوة تعطى المني وتُنيلُ  
 لا زلتَ ظلاً سابغاً يأوي له  
 من كان في طلبِ الخلاصِ يجولُ [80ب]  
 ولنجلك البدري أسنى رتبة  
 تسمو إليها همة وتميلُ  
 ويدومُ كهفاً للأنام وملجأ  
 في ظله تأوي الوري وتقبيلُ  
 ما سئل سيفُ الفجرِ من غمدِ الدجى  
 وبدا بكفِ الشرقِ وهو صقيلُ

وما كتبه له أيضاً ضمن مطالعة من أدرة : [من المتقارب]  
 مُحَبِّبُ فيك كما تعهدُ  
 من الودِّ والشوقِ بل أزيدُ  
 يرى كَلِمًا بعهدتِ داره  
 صباباته عنه لا تبعدُ  
 ومهما تقادم عهدُ اللقاء  
 جديداً تلهفُهُ يوجدُ  
 فأنسى وكيف ومن أين  
 للدنو سبيلُ إذا يُقصدُ  
 وكم بيننا جبلٌ شاهقُ  
 تخلَّلَ ساحته فذفدُ  
 وسد من المنع أسوارة  
 تسوَرها قط لا يحددُ

ولكن إذا جاء عونُ الإله  
تسهّل ما كان يستمرّدُ  
فيا واحداً في العُلَى والنهى  
وهل فيهما غيرك الأوحّدُ  
رضي القلبُ منك منأى الذي  
له طولُ دهري استترفدُ [81]  
فكنْ كاسمك المجتبي إنه  
لطيقُ مُسَمَّاك إذ يوردُ  
ولا تخلني من دعاء به  
رجائي قوي لما أقصدُ  
فلي مددُ منه أحيا به  
وبعد الممات إذا أُلخدُ  
بقيت من الله في نعمة  
تفوق يدَ الحصر إذا تُفدُ  
ونجلك بحرُ العلوم الذي  
يزيدُ على البحر إذ يزيدُ  
ولا زلتما نيري دهرنا  
عظيميه ما وجدَ الفرقدُ

وكتب إليه وامتدحه بقصائد أخرى كثيرة ، ذكرتُ غالبها في غير هذا الكتاب ،  
وكتب<sup>(1)</sup> إلى المرحوم ملك الأمراء كافل المملكة<sup>(2)</sup> الشامية الأمير أركماس ، وقد  
لبس خلعة : [من البسيط]

(1) وردت في الأصل : « وكتبت » والتصحيح من (م) و (ع) .

(2) كافل المملكة : من القاب كبار النواب كتائب دمشق وغيره . انظر : صبح الأعشى 6 : 66 .

قد أمكنتُ فُرصَ الإقبالِ فانتَهزِ  
 وحُلْ موعَدها بالسُّمُعدِ فانتَجِزِ  
 واركَبْ إليها براقَ العزمِ وامضِ لها  
 كالبرقِ يومضُ خِفَافاً على نَشِيزِ  
 واجذبْ عنانَ الأمانِ غيرَ محترسِ  
 وخذِ بفودِ المعالي غيرَ مُحترِزِ  
 واهزُزْ بكفِ اقتدارِ كلِّ ذي ميسِ  
 واطعنْ به كلُّ قلبٍ غيرِ ذي ميزِ [81ب]

وأمددْ يمينك للاجيءِ بمكرمةِ  
 وابسطْ يسارك<sup>(1)</sup> للمستزفدِ العوزِ  
 وسُنْ بحزمك ما في الناسِ من مرجِ  
 ووضْ بعزمك حدَّ الجامعِ النَّشِيزِ  
 وحاذِرْ الخلقِ واصحبهم على دخلِ  
 ولا تدعْ حالةَ المستوفزِ الحَفِيزِ  
 واستعملِ الحزمِ في كلِّ الأمورِ فَمَنْ  
 يضيعُ الحزمِ لم يظفرْ ولم يَقْزِ  
 واهنا بخلمةِ عَزْ بالوفاءِ وردتْ  
 وبالهناءِ قد غَدَتْ مرقومةَ الطرِيزِ  
 واخْلَعْ بلبسك إياها قلوبَ عِدَا  
 وجُوههم قبحت من شدةِ الشَّمِيزِ  
 وأعدزْ بفضلك في تقليلِ عِدَّتِها  
 فالعدزُ أوضحُ من شمسِ على وشَيزِ  
 ضاقت عليّ قوافيها ألم ترني  
 أتيت بعد نفيسِ الدرِّ بالخَرِيزِ

(1) وردت في (ع) : «بشارك» .

لو كان لي بسطُ عيشٍ كان لي لسنٌ  
 لذي البلاغة لم يحوج ولم يعجز  
 يا مَنْ بأخلاقه فات الملوك عُلا  
 كما تفاوت بين الصّدر والعجز  
 ومن بنائله أحيا الوجود كما  
 يحيي الحيا حين يهمي ميت الجُرز  
 دُم وابق واسلم وجُز<sup>(1)</sup> في دولة وعُلا  
 ما لم يحاوله مخلوق ولم يحُز  
 واستجلها بنتُ فِكْر في مروط سنا  
 لغير مجدك لم تملك ولم تُحز [82]<sup>A</sup>  
 زائبة لم تدغ مرمى لذي غرض  
 ولو أتى ببسيط القول والرّجز  
 كفيلة للذي يأتي يعارضها  
 أن لا يعود بغير الهزؤ والطّنز  
 واسمخ لها بقبول منك يجبرها  
 ولو بلخظ من الإيماء والرمز

وكتب إلى القاضي سعدي بن عيسى قاضي القسطنطينية : [من البسيط]  
 قررت عيون العُلا مُذبت راعيها  
 وبالثناء شدت إذ صرت داعيها<sup>(2)</sup>  
 ومنك قد أشرقت أيامها وغدت  
 من مدّها بالسنا بيضا ليايها

(1) وردت في (م) : «وحز» .

(2) وردت في (م) : «واعيها» .

وكيف لا يبهج الأيام سؤود مَنْ  
سمت معاليه عن قرم يساميهها  
لا تسألن سوى عليه عنه تصب  
فالدار تنبئ عن مقدار بانيتها  
كأنه نسخة في المجد مثبتة  
ومن عداه دخيل في حواشيهها  
انظر بعينك في الأشخاص هل تر من  
يولي المعالي سواء أو يواليها  
واستخبر البيض عن مقدار همته  
تُخبرك بالمعجز منها عن مواضعها  
واستفهم السُمر عن أدنى عزائمه  
تجيبك<sup>(1)</sup> عن كنه عليها عواليها  
يا من يقيس جداه بالسحاب أفق  
فالبحر يعجز عنها إذ يُجارِها [82ب]  
جدواه مال وجدوى السحب جود حيا  
فالفرق كالصبح يبدو في دياجيهها  
أكرم به بشراً أنشأه بارئه  
على خلال تعالت عن مُباريهها  
أثاره لكن بالتفصيل مفصحة  
عن حسن ظاهرها منه وخافيهها  
من أين ما جثتها تظفر بمخبرها  
أمن قوادمهها أم من خوافيهها  
تبارك الله كم من آية ظهرت  
من مجده وفم الأيام تاليها

(1) وردت في (ع) : «تجب» .

يكفيك أن عطاياهُ وأنعمه  
 تجيب قبل صدى عافٍ يُناديها  
 ما فيه عيب سوى أن الوفود له  
 تنسى بتأهيله قربي أهاليها  
 أقامه الله للأيام يظهر ما  
 محت يد الدهر من آثار عافيتها  
 إذا تأملتَه حق التأمّل يا  
 من ليس في قلبه بلوى يُناجيها  
 تظن أن كرام الناس قد نشروا  
 والأرض جادت على الدنيا بما فيها  
 يا واحد العصر صبح الفضل منك بدا  
 كالشمس في الظهر لا شيء يُواربها  
 من مغرب الكون للشرق المنير فلا  
 يرى لعلياك ذو مجد يُوازبها  
 أين الثرى والثريّا في كشافته  
 ونورها وتجليها بزاهيها [183]  
 تعلم المكرمات الناس منك فقد  
 أصبحت مرشدها فيهم وهاديها  
 كم عاطل الحال مثلي مسّه كرم  
 من منتدك فأمسى وهو خاليها  
 وكم شكى قسوة الأيام ذو كرب  
 فما انثنى عنك إلا لأن قاسنيها  
 وراضها منك تدبير ومرحمة  
 فأبدلته بوصل من تجافيتها  
 وكم غدت سحب الإحسان مسكة  
 وجودك كفك يُغني عن غواديها

إليه لعمري قذفت الأنام بما  
 حوت من رتب أعيت مراقيها  
 وحزت من شيم شام اللحاق بها  
 لمع البروق فلم يلحق هَواذيهما  
 وسدت بالسؤود المحض الذي عمرت  
 ربوعه لك أخلاق تُعانيها  
 وسميك الجيد في تأثيل مكرمة  
 بين البرية مشكور مَسَاعِيها  
 دم وابق واسلم لمعروف تجدده  
 بين الأنام لمثريها وعَافِيها  
 في دولة بدوام السمعد دائرة  
 والله باللطف والإسعاد حَامِيها  
 واهناً بنور وزعام عائداتُ أبدأ  
 إليك منه مسرات تواليها  
 في صحة واغتباط وانبساط يد  
 فيما له النفس تهوى من مَرَاضِيها [83ب]  
 وما لذاتك في الدنيا وزُخْرُفِها  
 شيء يساوي علاها أو يُدَانِيها  
 يا من بعليائه الأمثال سائرة  
 ما بين حاضرها تبدو وبآديها  
 في مثل ذا اليوم يهدي القادرون إلى  
 أربابهم غرراً تسمو غواليها  
 وليس لي غير مقدور الشناء فلي  
 فيه حدائق قد طابت مَجَانِيها  
 إن أدعها لك في حمد وفي مدح  
 جاءت إلي مطيحات قوافيها

فففيه أهديت أبياتاً إذا قبلت  
 أريت على دُررٍ تزهو مَرائيها  
 عسى تهب لها ريح القبول فلا  
 يُرى لها شاعر يوماً يُحاكيها  
 وعش لمجد يرى الأناُم منك به  
 مفاخرأ تملأ الدنيا معاليها  
 وسعد نجلك ممدود الظلال فلا  
 يُرى لعلياته نقص يُشانيها  
 في كل لمح له مجد يجده  
 محمود أخلاقه اللاتي تُراعيها  
 ما رنحت عذبات الرند بارحة  
 وما ترنم في الأدواح شاديها

ونظمه ونثره لا يعدُّ ولا يحصى ، وفصائله وفواضله لا تحدُّ ولا تستقصى ، وهذا  
 القدر كاف ، وبما قصدناه واف ، ومَّا حصل منه من الخير العام [84] والجبر التام وغاية  
 الأنعام ، ما ألزمني بإملائه عليه ، أحسن الله تعالى إليه ، بعد أن أحجمت عن  
 ذلك ، وحق لمثلي أن يكون عن مثل ذلك مُحجماً ، ورقى دمي حياءً وخجلاً ، حتى  
 لا تجد منه محجماً ، وأستعفيت مما أعفى . ولم يزل جازماً ومصمماً ، فأجبت به إلى  
 ذلك وإن كان فيه متهكماً ، فمما كتبت بخطي وخدمت به حضرته الكريمة قصيدتي  
 القافية التي رثيت بها سيدي شيخ الإسلام الوالد ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل  
 فردوس الجنة منقلبه ومثواه ، المسماة «بنفث الصدر المصدور وبث القلب المحرور» ، وقد  
 تقدّمت الإشارة إليها ، والوعدُّ بها ، وهي هذه : [من الكامل]

قلبٌ يذوب وأدمع تتدفق  
 والجسم بينهما غريق مُخرق  
 وجوانح فنيت ضناً ومرائر  
 شقت وحق لمثلها يتشقق



وتنفس الصعداء ناراً من جوى  
كسبيد تقطع بالأسى وتمزقُ  
أواه من حدث تذوب له الحشا  
ويدونه الأرواح منا تزهقُ [84ب]  
ومصيبة عمت وطمت فالورى  
من خطبها في نار كرب تقلقُ  
والجو أظلم والبلاد تضوحت  
والأرض ترجف والصخور تفلقُ  
لم لا وشمس العلم غابت<sup>(1)</sup> في الشرى  
أبدأ وفي يوم القيامة تشرقُ  
وضياء عين الكون زال لفقدها  
إنسانها فإلى العلاء لا ترمقُ  
والبحر غاض ودره متألق  
والبر فاض وسره متدفقُ  
قسماً بجوهر دره المكنون أو  
بمصون سر نشره يستنشقُ  
وبطيب عرف من علوم نشرها  
في الكون في كل المعالم يعقبُ  
ويحبيل عرفان به مستمسك  
وإلى الوصول به له متعلقُ  
ما ذقت طعم النوم بعد فراقكم  
إلا لماظاً أو خسببلاً يخنقُ  
أو لحظة فيها أراكم فأجبروا  
بدوامها وعلى العبيد تصدقوا

(1) وردت في (ع) : «غائب» .

إني لأعلم أنكم لم تغفلوا  
 عن عبدكم حتى بكم يستلحقُ  
 وأنا بذا مستبشراً لكنني  
 من حجب حسان الشرى متقلقُ  
 فلعل يرفع ذا الحجاب بسرعة  
 وأفك من قيد الجسوم وأطلقُ [85]  
 إني سئمت من الفراق وإنني  
 من مرطول زمان مرا فرقُ  
 ليس المرؤة سادتي أن تتركوا  
 ناراً بعبدكم تشب وتحرقُ  
 أو تتركوه بعبدكم يا منيتي  
 بسهام أغراض المصائب يرشقُ  
 أو تتركوه للبلاء متعرضاً  
 فلقد غدا<sup>(1)</sup> بولائكم يتدرقُ  
 بل خلصوه من شوائب دهره  
 فعليه أنتم منه حقاً أشفقُ  
 والعبد عبدكم ورقُ جنابكم  
 والقصد منكم أنه لا يعتقُ  
 منوا بقرب لا يقبول وربما  
 من الفتى وهو المغيظ المحنقُ  
 بل أنت راض يا رضي ولم تنزل  
 عين الرضى منكم إليه تحدقُ  
 حاشاكم أن تغمضوها عنه أو  
 أن تصرفوها بالقلبي أو تطرقوا

(1) وردت في (م) : « وهو الذي » .

يا سادتي لولاكم ما كان لي  
فضل به بين الوري أتخلقُ  
كلا ولا ذكر ولا صيْتٌ ولا  
قد شاع أني في العلوم محققُ  
كلا ولا ألقيت درساً مبهجاً  
قيدت فيه أوأبدأ لا تلحقُ  
كلا ولا أهديت بحثاً فاتحاً  
باباً إلى التحقيق قد يتطرقُ [85ب]  
كلا ولا جمعت تصانيفي التي  
سارت مسير الشمس ما يتفرقُ  
كلا ولا بالشيخ ادعى في الوري  
كلا ولا وفقت في ما أنطقُ  
كلا ولا ألبست ثوب جلاله  
متجدداً طول المدا لا يخلقُ  
والظن فيكم أن فيضكم الذي  
قد عمّني قدماً دواماً يغدقُ  
حاشاكم أن تجزروا والمدد الذي  
عمّ العوالم سيببه المتدفقُ  
حاشاكم أن تتركوني ساعياً  
فيما لعل السعي فيه يخفقُ  
حاشاكم أن تقطعوا عاداتكم  
يا سادة عاداتهم لا تخرقُ  
والخرق للعادات من سيماهم  
والعهود منهم دائم والموثقُ  
أولم تقم عشراً بلا قوت ولا  
حدث وأنت بوارد مستفركُ

هلا تركت المالكي بمجلس السلطا  
ن مطروحاً صريعاً يشهقُ  
لما بغى عدواً عليك ولم ينفق  
حتى غداً مشواه لحد ضيقُ  
أنجزت في الفيقي ما أوعدته  
لما بغى عدواً فنقلت سيثشقُ  
أنت الذي في نحو عام لم تنزل  
من نزر مال باتسع تنفقُ [86]
هلا سمعت صريخ نور الدين من  
أرض الحجاز وكان باسمك يصعقُ  
وِمِصْرَ تَخْبِرُ أَنْ خَالَتِكَ الَّتِي  
تدعى بزینب قد نعمتها جلقُ  
في يوم ماتت مثلما أخبرتهم  
بوفاة أولاد وأنت مصدقُ  
أخبرتنا أن الجراكسة انقضت  
أيامهم من قبل أن يتمزقوا  
وذكرت غربتهم وأن غرابهم  
بالبين بينهم يحوم وينعقُ  
وذكرت أن الرؤم تملك ملكهم  
مع أنهم لم يشببتوا أن يلتقوا  
والشام تسلب منهم كالشعر سُلُ  
من العجيين ومسا به ما يعلقُ  
أو لم تخبرني بأن أخاك لا  
يبقى سبوعاً وهو حي يرزقُ  
مع صحة وسلامة فبدونه  
قد ضمته لحد عليه مطبقُ

أو لم تخببر أن زيدا لم يرح  
 فمراه سقم فهو منه معوقُ  
 أو لم تخببرني برؤيا المصطفى  
 كشفاً وأسرار بوجهك تبرقُ  
 بشرتني بالفتح والإقبال والعرفا  
 ن يا قطب الوجود المطلقُ  
 فلي الهنا أن تم ذلك سيدي  
 والله أنك عارف ومحقق [86ب]  
 ولكم كرامات وخرق عوائد  
 ظهرت ظهور الشمس لما تشرقُ  
 ولكم تصانيف تعد كرامة  
 لكم إلى أمثالها لم تسبقوا  
 يا بحر جوهرك<sup>(1)</sup> الفريد لعقد كت  
 ب القوم واسطة علاها رونقُ  
 لب العوارف والرسالة إذ غدا  
 فيها العشرى الأمام يدققُ  
 أوضحت برهاناً به ودلائلا  
 وفتحت كشفاً بات ما يستفلقُ  
 أو ليس نظمك سيدي الثلثين في  
 يوم يكون كرامة تتحققُ  
 يا بر عرف النفحة المسكي لم  
 تُسبق له أبدا كما لا تلحقُ  
 يا حبر هذبت الأصول بنظمه  
 درراً لوامع صنعها متأنقُ

(1) وردت في (ع) : «جواهرك» .

مع سبك جمع الجوامع السبكي إِبـ  
 ريزاً به عقد الجواهر ينسقُ  
 طابت فروع أنت جامع<sup>(1)</sup> أصلها  
 بالدر تشمـر واللالى تورقُ  
 لخصتُ تلخيصاً ومصباحاً معاً  
 وفوائداً مع ما بها يتعلقُ  
 في نحو كراس بأعذب منطق  
 وبحسنه نظماً تهذب منطقُ  
 ألفت شرحاً للصدر عليهما  
 فتفسحت نوراً فلا تتضيقُ [87]أ  
 حليتَ عقد الخزرجي وجيده  
 بالجوود فهو مقلد ومطوقُ  
 ولك المداخل في السماء<sup>(2)</sup> بهيئة  
 كسيت<sup>(3)</sup> بهاء ضؤها يتألقُ  
 ونظمتَ عقداً في العقائد جامعاً  
 لجواهر نسقت بعرف تنسقُ  
 وسلكتَ في الأثر الشريف بسلك  
 ك الدرر اللطيف مسالكاً لا تطرقُ  
 وقلائد العقيان في تلخيصها  
 نظم عجيب مستجاد مونتقُ  
 نظم اللالىء المبدعات بصنعه الخ  
 ط المونتق صنعه مستمنقُ

(1) وردت في (م) : «حافظ» .

(2) وردت في (م) : «للعاء» .

(3) وردت في (م) : «كملت» .



يا عارفاً بالله حقاً غارفاً  
من بحر توحيد كؤوساً تدهقُ  
يا غارقاً في لجة والسؤلأ  
يعبروا امرىء في صفو ذكر يفرقُ  
يا مخرجاً منه نفيس جواهر  
لم يحوها إلا الذي يتعمقُ  
يا ناصرأ دين الإله وكاسراً  
جند الضلال وحزب من تزندقُ  
يا موضح الحق المبين بحجّة  
فضحت حكيماً بالسفاه يشقشقُ  
من ليس تأخذه ملامةً لائم  
في الله أويثنيه قدم أحتمُ  
يا راقياً في كل علم ذروة  
لا يعتليها من لها يتسلقُ  
فتحت له أبواب مقفلها كما  
فتقت له من سرها ما يرتقُ [188]  
يا كاشفاً في كل علم مُعضلاً  
من أسره مكبول جهل مطلقُ  
يا من غدا من سرر تأويل بدا  
في نور تنزيل الهدى يتخرقُ  
يا حافظ العصر الذي لحديثه  
إعلان أسرار لمن يتذوقُ  
للسنة الغراء نصرك لم يزل  
للحق يظهر والضلالة يحقُ  
يا شافعي العصر شافي عي ذي  
حصر غدا من حصره يتأوقُ



يا من بأصل الفقه كان مؤسساً  
لقواعد ليست بنقض تطرقُ  
نحو الرضى أم من عمرو ومن  
زيد وأعلم من يزيد وأوثقُ  
لأبي الأسود ظالم خلفاً غداً  
عدلاً فمن هو أحمر أو أزرقُ  
قد فاق في علم العروض خليله  
ولديه أبحره غدت تترقرقُ  
يا من فصاحته لديها<sup>(1)</sup> يعرب  
عجمي لفظ لا يبين فينطقُ  
تركت بلاغته ابن وائل باقلاً  
في عيه وهو الخطيب الأشدقُ  
يا من له في الشعر نسج محكمُ  
وسواه فهو مهلهل ومزقُ  
إن امرء القيس الأمير عبده  
وجريرهم رق له وفرزدق<sup>[88]</sup>  
يا أيها الحيسوب من عن نفسه  
وهي الرضية باحث ومدققُ  
أنت الذي لعمى القلوب مبصر  
ولدائها أذكى طبيب يحدقُ  
يا سيداً حاز الكمال بأسره  
في كل فن سابقاً لا يلحقُ  
ثوب التجلد سيدي متخرقُ  
ويقرب وصل يرقع المتخرقُ

(1) وردت في (ع) : «ليدها» .

والقلب مني بالفراق مُفَرَّقُ  
 ويجمع شمل يجمع المتفرقُ  
 والهَم يَغزوني بجمع جموعه  
 فإذا انقضى جيش تبدأ فيلقُ  
 ولدفعه (1) أعددت جند تحققي  
 منكم له مددٌ كبحر يدفُقُ  
 من سرکم سور له وحماکم  
 حصن وفيضکم عليه خندقُ  
 وأنا بسابغ درعکم متحصنُ  
 ويسابغ من ذيلکم متوثقُ  
 ويسابق من لحظکم متدرعُ  
 ويلاحق من حفظکم متدرقُ  
 ويكامل من سرکم متشبهتُ  
 ويشامل من سرکم متعلقُ  
 لكن باب القلب عن فرح بما  
 لا يقتضي قريباً إليکم مغلِقُ  
 ويقربکم ووصالکم فرح (2) ومـ  
 رور إليه مستهَام شيقُ  
 ويحييکم وفنائکم مسترهنُ  
 طوی له إن كان رهناً يغلِقُ [189]  
 والصدر منشرح لبث صفاتکم  
 لكنه عن شرح بثي ضيقُ

(1) وردت في (ع) : «ودفعه» .

(2) وردت في (ع) : «فرح» .

عجباً له لم لا يقدر وتحتة  
 نيران تزفر باللهيب وتشهق  
 هل ذاك من جلد به أوقسوة  
 أوقد حتى ما به ما يحرق  
 بل ذا لحفظ الله حيث مقركم  
 فيه فلا سوء له يتطرق  
 أنت المبارك حيث كنت كما بدا  
 خوطبت بالكشف الذي لا يمدق  
 وحماك حصن لا يضام من التجأ  
 يوماً إليه ولا بضر يرهق  
 يا مرتج من فتح<sup>(1)</sup> باب مرتج  
 باب الحمى العالي الذرى لا يغلق  
 ثم أمنا يا داخلاً فيه ولو  
 أن الدماء من كل فج تُهرق  
 وأسخر بمن يبغى أذاك وسهمه  
 بالبغى عدواناً عليك مفوق  
 فالمكر سيئته يحيق بأهله  
 والسهم من ذي البغى فيه يمرق  
 لا تارقن من خوف سطوة حاسد  
 إن المنع بالحمى لا يارق  
 للسلم فيه مع<sup>(2)</sup> السلامة مشرق  
 والأمن منه مع الأمانة مشرق

(1) وردت في (م) : «جود» .

(2) وردت في (ع) : «من» .

والله إنَّ حمى الرضى لمانعٌ  
لا يستطيع له عدو ويخرقُ [98ب]  
لا يعتدي سبع عليه مثلما  
لا يعتلي عدواً عليه محلِقُ  
والله إنَّ حمى الرضى لجامعٌ  
حرباً وسلاماً مهلك أو مشفقُ  
برلمن والاه روضٌ مَثْمَرُ  
وعلى الذي لاواه قفر سملقُ  
بحر لراجيه فرات مفدقُ  
ولمن يناوئه أجاجُ مُفْرَقُ  
والله إنَّ حمى الرضى لهامعٌ  
جوداً به كل المعاهد تلتقُ  
فالفضل للأفاق منه شامل  
لكن بفاضل في العطاء وبافقُ  
فالكل من أهل الحمى يعطى على  
حسب المقام وليس فيه مملقُ  
والله إنَّ حمى الرضى لساطعُ  
بسنا به بصر البصيرة يبرقُ  
نور على أهل الهداية مشرق  
كالشمس تُشرق في الضحى بل أشرقُ  
يهدي به الله إلى سبيل الهدى  
في ليل جهل بالضلالة يفسقُ  
والله إنَّ حمى الرضى لنافعُ  
حيث الخلائق في القيامة تفرقُ  
بعد النبيين الرضى مُشَفَعُ  
بالصالحين وذو الشهادة ملحقُ

والعاملين بعلمهم مع أهل تص  
 مديق يرافقهم ولم يتفرقوا [190]أ  
 والله إن حمى الرضى لواسع  
 عن كل أهل الأرض لا يتضيق  
 فيه الضعيف مع القوى وذو الغنى  
 وكذا الفقير وذو الحجى والأخرق  
 فاقصد حماه تفز بكل سلامة  
 إن الحوادث للحمى لا تطرق

وقصيدتي الخائية المعجمة ، المنبثة عن شرح الحال والمترجمة ، وهي مرثاة فيه  
 رضى الله تعالى عنه أيضاً ، وهي : [من الكامل]

عقد التصبر بعد بُعدك يفسخ  
 والقلب من حمل الأسى يتفسخ  
 وجوى الجوانح من جوائح دهرنا  
 نيرانه تذكو ولا تتبوخ  
 والبين يصرخ بيننا بجموعه  
 رفقا بنا نفساً فهل مستصرخ  
 أذهبت عين زماننا فضيائه  
 بظلام جهل من عماء ينسخ  
 وخفضت رتبته بوهن بعدما  
 قد كان يعلو بالرضى ويشمخ  
 فاجبر مصابك يا زمان بنشر ما  
 أبقاه من طيب به تتضمخ  
 من كل علم كان فيه مفرداً  
 وبه له قدم التقدم يرسخ

ومعارف وفرت له سهماً وما  
من عارف إلا ومنها يرضخ<sup>[90ب]</sup>  
وعوارف في الدين أبدت حجة  
للحق تجبر والضلالة تُفدخ  
ومؤلفات في الفنون فرائد  
أبدأ تدون في الطروس وتنسخ  
ودوام فيض ليس يجزر مده  
غدق<sup>(1)</sup> مريع في العوالم ينسخ  
ومكارم لم يخص عد صنوفها  
مع الاختصار مترجم ومؤرخ  
لم ينقطع عمل الرضي فعلمه  
للخلق والأكوان سبيل يجلخ  
أو بدر أو شمس الضحى أو أنجم  
تهدي بليل أو جبال شمخ  
عم العباد دينهم وسرهم  
وكذا البلاد مضيقها والسرخ  
لم ينفه إلا حسود جاهل أحق  
أعمى البصيرة أو أصم أصلخ  
كم من إمام في العلوم مفتن  
قد قام دون مقامه يتدزخ  
والجود منه جرى كبحر زاخر  
ما عن غموم الكون منه برزخ  
أو كالسحاب الرطب أرخى في  
أهدابه لم يخل منه فرسخ

(1) وردت في (ع) : «غرق» .

الملا والوقف منه جرى ففي أوكاره  
 أمناً أقام ممششٌ ومُفَرِّخٌ  
 والثالث الولد الذي هو صالحٌ  
 أرجو بأني لستُ منه أسلخُ [91أ]  
 فالفيض من إمداده قد عمّني  
 فغدوت أعشب إذ حَسودي يسبخُ  
 وبخمس عشرة قد بلغت نهايةً  
 ويسبع عشرة<sup>(1)</sup> أنني متسيخُ  
 وعصرت من لب المعاني دهنه  
 إذ للنوى والقشر غييري يرضخُ  
 ولبست ثوب جلاله من غير ما  
 دنس وحاشأنا أنه يتوسخُ  
 عنوانُ ذاك مُبَشِّرٌ أن الرجاء  
 حق وليس لباطل يتججوخُ  
 هذا وتقصيري عريضٌ طائل  
 وأنا بسيري في مَدَاهُ أملخُ  
 إنني لأخشى من قيامي في غد  
 في موقفٍ لم يُلفَ فيه مصرخُ  
 ومعنّفٌ لي بالذنوبِ وقائل  
 ماذا صنعت بعلمنا ومُؤبِخُ  
 لكنني أرجو بجأه مُحَمَّدُ  
 من قَدْرَه يعلو الأنام ويَبْدُخُ  
 هادي الورى وشفيعهم في الحشر إذ  
 في الصور إسرافيل يوماً يَنْفِخُ

(1) وردت في (ع) : «وتسع عشرة» .

تطهير<sup>(1)</sup> نفسي من ذنوبٍ دُنُستُ  
لصَّحائفِي وغدت بها تتلَطَّخُ  
وعلى الصراطِ ثبات أقدامي إذا  
أقدام أهل الشرِّ عنه تَزَلُّجُ  
وأرافق العلماء منهم والدي  
في ظل عرشٍ لله جبري يَبُوحُ  
تحت اللواء الأحمدي وحوضه  
شرب لنا يروي الفؤاد وينقحُ  
ونجاور الرحمن في فردوسه  
وهو المقام الأقدس المتزَّمخُ  
ونرى الإله على الدوام ووجَّهه  
بإذِ فَبِخِ بخِ ذاك منه يبخبخُ  
وعلى النبي محمد من قد زكت  
أعراقه شرفاً وطابت أسنخُ  
والآل والأصحاب من بسِيوفهم  
محققوا رؤوس الكُفْر لما دُوَّخوا  
أزكى صلاة مع سلام لم ينزل  
في الكون عرف شذاه مسكاً ينضخُ

وقصيدتي التائية المثلثة ، الجامعة لأسماء من قيل فيه إنه من المبعوثين لتجديد  
دين الأمة في رأس كل قرن ، وهي هذه : [من الكامل]  
قد صحَّ في الأخبَّار أن الهنا  
في أول من كل قــــرنٍ باعثُ

(1) وردت في (ع) : «تطير» .



من جدّد الدين القويم وقد رأوا  
عُمَرَ الخليفة أولاً يا حارثُ  
والشَافِعِيَّ برأس قرن بعده  
ويقال إنَّ الأشعريَّ الثالثُ  
والأستراباذيَّ قبيل ورجحوا  
إنَّ السريجيَّ الإمام الوارثُ  
والأسفراينيَّ مع سهل قَضَى  
في رابع فقضى بكلِّ باحثٍ [92أ]  
ورأيت من عَدِّ الإمام الباقلًا  
نبيَّ المجدّد وهو قولُ ثالثُ  
والخامس الطوسيُّ حجَّتْنَا فكم  
خفيتُ بطيب ظهور ذاك خبائثُ  
والفخر سادسهم أو الحبر الإما  
م الرافعيُّ فذاك غيثُ غائثُ  
والسابع الشيخ الإمام ابن دقي  
ق العيد جَزْماً فهو ليث لائثُ  
والثامن البلقينيُّ قد بعثت على  
إعطائه هذا المقام بواعثُ  
أو أحمد القزّيُّ جدّي فهو من  
جادتُ له عند الجدال مباحثُ  
أو حافظ العَصْرُ العراقيُّ الذي  
زالت بنصرتِه الحديث حوادثُ  
أما السُّيوطيُّ الجلالُ فمن يَقلُّ  
هو تاسعٌ لهم فما هو عَابثُ  
ولئن حلفتُ بأنّه شيخِي الإما  
م الشيخ زين الدين ما أنا حانثُ

فيه أغاث الله جل عباده  
 فلجأ له العافي ولاذ اللاهتُ  
 وأظن أن العاشر المهدي أو  
 عيسى يجيء بدين قرن حادثُ  
 فالأمر أقرب ما يكون فقد بدتُ  
 أشراط الأخرى والمسيرُ حثاحثُ  
 فالعالم المحمودُ مدحورٌ وذو الجهد  
 لي الظلومُ كذئبٌ سوءٍ عاثتُ [92ب]  
 والكذب فاشٌ والأمانة ضيقتُ  
 والشُرُ ناشٌ والمعاهدُ ناكثُ  
 والقبض للعلم ابتدى أوماترى  
 قبض الأئمة وهو خطبٌ كاركُ  
 والعلم يرفع إذ أهينَ ورفعتُ  
 في الأرض إن لم يبق منهم لابت<sup>(1)</sup>

وأنشدته من قصائدي غير ذلك ، وهذا القدر كاف ذكره هنا ، وأنشدته من المقاطيع  
 جملة مستكثرة منها قولِي ونقله بخطه الكريم : [من مخلع البسيط]  
 أقولُ للصبح حين أجرى  
 عوائداً منه بالفراق  
 لا أشكر السعدي منك حتى  
 تكون لي رائد التلاق

وكذا قولِي في مقابلة هذا المعنى أيضاً : [من مجزوء البسيط]

(1) وردت في (م) و (ع) : «وارث» .

شكرتُ سمي الصَّبِيحَ لَمَّا  
وَأفَى بِشِيرًا بِالْأَجْتِمَاعِ  
وَقَلْتُ غَفْرًا لِمَا جَنَّتَهُ  
يَدَاكَ فِي حَالَةِ الْوَدَاعِ

وقد مرّ الأوّل في أوائل الرحلة وسنعيد ذكر الثاني عند محلّه إن شاء الله تعالى .  
وقولي ، وهو أول شيء نظمته مطلقاً : [من الرّجز]

يا ربِّ يا رحمن يا الله  
يا منقذ المسكين من بلواه [93أ]  
امنن عليّ وجُدد بما ترضاه  
بجميل فضل منك يا الله (1)

وقولي : [من الطويل]

لقد هتفت ورقاء ليلاً فهيجت  
لواعج شوق فالدموع سَواجِمُ  
كذبت وبيت الله لو كنت صادقاً  
لما سبقتنني بالبكاء الحمائم (2)

بعد أن أنشدته بيتي أبي العباس أحمد بن يحيى بسندنا إليه ، وهما : [من  
الطويل]

لقد هتفت في جُنح ليل حَمَامَةٌ  
إلى إلفها شوقاً وإنّي لنائمٌ

(1) البيتان في الكواكب السائرة 3 : 5 .

(2) البيتان في رحلة ابن معصوم المدني ق4ص90 وهي منسوبة لمجنون ليلى .

كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً  
لما سبقتني بالبكاء الحمائم<sup>(1)</sup>

وقولي : [من السريع]

من رام أن يبلغ أقصى المنى  
في الحشر مع تقصيره في القرب  
فليخلص الحب لمولى الورى  
والمصطفى فالمرء مع من أحب<sup>(2)</sup>

بعد أن أنشدته بيتي شيخ الإسلام ابن حجر، رحمه الله تعالى، بسندنا إليه ،  
وهما : [من السريع]

وقائل هل عمل صالح  
أعدده يدفع عنك الكرب  
فقلت حسبى خدمة المصطفى  
وحبه ، فالمرء مع من أحب

فطرب لمقطوعي طرباً موصولاً بسرور ، وارتاح لهما ارتياح الصادي بعد الصدور ،  
وترنح لسماهما ترنح الغصن النشوان ، وقال [93ب] عنهما وعن إماميهما<sup>(3)</sup> ليس  
الخبر كالعيان ، وليس كل إمام يستحق التقديم ، ولا كل إنسان تجوز عليه الصلاة  
والتسليم ، وأنشدته أيضا قولي ملغزاً : [من الطويل]

(1) البيتان مجنون ليلي موجودة في رفع الحجب المستورة 1 : 40 وتزيين الأسواق 124 وكتاب الزهرة 1 :

(2) البيتان في الكواكب السائرة 3 : 7 ، 2 : 167 .

(3) وردت في (ع) : «إماميهما» .

إذا ما اشترت بنت أبها وعتقه  
 به مستقر ثم أعتق عبده  
 وعن بنته قد مات ثم ابن عمه  
 ومات بلا ورث العبد بعده  
 فهل يرث المعتوق ذي البنت وحدها  
 أو البنت وابن العم أو هو وحده

وجواب شيخ الإسلام الوالد عنه بقوله : [من الطويل]  
 يجوز ابن عم للعصوية ماله  
 وليس لبنت ما تحاول قصده  
 وميراثها بالعتق من بعد عاصب  
 بنفس نسيب حيث قدرت فقده  
 وقد غلظت فيه قضاء ميؤن قد  
 غدت أربعاً والحمد لله وحده

وأنشدته منها غير ذلك وقد قيّد كثيراً منها بنخطه ، وكتبت له ملغزاً : [من  
 البسيط]

يا إماماً له الفضائل تُغزى  
 وهماماً أضحى لراجيه كنزا  
 ما بسيط حروفه ليس تحصى  
 وهو حرفان لا سوى أن تجزأ  
 كل جزء منه استوى القلب إماً  
 جاء معنى أو جاء للفظ يُعزى [194]  
 نصفه ربعه ولا ربع<sup>(1)</sup> فيه  
 وسوى الخمس منه ما تم أجزاء

(1) وردت في (ع) : «ولا نصف فيه» .

وإذا ما تصحفَ البدءُ منه  
 فهو وَصْفٌ لكامل نال عَزْماً  
 أضمر القلب غادةً إن تُصحفَ  
 آخراً فهو قولها<sup>(1)</sup> حين تهزأ  
 وعلى حمل صخرة ذو اقتدار  
 ثم عن حمل إبرة سَامَ<sup>(2)</sup> عَجْزاً  
 هاكاه واضحاً بدون خفاء  
 لغزه ظاهرٌ وإن كان رَمَزاً  
 دُمْتَ في رفعة وحفظ إلهي  
 لك دوما حصناً حصيناً وحرزاً

فأجابني عنه أسبغ الله ظلّه بقوله : [من البسيط]  
 زادك الله بالدراية عَزْماً  
 فلقد قمت للهداية كنزاً  
 يا بديع الألفاظ غُرَّ المعاني  
 صار منك البيان للدهر طرزا  
 من يجاريك في العلوم يجاري  
 اليم والمجد من تجرية يهزأ  
 إن لغزاً أرسلته فاق بدر التـ  
 م حُسْنًا وأورث الفكر عَجْزاً  
 من يفستش فليس يلقي له ثمّ نظيـ  
 راً فقد تفرّد رَمَزاً

(1) وردت في (م) : «أمرها» .

(2) وردت في (م) : «نال» .

ثم من يبتغي مضاهاته لا  
 تسمع الأذن منه في ذاك ركزاً [94ب]  
 وتراه وقد تحيّر تماماً  
 نابه للفرار يجمز جَمْزاً  
 من يطق يلمس السماء وبأتي  
 بالدراري حتى يحاكيه لغزاً  
 قلت لما أجبت عنه إذا ما  
 إبل لم تكن لديّ فمغزى  
 غير أني بالستر منه وثيق  
 فالإيه كل الفضائل تُغزى  
 دام في نعمة وظل سعود  
 ما أمال النسيم غصناً وهزا

ثم كتب هو إليّ لغزاً ، فقال : [من البسيط]  
 يا من غدا وكواكب الجوزاء  
 تعنو لرتبته لدى العلياء  
 ما اسم تراه مثلثاً ومسدساً  
 وبه تبين غوامض الأشياء  
 حرف وصحف آخراً منه يكن  
 فعلاً لمن يأتيك بغد مساء  
 ومتى تحرف فناء مع عينه  
 كانت مواقعها كما الحلواء  
 ويكون ظرفاً إن تصحف فناء  
 ويجوز منك جلائل النعماء  
 ومتى تحرفها تجده مسارعاً  
 فيما تحب على أتم وفاء

ويقلبه تلقاه سباقاً إلى  
شئ تعينه بدون عناء [95أ]  
وإذا حذفت اللام من مقلوبه  
تلقاه فعمل الخائف المتناهي  
واقبله يبقى فعل شئ تلقه  
يدنو ويبعد من حذار لقاء  
واسم لشئ فيهِ رفق بين  
يُزهيك منه حذاقة الإيواء  
وانظر إليه وحله بجواهر  
من لفظك المخصوص بالالاء  
واسلم ودم في دولة وسعادة  
ما عوقب الإصباح بالإساء

فأجبتة عنه بقولي : [من الكامل]

الغزت لي يا سيد الفضلاء  
في العنصر بل يا أوحده العلماء  
في اسم يكون مثلثاً ومسدساً  
ومع التعمي عمدة البصراء  
فيه من السر البديع عجائب  
وغرائب تبدو بدون خفاء  
يلقى مشني في الوجود ومفرداً  
مع أنه يسمو عن الإحصاء  
لا همز فيه ومن عجائبه يرى  
والهمز فيه شامل الأجزاء  
حرفاً لأوسطه تجده أولاً  
أو آخراً من غالب الأشياء



ولختمه صَحْفٌ وَحَرْفٌ مَا بَقِيَ  
 مِنْهُ يُكْنَى فِي الْبَحْرِ وَالْبَيْدَاءِ [95ب]  
 وَإِذَا عَكَّسْتَ فَمِنْ نَبَاتٍ تَلْقَاهُ  
 أَيْضاً وَحَلَى الْغَادَةَ الْحَسَنَاءِ  
 وَتَرَاهُ لِلْمَمْنُوعِ جَاءَ مُحَلِّلاً  
 إِذْ لَأُمُّهُ صَارَتْ مَكَانَ الْفَاءِ  
 وَتَرَاهُ رَأَى الْعَيْنِ وَثَبَّاطاً ظَاهِراً  
 مَعَ نَقْلِ أَحْسَرِهِ لِعَيْنِ الرَّاءِ  
 هَذَا جَوَابُ اللَّفْزِيَا مِنْ مَجْدِهِ  
 سَامٌ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالنَّظَائِرِ  
 لَا زَلَّتْ فِي عِزِّ وَسْعِدٍ مَا زَهَى  
 نَجْمٌ بِأَرْضٍ أَوْ سَمَا بِسَمَا

(وذكرت له أنه رُفِعَ لِي سؤَالٌ قَدِيمًا صُورَتُهُ : [مِنَ الْكَامِلِ]  
 مَا قَوْلُكُمْ يَا سَيِّدَ الْفُقَهَاءِ  
 فِي الْعَصْرِ يَا أَوْحَدَ الْعُلَمَاءِ  
 يَا شَيْخَ الْإِسْلَامِ الَّذِي أَلْفَاظُهُ  
 زَيْنَ الدَّرُوسِ وَحَلِيَّةَ الْإِفْتَاءِ  
 فِي مَشْكَلِ أَمْرِ النَّبِيِّ وَنَهْيِهِ  
 جَامِعاً فِي جَلْسَةِ الْإِقْعَاءِ  
 مَا الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا ، وَهَلْ صَحُّ مَعاً  
 أَوْ لَا ، فَبَيِّنْ ذَلِكَ يَا مَوْلَايَ  
 لَا زَلَّتْ كَهْفًا لِلْأَنَامِ وَمَلْجَأً  
 مَا عُوقِبَ الْإِصْبَاحُ بِالْإِمْسَاءِ  
 وَبَقِيَّتْ فِي عِزِّ وَسْعِدٍ دَائِمٍ  
 وَسَمَادَةٌ لَا تَنْقُضِي وَهْنَاءِ

فأجاب بأنهما صحيحان وأنهما محمولان على معان ، فذكرت [96] أن جوابي موافق لما ذكره ، أسبغ الله ظله ومدّ عمره ، ومعنى الجواب : [من الكامل] من بعد حمد الله ذي الآلاء  
 حمداً كثيراً جَلَّ عن إحصاءٍ  
 قد صحَّ عن هادي الأنام محمد  
 أمر ونهي منه عن إقماءٍ  
 والجمع بينهما بأن الأمر في  
 شيء وأن النهي في أشياءٍ  
 فالأمر وضع الأليتين بباطن  
 الأقدام وافر منها كالاستلقاء  
 والنهي للوركين تجلس ناصباً  
 فخذيك مثل الذئب والعواء  
 وأبو عُبَيْدَةَ زاد وضع يديه مع  
 هذا بأرضٍ أو نجرودٍ وطاءٍ  
 أو غير هذا والكراهة قد حكوا  
 في الكل عن جمع من الفضلاء  
 هذا جواب محمد الفزري مَنْ  
 يرجو من الرحمن خير عطاء  
 ثم الصلاة على النبي وآله  
 والصحب والأتباع والعلماء<sup>(1)</sup>

(1) ما بين القوسين أي من عبارة «وذكرت له أنه رُفِعَ...» إلى هنا ساقط من (م) و (ع) .

وأشده لشيخ الإسلام الوالد بما استجد له من النظم بعده جملة ، وكتب غالبها  
بخطه ، فمن ذلك قول شيخ الإسلام مورياً : [من مجزوء الرجز]

قـولوا لمن يُنكر ما  
ينكره من حـالتي  
النصح حـقاً لك أن  
ترجع عن مـلامتي [96ب]

وقوله رضى الله عنه ناظماً للحديث الشريف ، وهو من أحسن ما قيل وأبلغ : [من  
الرجز]

قال محمد رسول الله قولاً صادقاً  
تركتُ فيكم واعظين صامتاً وناطقاً  
الموت والقرآن كُنْ بصدق هذا واثقاً

وقوله رضى الله عنه : [من الطويل]

وحقك ما قلبي بغيرك مُفرمٌ  
وأنت بصدق الحال يا رب أعلمُ  
أزلت النوى عني برحمتك التي  
بها أنت بي مني أبر وأرحمُ  
وكرمتني حتى جمعت تفرقي  
وأفنيتني عني فمن منك أكرمُ  
لك الخلقُ والأمر الذي عمَّ حكمه  
وجوداً وإبداعاً وحكمك محكمُ  
وما ثم إلا أنت يُخشى ويُرجى  
وئقصي ويدني كيف ما شاء يحكمُ  
ويا فوز من بصُرته فرأى الهدى  
وصارَ عن السرِّ الخفي يترجمُ

ويا ويل من أعميته فهوى إلى  
 حضيض به نازُ الجهالة تضرُمُ  
 وكل لما قدرته متوجهُة  
 بعزمٍ عليه جازمٌ ومصمٌ  
 وذلك فيه حكمةٌ ومحجةٌ  
 على ذي ضلالٍ حيث لا يتظلمُ  
 تباركت يا مولى الموالى مقدساً  
 عن الشرك والشك الذي يُتوهمُ [197]  
 تعززت يا الله عن وصف واصف  
 يحسوم على كنهه يجلٌ ويعظمُ  
 وما عارفٌ إلا الذي صارَ فانياً  
 وما هو إلا مُسلمٌ ومُسلمٌ  
 إلهي كما أفقدتني الغير مُوجداً<sup>(1)</sup>  
 وجوداً به كلُّ العوالم تَعْدَمُ  
 أدم لي الفنا حتى أكون بلا أنا  
 بجنة رضوان الرضى أتنعّمُ

وقوله رضى الله عنه : [من الخفيف]

يا غيائي وملجأى وغياذي  
 أنت ربي وسَيِّدي وملاذي  
 يا إلهي من لي سواك مُغِيثُ  
 يتوَلَّى من الأذى<sup>(2)</sup> إنقِاذي

(1) وردت في (ع) : «موحداً» .

(2) وردت في (م) : «النوى» .

فأجرني إذ لا سواك مُجِيرِي  
وأعدني إذ لا سواك مَعَاذِي  
قد تركتُ السوى انتبازاً وطرحاً  
فأدم لي ترك السوى وانتبازي  
والتذاذي في الفقد فيك فحقق  
فيك فقدي حتى يدوم التذاذي  
واتخاذي عبداً به يا هنائي  
أن أودي إليك شكر اتخذاي  
فمعي حيث كنت في شهودي  
ويقلبي إن كنت فيه لوادي  
فأنلني احترام حضرة أنس  
غيبتني عن حرمة الأستاذ [97ب]  
واسقني صرف كأس منة فضل  
يا غيائي وملجأِي وعيادي

وقوله رضي الله عنه : [من مجزوء البسيط]

إني من الله في رعـايـة  
مـد لـاحظتني عين العنـايـة  
ومـد حـماني من السـوى لم  
أزل من السـوء في حـمـايـة  
قـولوا لمن ظل في ضلال  
هـلكت فارجع إلى الهـدـايـة  
مـا تـنتـهـي عن أذاك إلا  
أن يـنتـهـي فيك للـنـهـايـة  
يـوقـمـك الله في نـكـال  
أضـمـاف ما رُمت من نـكـايـة

وبك اتق الله ليس تما  
 يُوقممه فيك من وقاية  
 ما غاية<sup>(1)</sup> الظلم غير خزي  
 ولغنة الله لا لغاية  
 يا من نوى أن عليّ يجني  
 عليك قد حقت الجناية  
 من مالك الملك سيدي لي  
 جاء عظيم ولي ولاية  
 وآية الحق نصرت له لي  
 بسطوة وهي أي آية  
 كُفيت بالله وهو حسبي  
 وهو تعالى فيه الكفاية [198]

وقوله رضي الله عنه (قدماً ولا مزيد على قوافيه)<sup>(2)</sup> :  
 الله حسبي على قوم عليّ بَغَوْا  
 وبالأباطيل في عرضي المصون لغوا  
 قوم إذا سَمِعُوا عني الجميل عموا  
 عنه وصَمُّوا وإلا فتشوا وصَغَوْا  
 وإن رأوني بضر سرهم ضَرَرِي  
 وإن رأوني بخير أزيدوا ورغوا  
 يا رب عاملهم بالعدل منك وخُذْ  
 حقي وحقق بهم ما حاولوا وبَغَوْا

(1) وردت في (ع) : «يا غاية» .

(2) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

يا رب قد مكروا فامكرو بهم عجباً  
فإنهم حَسَدُونِي وافتَرُوا وَبَغَوْا  
يا رب إنني ضَمِيمٌ يَا قَوِي وَمَنْ  
سِوَاكَ يَاخِذْهُم أَخِذَ الَّذِينَ طَفَعُوا

وقوله أيضاً رضي الله عنه ، وهو مجربٌ للفرج : [من الكامل]

يا رب من كل الوجوه تَضَيَّقْتُ  
واشْتَدَّ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ الْخُرْجُ  
إِنْ لَمْ تُفَرِّجْهَا بِفَضْلِ وَاسِعٍ  
عَنَّا وَإِلَّا مِنْ سِوَاكَ يُفَرِّجُ

وقوله رضي الله عنه ، وقد قاله في عالم برزخي ، وأصبح يحفظه : [من مجزوء  
الرجز]

إِنِّي مِنْ حَيْثُ الْجِسْمِ  
وَالرَّسْمِ وَالصُّورِ  
كَمَا سَطَرَ دَلَّتْ عَلَيَّ  
أَيَّ الْمَعْنَى وَالسُّورِ  
وَهِيَ حُرُوفٌ مَالِهَا  
مَعْنَى سَوَى عَيْنِ الْأَثَرِ  
لَوْ كُنْتُ رُوحاً لَمْ أَزَلْ  
عَطَلْتُ كُلَّ مَعْتَبِرٍ [98ب]  
وَمَا عَرَفْتُ أَزْلاً  
بِالْعَقْلِ أَيْنَ الْمَسْتَقَرِّ  
أَوْ كُنْتُ مِنْ جِسْمٍ فَفَقَطْ  
مَنْ كَانَ يَدْرِي مَا الْخَبِرُ

وقبل كانت طينتي  
ليست تُبالي بسقَر  
فائتلفا فاشفقا  
بالوهم من حمر الشرر  
وماعلى كل إذا  
عرفت حقاً من ضرر

ولنختم ما ذكرناه هنا من درر ألفاظه الثمينة بقوله رضي الله عنه : [من الرجز]

قد بان بالكشف أن لا بغير الس  
تر والصفح الجميل اعتصام  
وبان لي أن ليس للعبد مع  
سيده إلا الرضى والسّلام

وقد عمّت البركة هذه الرحلة بما سقناه من كلام قطب الأنام ، جمّعنا الله تعالى  
به في دار السلام ، بجاه سيّدنا محمد عليه أفضل الصّلاة والسّلام .

وبما أخذه عني مولانا المشار إليه قاصداً به الجبر ، وتعظيم القدر كتابي المسمّى  
«بالدرّ النضيد في أدب المفيد والمستفيد» ، وكتابي المسمّى «بالبرهان الناهض في نيّة  
استباحة الوطيء للحائض» ، وقد أهديت له نسخة بهما ، فجير بقبولهما ، وأظهر  
الاستبشار بحصولهما ، وأحاط علماً بما فيهما ، وقراها من قوادهما إلى خوافيهما ،  
وشرحي المعجز [99] العجيب السهل القريب ، الذي لم أسبق بحمد الله إلى مثاله ،  
ولم ينسج مؤلف على منواله ، مع سهولة المدارك ، ووضوح المسالك ، الموضوع منظوماً  
مع المزج على ألفية ابن مالك ، مع توفيقه ببيان مقاصدها وشرحها بل بمقاصد قواعد  
العربية وتوضيحها المسمّى «بالبهجة الوفيّة بحجة الألفية» ومختصره اللطيف الجامع  
الوجيز (المسمّى «بدار تم الخصاصة عن قارىء الخلاصة»)<sup>(1)</sup> ، وقد شرعت في كتابته

(1) ما بين القوسين ساقط من (م) .



في منزله العزيز ، وغير ذلك من المؤلفات ، وهي الآن بحمد الله زهاء سبعين مؤلفاً ،  
وبما نقله عني ما أخبرته به بسندي إلى قاضي القضاة تاج الدين السبكي أنه كان  
يوماً في مجلس والده شيخ الإسلام تقي الدين وجرى ذكر الحريري وأنه ترغم يوماً في  
خلوة بقوله في المقامات : [من مجزوء الرجز]

من ذا الذي ما ساء قَطُّ  
ومن له الحسنَى فَنَقَطُّ

وأنه سمع هاتفاً يقول ولم يرَ شخصه : [من مجزوء الرجز]

محمد الهادي الذي

عليه جبريل هَبَطُ [99ب]

قال فقلت بحضرة الشيخ الإمام كان ينبغي أن يجيب بقوله : [من مجزوء الرجز]

وذاك فـرد نـاد

أعذر فـيه لـلفـط

وإن بما عُدَّ من محاسن الشيخ شمس الدين بن عدلان<sup>(1)</sup> شيخ الشافعية في زمنه  
أنه سئل هل الأفضل أبو بكر أم علي؟ وكان في مكان لا يمكن فيه التصريح بمذهب  
أهل السنة ، فقال : علي أفضل القرابة وأبو بكر أفضل الصحابة ، انتهى . ولا شك أن  
أفضلية الصحابة يلزم منها أفضلية القرابة ، فإن القرابة الصحابة قد دخلوا في  
المفضولين وغيرهم معلوم فضل الصحابة عليهم فتأمله ، وهو أحسن من جواب ابن  
الجوزي حيث قال : أفضلهما من بنته تحتها لما سئل من أفضل الناس بعد النبي ﷺ  
أعلي أم أبو بكر ، فإن فيه إبهاماً ، ولذلك لما خاف من الاستفسار نزل عن كرسية في  
الحال وأنشدته لأبي نصر الفارابي رحمه الله : [من المتدارك]

(1) هو محمد بن أحمد بن عثمان شرف الدين الكتاني ، توفي سنة 749 هـ (شذرات الذهب 8 : 279 ،

أعلام الزركلي 5 : 326) .

أخي خل حَيِّز ذوي باطل  
 وكن بالحقائق في حَيِّز  
 فما الدار دار مُقام لنا  
 ولا المرء في الأرض بالمُفَجِّز [100]<sup>1</sup>  
 يُنافسُ هذا لهذا على  
 أقلُّ من الكَلِم المَوْجِز  
 وهل نحن إلا خطوطٌ وَقَسْفَن  
 على نقطةٍ وَقَع مُسْتَوْفِز  
 محيطُ العوالم أولى بنا  
 فماذا التزاحمُ في المَرْكَزِ<sup>(1)</sup>

فنقل جميع ذلك مع غيره ، وسألني عن وصل الوتر هل الأفضل أن يكون بتشهد أو بتشهدين؟ فقلت : القاعدة أن ما كان أكثر عملاً أو أشق كان أفضل ، لكن ذكر جماعة من أصحابنا أن فعله بتشهد واحد أفضل لخبر أبي داود أنه صَلَّى الله عليه وسلم أمر بذلك وقال : لا تشبَّهوا صلاة الوتر بصلاة المغرب .

وسألني عن مسألة الاعتراف<sup>(2)</sup> فأوسعت له تقريرها ، وذكرت له أن ملخص ذلك أن الصحيح من المذهب سنُّها ، وأنها بعد النية في الغسل ، وبعد غسل الوجه في الوضوء ، وهل تعتبر الغسلة الأولى فيه فقط أو الغسلات الثلاث خلاف مشي ابن عبد السلام على الأول والزركشي على الثاني ، والأول هو الذي اعتمده شيخ [100ب] الإسلام الوالد ، والثاني هو الذي مال إليه شيخنا شيخ الإسلام زكرياً واخترتة في شرحي الكبير على المنهاج والاحتياط مع الأول ، وأنشدته لشيخ الإسلام زين الدين خطاب<sup>(3)</sup> : [من الرجز]

(1) الأبيات موجودة في الوافي بالوفيات 1 : 113 .

(2) وردت في (م) و (ع) : «الاعتراف» .

(3) هو خطاب بن محمد الكوكبي الصالحي توفي سنة 905 هـ .

أوجبَ جُنهُورَ الثقاتِ الظرافِ  
 عندَ التوضيءِ نيةَ الاعترافِ  
 من بَعْدِ غَسْلِ الوَجْهِ من بَلْعِهَا  
 فماؤُهُ مُستفْمَلٌ لا خِلافَ  
 ووافقَ الشَّاشِيَّ ابنَ عبدِ السلامِ  
 في تركِها والبغويَّ ذا العِصافِ  
 وابنَ العَجِيلِ الحِبرَ أفتى على  
 إهمالِها والحِبرُ فتواه كافِ

وسألني عن بيع المرتد ما الرأجح فيه؟ فقلت: صحته كما صححه النووي في كثير من كتبه ويؤخذ تصحيحه من المنهاج أيضاً، فقال: من أين؟ فقلت: من قوله في باب الخيار ولو قُتل بردة سابقة ضمنه البائع في الأصح فسُرُّ بذلك، وأنشدته لشيخ الإسلام الوالد رضي الله عنه سؤالاً ملفزاً، وهو:

أيُّها الشيخُ الفقيهُ أجب  
 عن سؤالي وأبن ما خفي  
 أي شيءٍ بيعه جائز  
 وهو لا يُضْمَنُ إن أتلفنا

وجوابي [101] عنه بإشارته رضي الله تعالى عنه بقولي:  
 يا إماماً في العلوم غداً  
 راقياً من المُلا غُرفاً  
 خذ جواباً عن سؤالٍ به  
 زاد قدرِي في الورى شرفاً  
 ذاك مرتد فقد صحَّحوا  
 بيعه وأهدره إن أتلفنا

وسألني عن لغزٍ سمعته وهو نجس العين يظهر نجس العين<sup>(1)</sup> ، فذكرت له أن شيخ  
الإسلام الوالد سألني عنه في بيتين وهما : [من الرجزا]  
يا سيِّداً هو بفقته في السورَى يشتهر  
أوضح لنا ما نجس لنجس يطهر

واني أجبته بقولي : [من الرجزا]  
هذا الذي سألت عنه هو فيما يظهر  
نجس دبغٍ دبغٍ به الإهاب يطهر<sup>(2)</sup>

ويمكن الجواب عنه أيضا إذا لم يقيد النجس بنجس العين بما أشرت إليه في  
قولي : [من الرجزا]  
إذ خلط ماء نجس بمثله فبيطهر  
إن قلتين بلغنا ولم يكن تغيير

واستجازني لولده النبيل العريق الأصيل اللبيب النجيب الحسيب النسيب  
الشَّهابي أبي العباس أحمد ، ولأولاد ولده المذكور [101ب] وهم : الموقفي عبد  
الرَّحمن ، والسيدة راضية تاج الشرف ، وعينهم ورأسهم النجمي أبو الفرج محمد ،  
كثُرَ الله تعالى وتبارك من هذه السُّلالة الزكيَّة وبارك ، وقد أجزتهم بالشرط المعتبر عند  
أهل الأثر ، جميع ما يجوز لي روايته وتصحَّ نسبته إليَّ ودرايته ، وكتبت له صورة  
استدعاء باستجازته لولدي أحمد شهاب الدُّين وأخوته ، أنشأهم الله تعالى نشوء  
الصَّالحين ، وجعلهم من حزبه المفلحين ، ولفظه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أطلع بدر دينه المُشرق من مشرق آيات كتابه العزيز ، وأعجز

(1) وردت في (ع) : «يظهر نجس العين» .

(2) وردت في (ع) : «يظهر» .

الفصحاء والبلغاء بإعجاز فصاحته وبلاغته غاية التعجيز ، وجعل العلماء ورثة الأنبياء ، فوزّوهم العلم الفائق على الدّر والإبريز ، وعمّمهم بتوفيقه لهداية عباده وخصّهم بالتقديم والتبريز ، وأظهرهم على أسرار شريعته بما مُنحوا من صدق التصوير وحسن التمييز ، وأظفرهم بأثار حكمته فلمحوا وجه الأمر والنهي والتجويز ، وأرشدهم لسلك مجاز حقيقته وأبهج بعموم كرمه<sup>(1)</sup> المُجاز منهم والمجيز [102] .

أحمده حمد من لم يشهد سواه من بلوغ سنّ التمييز ، وأشكره شكر من غمرته نعمه وعطاياه من وقت النشأة وإلى حين التجهيز ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تنجي مخلصها من فنون الهلكات ، وتخلّيه من حصون النجاة في حرز حرز ، وأشهد أن سيّدنا محمداً عبده ورسوله وحبّيه<sup>(2)</sup> وصفيه وخليله المختص بجوامع الكلم ذات المعنى البسيط واللفظ الوجيز ، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله<sup>(3)</sup> وأصحابه ما نسج ديباج المعاني على منوال البيان حُللاً بديعة التفويف والتطريز ، أمّا بعد :

فالمسؤول من فضل مولانا البر الإمام الأفضل ، والبدر التمام الأكمل ، والبحر الطّام الذي هو مع أمنه البارد العذب ، والخبر الهُمّام الذي هو للأخبار رأس وغيره كعب ، ذي الحسب الصميم الظاهر ، والنسب الكريم الطاهر ، والجلال الباهي الباهر ، والجمال الزاهي الزاهر ، والكمال المتجلّي في أعلى كمالات المظاهر ، والفضل الذي تطفّل الفاضل [102ب] على موائده ، واستسقى<sup>(4)</sup> من نعيم موارده ، والبيت الذي نمي على قواعد الدّين بل نمي الدّين على قواعد ، فقام على أرفع أركان وأثبت أساس ، كيف وبانيه عمّ النبي صلّى الله عليه وسلّم أبو الفضل العباس ، فهو<sup>(5)</sup> ابن عمّ من خُتِمَت به الرسالة والنبوة وعمته بركة العمومة الزاكية والنبوة ، فعمرت باطنه

(1) وردت في (ع) : «كربه» .

(2) سقطت هذه الكلمة من الأصل .

(3) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(4) وردت في (ع) : «واستشفى» .

(5) وردت في (م) : «فقد» .

وظاهره ، وغمرت وارداته وخواطره ، فبرز في سماء الكمال بدرأ منيرا ، وظهر من فحول العلماء ملكاً مهيباً وسيداً كبيراً ، وبلغ في فنون العلوم قصب السبق عند النضال ، وصال في ميادين البلاغة الواسعة الشاسعة وجال ، مظهراً ما اختفى على غيره من غوامضها ومجالياً ، ومطرزاً من إبريز ألفاظه الرائقة حللها ومحلياً ، فما من إمام وإن تقدّم عصره إلا وتأخر عنه مُصَلِّياً ، وتقدّم بين يديه (خاضعاً و)<sup>(1)</sup> مسلماً :  
[من الكامل]

تلك المكارم لا أرى مُتَأَخِراً  
أولى بها منه ولا مُتَقَدِّماً<sup>(2)</sup>

قد غمر ألباب الفصحاء ببحر بيانه الزاخر ، وسخر بها حين سَحَرها بسحره الحلال ، فنادته يا أيها الساحر يا أيها الساخر ، ونهض برهاناً جلياً ودليلاً قوياً [103أ] على كم ترك الأول للآخر ، من جمع الله له بين العلم والعمل ، ومنحه من كل فضل فوق بلوغ الأمل ، ووهبه مع شرف الذات شرف الخصال وخصال الشرف ، وجعل شرفه في الخير حُجَّة على من قال لا خير في الشرف : [من الكامل]  
شَرَفٌ يَطْلُ على السَّمَكِ<sup>(3)</sup> وسوُود  
كالصبح لا يسع العدا إنكاره<sup>(4)</sup>

مولانا السيّد الكريم ، والسند العظيم ، شيخ المسلمين بدر الدّين أبو الفتح عبد الرحيم العباسي الشّافعي ، أدام الله تعالى إسباغ ظلاله ، وأصحه التوفيق والتسديد في سائر أقواله وأفعاله ، التفضّل بإجازة ولد كاتب هذه الأحرف أبي الفضل أحمد

(1) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

(2) هذا البيت للسري الرفاء ، انظر : يتيمة الدهر 2 : 122 ، ومعاهد التنقيص 3 : 281 .

(3) البيت في تاج المفرّق 1 : 209 بلا عزو .

(4) السّمك : نجم في السماء لامع وهما سماكان : السماك الراح والسماك الأعزل .

شهاب الدين وأخواته خديجة وجويرة<sup>(1)</sup> وأصيل ، ومن سيحدث له من الأخوة على مذهب من يرى ذلك جميع ما يجوز له وعنه روايته ، وما تصحح إليه نسبه ودرأته ، وما له من تأليف وجمع وترصيف ، على اختلاف أنواع ذلك وأصنافه ، وتعدد نعوته وأوصافه ، من إيجاز وإسهاب ، وانتقاء واقتضاب ، وشروح ومتون ، ومنثور ومنظوم في سائر الفنون ، [103ب] مردفاً ما يُسديه إليهم من التفضل والفضل ، بما أسداه إلى أبيهم من قبل ، وإن تفضل مع ذلك بذكر مولده ومنشئه وبلده ، وأسماء أعيان شيوخه الأئمة ، وعلماء الدين وهداة الأمة ، وتعداد بعض أسماء تاليفه النافعة ، وتصانيفه الجامعة ، مطرزاً ذلك بما يصوغه من منازيمه البارعة ، ومقاطيعه الرائعة ، وبعض أسانيد مروياته إن تيسر ، فهو من فضله ومن أهله ، ونرجو أن يكون في محله ، والمرجو من الله تعالى أن يحقق الأمل ، ويرزقنا الخلوص في القول والعمل ، والله يمدّ ظله الوريف ، ويدمّ سعده الشريف ، ويوفقنا وإياه لما يزلف لديه ، ويتطول بكرمه على تقصيرنا يوم العرض عليه بمنه وعنه أمين .

فكتبَ في جواب ذلك :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أثار بيدر الدين أفق المعارف ، وجعله في حرم الفضائل كعبة مجد يحجها البادي والعاكف ، وصيره للعلوم ركناً يستلمه كل ساع وطائف ، فما شهد معانيه أحدٌ إلا طرب وزمزم ، ولا شاهد [104أ] رفيع مقامه مُمَارٍ إلا صَلَّى على النبي وسلم ، واستمسك بالعروة الوثقى من وفائه وتذم .

أحمدته حمد معترف بالعجز والتقصير ، وأشكره شكر مغترف من بحر فضله العذب النмир ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تقضي لقاتلها بالجنة ، وتكون له من الموبات جنة ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخليفه ، المبعوث إلى سائر الأمم ، والمنعوت بشيم المحاسن ومحاسن الشيم ، صَلَّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وخواصه وأحبابه ، ما استمد قلم لكتابة

(1) وردت في (م) : «جويرة» .

إجازة ، ورقم به بليغ بلاغته وإعجازه ، وبعد :

فإن المرء وإن يكن في نفسه حقيراً ، وعن تسنّم رتب العلوم لا يألُو توانياً وتقصيراً ،  
فربّما يُشْهَد فيه بلوغ إلى صهوات<sup>(1)</sup> العلوم ، وراقي إلى أسنى درجات المنثور والمنظوم ،  
فضلاً من الله ومِنَّةً ، وستراً لما بباطنه أجنّةً ، وشُعاعاً من نور عالم انعكس إليه ، فرأى  
فيه ما هو مقرّر لديه ، ولولا ذلك لما سُئِلَ الفقير ، مع ما جُبِلَ عليه من العجز  
والتقصير ، من علّامة [104ب] الزمان ، ونادرة العصر والأوان ، البحر ابن البحر ،  
وأجلّ مفاخر الدهر ، شيخ الإفتاء والتدريس ، وقُرّة عين مولانا محمد بن إدريس ،  
العلّامة ابن العلّامة ، المخصوص بالتقدّم في المراتب العلمية والإمامة ، الشيخ الإمام  
المُحَقِّق المُدَقِّق بدر الدّين أبي البركات محمد بن المرحوم الشهيد السعيد شيخ  
الإسلام رضي الدّين أبي الفضل محمد بن مولانا الشيخ الإمام العلّامة شيخ  
المسلمين رضي الدّين الغزّيّ العامريّ الشّافعيّ . من جعل الله منهاجه للطالِبين  
إرشاداً ، وللرّاعِبين في مُهمّات الدّين توفيقاً وسداداً ، كم رفع للرافعيّ علماً منشوراً ،  
وأحيا لمحبيّ الدّين النوويّ ذكراً كان مقبوراً ، وسقى الرّوضة<sup>(2)</sup> من فضله عذباً نعيماً ،  
وأصبح روض اليمنى لسحائب فوائده مطوراً ، والمنهج القويم بمهذب أبحاثه واضح  
المسالك ، وأضحى العزيز بلفظه الوجيز سهل المدارك ، وأبحاثه المفيدة بغرائب  
تدقيقها قوت الأرواح ، وتأليفه<sup>(3)</sup> الفريدة [105أ] ببدیع بيانها عروس الأفراح ، فرع  
فاق الأصول ، وغاص على درر<sup>(4)</sup> الأصلين فحصل على أعظم محصُول ، ووشح ألفية  
ابن مالك بجواهر نظمه ونثره ، وأتى من نير فوائده بما لا ينكر من نور بدره ، وفك  
مأسور الإفهام بتقييده المطلق ، حين فتح الله عليه بفتح المغلق ، كم أبدع في تأليفاته  
وأغرب ، وأدهش في مصنّفاته وأعجب ، ورصّع من دُرّها النّضيد وجوهرها الفريد في  
صفائح صحف الفضائل ، ما أعجز الأواخر ولم يأت بمثله الأوائل ، فله دره من عالم

(1) وردت في (ع) : «صهوان» .

(2) وردت في (ع) : «الروض» .

(3) وردت في (م) : «وتأليفاته» وفي (ع) : «وبالتفات» .

(4) وردت في (ع) : «در» .



حَازَ قِصَبَ السَّبِقِ فِي مِيَادِينِ الْعُلُومِ ، وَمَلَكَ أَرْزَمَةَ أَفَانِينَ <sup>(1)</sup> الْمُنْشُورِ وَالْمَنْظُومِ ، حَسَبَ الْبَلِيغِ الْعَجْزِ عَنِ أَوْصَافِهِ لَوْ جَاءَ بِالزَّهْرِ الزَّوَاهِرِ تَزْهَرُ <sup>(2)</sup> ، أَوْ حَاوَلَ الشَّعْرَى لَدَى إِشْعَارِهِ قَالَتْ عَلَيْهِ إِنَّهُ لَا يَشْعُرُ ، لَا زَالَتْ فَوَائِدُهُ غَرّاً فِي جِبْهَاتِ الطُّرُوسِ ، وَفَرَائِدُهُ دَرّاً تَتَقَلَّدُ بِهَا نَفَائِسَ النُّفُوسِ ، مَا جَرَتْ جِيَادُ الْأَقْلَامِ فِي مِيَادِينِ الْكَلَامِ بِبَيْدِيعِ النِّظَامِ ، وَهِيَ أَنَا مِمْتَلِئٌ <sup>(3)</sup> أَوْامِرِهِ الْمُطَاعَةَ فِيمَا أُشَارَ إِلَيْهِ حَسَبَ الْإِسْتِطَاعَةِ [105ب] مِنَ الْإِجَازَةِ لِرِيحَانَةِ أُنْسِهِ <sup>(4)</sup> ، وَثَمَرَةِ غَرْسِهِ ، وَنُورِ بَدْرِهِ ، وَضِيَاءِ شَمْسِهِ ، الشَّهَابِ الْمَتَوَقِّدِ ذِكَاؤُهُ ، النَّامِي سِنَاهُ وَالسَّامِي سِنَاؤُهُ ، شِهَابِ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدَ أَسْعَدَ اللَّهِ جَدَّهُ ، وَحِبَاهُ فَوْقَ مَا حَبَاهُ بِهِ أَبَاهُ وَجَدَّهُ ، وَأَخْوَاتِهِ وَمَنْ سَيَّحَدَّثَ لَهُ مِنَ الْأَخْوَةِ الْمَأْمُولِ وَجُودِهِمْ مِنْ مَنَحِ اللَّهِ الْمَرْجُوعَةِ ، وَقَدْ أَجْزَتْ لَهُ وَلَهُمْ أَنْ يَرُودُوا عَنِّي جَمِيعَ مَا التَّمَسُّ مَنِي بِشَرْطِهِ الْمَعْتَبَرِ عِنْدَ أَهْلِ الْأَثَرِ ، إِجَازَةً عَامَّةً وَخَاصَّةً ، وَعَلَى كُلِّ فَرْدٍ مَا تَجُوزُ عَنِّي رَوَايَتُهُ نَاصِئَةً ، وَأَمَّا مَوْلَدِي <sup>(5)</sup> (فَفِي سَحْرِ يَوْمِ السَّبْتِ رَابِعِ عَشْرِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمَعْظَمِ قَدْرَهُ سَنَةَ سَبْعِ وَسِتِينَ وَثَمَانِمِائَةَ بِالْقَاهِرَةِ الْمَعْزِيَةِ حَمَى اللَّهُ حَمَاهَا وَحَرَسَهَا وَرَعَاهَا : [مِنَ الطُّوِيلِ])

بِلَادَ بِهَا نَيْطَطْتُ عَلَيَّ تَمَائِمِي

وَأَوْلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تَرَابَهُهَا <sup>(6)</sup>

وَقَدْ أَدْرَكْتُ بِهَا وَبَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ وَالْأَثَمَةِ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ لَمْ يَسْمَحِ الدَّهْرُ بِمِثَالِهِ ، وَلَمْ يَنْسَجْ عَلَيَّ مَنَوَالَهُ ، وَكُلُّهُمْ أَجَازَنِي بِمَا تَجُوزُ لَهُ رَوَايَتُهُ ، وَمَا تَصَحَّحَ إِلَيْهِ [106أ] نَسَبَتَهُ وَدَرَايَتَهُ ، فَأَوْلُ مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَرِّعِ أِبْنَاءِ زَمَانِهِ مَجْدُ

(1) وردت في (م) و (ع) : «أفانين» .

(2) وردت في (ع) : «يرهي» .

(3) وردت في (ع) : «منشد» .

(4) وردت في (ع) : «النسير» .

(5) من هنا بياض في (م) و (ع) بما يعادل 16 ورقة من الأصل (من منتصف الورقة [106أ] إلى منتصف

الورقة [13ب] وكتب الناسخ في (ع) بالهامش : «كذا وجدته بياضاً في الأصل» .

(6) ورد هذا البيت في رحلة الشتاء والصيف ص 138 بلا عزو .

وجلالاً وفضلاً وأفضالاً، الشيخ الإمام العلامة والحبر البحر الفهّام، صاحب التصانيف المشتهرة، والتأليف المعتبرة، شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن برهان الدّين النشائي<sup>(1)</sup> المالكي قاضي القضاة بالديار المِصرِيّة، أسبغ الله تعالى ظلاله وختم بالصّالحات أعماله، ولم أزل في رعايته وتربيته وعنايته وبركته إلى أن فرّق الدهر بيننا بالاغتراب سنة أربع وعشرين وتسعمائة .

ومنهم الشيخ الإمام العلامة محيي الدّين الكافياجي<sup>(2)</sup> الحنفي، تغمده الله برحمته ورضوانه وعفوه السابِلِ وامتنانه، أجازني بمؤلفاته، وكتبَ بخطه أنها زهاء مائة مؤلّف .  
ومنهم الشيخ الإمام العلامة أمين الدّين الأقسرّائي<sup>(3)</sup> الحنفي، شملته سحائب الرضوان والعمفو والغفران .

ومنهم الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة محبّ الدّين بن الشّحنة الحنفي<sup>(4)</sup>، لا زالت سحائب الغفران [106ب] هامة، وأنوار الرضوان لديه لامعة .  
ومنهم الشيخ الإمام العلامة سيف الدّين الحنفي<sup>(5)</sup>، تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنّته .

---

(1) وردت في الأصل : «التتائي»، والتصحيح من الكواكب السائرة 2 : 161 وشذرات الذهب 10 : 314 ، ووفاته في سنة 937هـ .

(2) في أعلام الزركلي (6 : 150) الكافيجي، وهو محمد بن سليمان بن سعد الرّومي، توفي سنة 879هـ . وترجمته في وفيات الأعيان 1 : 68، الضوء اللامع 7 : 259، مفتاح السعادة 1 : 454، بغية الوعاة 48، شذرات الذهب 7 : 326، حسن المحاضرة 1 : 317 .

(3) هو يحيى بن محمد المتوفى سنة 879هـ، أنظر ترجمته في : حسن المحاضرة 1 : 478، والضوء اللامع 10 : 240-، وشذرات الذهب 9 : 490 .

(4) محمد بن محمد، أبو الفضل توفي سنة 890هـ، وترجمته في : الضوء اللامع 9 : 995، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 5 : 314، البدر الطالع 2 : 263، أعلام الزركلي 7 : 51 .

(5) هو ابن قُطْلُوْبَغَا محمد بن محمد، سيف الدين البكتمري محقق الديار المصرية، المتوفى سنة 881هـ، انظر ترجمته في : الكواكب السائرة 1 : 227، الضوء اللامع 9 : 173-175، بغية الوعاة

ومنهم الشيخ العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد الأمشاطي الحنفي،  
أمدّه الله بمدد الرحمة، وأسبغ عليه بذلك جلايبب النعمة.

ومنهم الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم اللقاني  
المالكي<sup>(1)</sup>، لا زالت الرحمة تغشاه ولا تفارق مثواه.

ومنهم الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة ولي الدين محمد السيوطي الشافعي،  
غشيتّه سحاب الرضوان، ووضفت عليه جلايبب الغفران.

ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة شرف الدين موسى بن عيد  
الحنفي<sup>(2)</sup>، وهو السعيد الشهيد، حباه الله من غفرانه بالمزيد، قرأت عليه كثيراً،  
ووردت من علومه عذباً نيراً.

ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة سراج الدين [107] عمر العبّادي الشافعي<sup>(3)</sup>،  
رحمه الله رحمة واسعة، وأمطر عليه سحاب عفوه الهامعة.

ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد الجوّجري  
الشافعي<sup>(4)</sup>، حفّه الغفران والعتق والامتنان، أجازني بروياته ومؤلفاته، ومنها شرحه  
على «المنهاج»، وشرحه على «الإرشاد».

ومنهم الشيخ الإمام العلامة جلال الدين محمد البكري الشافعي<sup>(5)</sup> رحمه الله،  
قال لي من لفظه: أنا عريق في صداقتكم، فإنني صديق جدك لأبيك وصديق جدك

---

(1) هو إبراهيم بن محمد، المتوفى سنة 896هـ، انظر ترجمته الوافية في: الضوء اللامع 1: 161،  
شذرات الذهب 9: 539.

(2) توفي سنة 886هـ، انظر ترجمته في: حسن المحاضرة 2: 187، الثغر البسام 229، الضوء اللامع 10:  
179.

(3) هو عمر بن حسين بن حسن القاهري توفي سنة 885هـ، انظر ترجمته في الضوء اللامع 6: 81،  
شذرات الذهب 9: 511.

(4) هو محمد بن عبد المنعم بن محمد، توفي بمصر سنة 889هـ، انظر ترجمته في: شذرات الذهب 9:  
522، الضوء اللامع 8: 123، أعلام الزركلي 6: 251.

(5) توفي سنة 891هـ انظر ترجمته في: الضوء اللامع 7: 284، أعلام الزركلي 6: 194.

لأمك ، وما أجازني به نكته على المنهاج وحاشيته على الروضة .  
ومنهم الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قاسم الشافعي<sup>(1)</sup> ، دامت عليه الرحمة ، وتمت له بالمغفرة والنعمة ، وما أجازني به جميع مؤلفاته .

ومنهم الشيخ الإمام حافظ العصر المسند الرحلة<sup>(2)</sup> المحدث فخر الدين عثمان بن محمد الديمي الشافعي<sup>(3)</sup> سقى الله تعالى بصوب الرحمة ثراه [107ب] .  
ومنهم الشيخان المسندان المعمران نجم الدين الصحرراوي والهرساني<sup>(4)</sup> ، سمعت عليهما «صحيح البخاري» كاملاً بالجامع الأزهر ، بحق روايتهما له عن العراقي عن الحجار ، وذلك سنة سبع وسبعين وثمانمائة .

ومنهم الشيخ المسند المعمر المحدث الرحلة بدر الدين حسن بن نبهان<sup>(5)</sup> ، تغمده الله بالرحمة والرضوان ، قرأت عليه جميع «صحيح البخاري» في مجالس متعددة في شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وأجازني به بحق روايته له عن عائشة بنت عبد الهادي عن الحجار .

ومنهم الشيخ الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم بن ظهيرة الشافعي<sup>(6)</sup> ، قاضي مكة المشرفة عند قدومه إلى مصر سنة ثمان وسبعين وثمانمائة .

---

(1) المعروف بابن الغرابيلي ، توفي سنة 918هـ ، انظر ترجمته في : الضوء اللامع 8 : 286 ، أعلام الزركلي 5 : 7 .

(2) الرحلة : من ألقاب أكابر العلماء والمحدثين ، والرحلة في اللغة ما يرحل إليه ، لقب بذلك لأنه يُقصد للأخذ عنه ، انظر صبح الأعشى 6 : 14 .

(3) توفي سنة 908هـ ، انظر ترجمته في : الكواكب السائرة 1 : 259 ، الضوء اللامع 5 : 140 ، أعلام الزركلي 4 : 214 .

(4) في (م) و (ع) والكواكب السائرة (2 : 162) : «الخرستاني» والصواب ما أثبتناه وهو عبد الصمد بن عبد الرحمن ، توفي سنة 879هـ ، وترجمته في : الضوء اللامع 4 : 209 .

(5) هو حسن بن محمد بن عمر توفي سنة 889هـ ، انظر ترجمته في : الضوء اللامع 3 : 127 .

(6) توفي سنة 891هـ ، انظر ترجمته في : الضوء اللامع 1 : 88 ، شذرات الذهب 9 : 525 .

ومنهم الشيخ الإمام العلامة [محمد] <sup>(1)</sup> القلشاني قاضي الجماعة بثونس المحروسة عند قدومه إلى مِصر للحج سنة ثمان وسبعين وثمانائة تغمّده الله برحمته .  
ولنختم من لقيته [108] من العلماء بمسك ختامها ، ووسطى نظامها الشيخ الإمام العلامة الحبر البحر الفهامة محبّ الدين محمد بن الغرسي خليل البصري <sup>(2)</sup> الشافعي ، سقى الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، قرأت عليه كثيراً ، وأخذت عنه علماً غزيراً ، وأجازني بروياته ومؤلفاته ، وخصّني بها ، ودفعها إليّ هي ومسوداته جميعها في مرض موته . ومن تأليفه قطعة على «المنهاج» من أماكن متفرقة ، وقطعة على «الإرشاد» كذلك ، وشرح «ألفية العراقي» في علوم الحديث ، وشرح «ألفية البرماوي» في الأصول ، وشرح «مختصر ابن الحاجب» في الأصول ، وشرح «القواعد الكبرى» لابن بسام ، وشرح «الخرزجية» في العروض وهما شرحان كبير وصغير ، وشرح «المنفرجة» وغير ذلك . نفعني الله بمصاحبته وتربيته ورعايته ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وأمطر عليه سحائب عفوه الهامعة ، هذا ما حضرني من أسماء شيوخه ، وثمّ آخرون مثبتون فيما هو غائب عني الآن . وكلّهم أجازني بروياته وتأليفاته ومصنفاته وكتب لي خطة [108ب] بذلك .

وأما ما وقع لي من تأليف ، فإنه شيء يُستحى من ذكره ، ويرغب في إخفائه وستره ، بالنسبة إلى ما عند الفقير من العجز والتقصير ، فأعلاها وأجلّها وأعلاها شرح البخاريّ الذي ألفته بالديار الرومية سنة خمس وست وتسعمائة ، وشرح آخر مبسوط وصلت فيه إلى صلاة الليل ، وشرح على «مقامات الحريري» جاوز النصف ، وقطعة على «الإرشاد» في الفقه ، وشرح «شواهد تلخيص المفتاح» ، وشرح «الخرزجية» في العروض ، وإياها سودت به وجه الطروس ، وأفنيت به أرتالاً كثيرة من النفوس ، بما يسمّى شعراً ، وما يشبه أن يدعى نثراً ، فهو شيء لا أرضى إثباته ، ولا أستحسن أبياته ، وإن تداولته الأقلام ، وولع برقمه كثير من الأنام ، فمنه : [من السريع]

(1) بياض في الأصل ، وهو محمد بن عمر بن محمد التونسي ، توفي سنة 890هـ ، وترجمته في :

الضوء اللامع 8 : 257 .

(2) توفي سنة 889هـ ، انظر ترجمته في تاريخ البصري 94 ، والضوء اللامع 7 : 237 -

إن رمت أن تسبر طبع امرئ  
فاعتبر الأقوال ثم الفِعال  
فإن تجذها حسنت مخبراً  
من حسن الوجه فذاك الكمال<sup>(1)</sup>

ومنه : [من الوافر]

عذرت أخا الجهالة مذ رأني  
وأولاني جفأً منه وذلاً [109أ]  
رأني لا بعيني أدمي  
فأدبر مُفرضاً عني وولى

ومنه : [من الكامل]

يا مشتري العبد الرقيق بماله  
هلا اشتريت الحرَّ إذ هو أجدر  
إنَّ العبد ليس بشاكر لك نعمة  
والحرُّ يحمد ما فعلت ويشكر

ومنه : [من الرُّجز]

حــالُ المقلِّ ناطقُ  
عَمَّا خفي من عيبه  
فإن رأيتَ عارياً  
فلا تسئل عن ثوبه<sup>(2)</sup>

(1) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 164 ، شذرات الذهب 10 : 487 .

(2) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 164 وشذرات الذهب 10 : 487 .

ومنه : [من الوافر]

أحبّ من البرية كل سمح  
قريب المستقى سهل القيادِ  
إذا ناداه مفتقراً لبر  
أجاب نداءه قبل صدى المنادي

ومنه : [من الهزج]

إذا ما كنتَ في قوم غريباً  
فخطبهم بقول يُستطابُ  
ولا تأسف إذا فاهوا بفحش  
غريب الدار تنبحه الكلاب<sup>(1)</sup>

ومنه : [من الطويل]

كثير من الخلان يبدي تملقاً  
وفي قلبه دافن الشر موبقُ  
كبحر أجاج لا يسوغ مذاقه  
يُريك صفاء قاعه وهو مفرقُ

ومنه : [من البسيط]

يا مَنْ بنى دَارَهُ لدُنْيَا  
عَادَ بِهَا الرِّيحُ مِنْهُ خُسْرًا  
لِسَانَ أَحْوَالِهَا يُنَادِي  
عَمُرَتْ دَاراً بِهَدْمِ أُخْرَى<sup>(2)</sup>

(1) البيتان في معاهد التنصيص 1 : 9 .

(2) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 164 وشذرات الذهب 10 : 487 .

ومنه : [من الكامل]

يا منكرأ فعمل الجميل  
إذ مت بأعظم خـزبة  
لم لا تكون مـذمماً  
وفعلت فعملتك التي [109ب]

ومنه : [من السريع]

أرى الدهر يسعف جُـهَّاله  
فأوفر حظَّ به الجاهلُ  
وانظر حظي به ناقصاً  
أيجسبني أنني فاضل<sup>(1)</sup>

ومنه : [من الطويل]

إذا ما تصدَى ظالم للأذى  
فكن على ما تبدى منه أجر صابر  
ودعه وما يلقاه من شؤم بغيه  
وكله إلى فعل الجدود العوثر

ومنه : [من السريع]

إن يقعد الجاهلُ فوقي ولم  
يَزَعْ ذمَّامَ العلم والأصل  
فالشمسُ يعلو زُحَلَّ أوجَّها  
وهي على الغاية في الفضل<sup>(2)</sup>

(1) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 165 .

(2) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 165 ، ومعاهد التنصيص 3 : 71 .



وأما القصائد المطوّلات ، فقد تفضّل مولانا المشار إليه بكتابة كثير منها ، فلا حاجة إلى الإطالة بذكر شيء منها ، وقد آن أن أحبس عنان القلم عن الجري في هذا المضمار ، وأكفكف من غلوائه خيفة العثار ، وأن أوصف بمهذار أو مكثار ، وهو يسأل العفو عمّا بهذه الأليفاظ من الزلل ، وإصلاح ما غشيها من الخلل ، لا زال من رقم باسمه ، وزبر برسمه . سعيد الحركات ، مزيد البركات ، رفيع الدرجات ، دائم المسرات ، ما دامت الأرض والسموات ، قال ذلك وكتبه العبد الفقير ، المعترف بالعجز [110أ] والتقصير ، عبد الرّحيم بن عبد الرّحمن بن أحمد العبّاسيّ الشّافعيّ ، غفر الله ذنوبه ، وستر في الدارين عيوبه ، وذلك يوم السبت سابع عشر شوال المبارك سنة سبع وثلاثين وتسعمائة بمدينة القُسطنطينيّة المحروسة ، الحمد لله وحده وصلى الله على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد اعتنى بحاجتنا مولانا قاضي العسكر المنصور أمّ اعتناء ، فعاجلنا سفر السلطان ، أدام الله إسباغ ظلّه على الأكوان إلى مدينة بروسا<sup>(1)</sup> المحمية ، فنوينا الإقامة بمدينة القُسطنطينيّة لهذه القضية ، فاستمرينا في منزل مولانا السيّد المشار إليه ، أدام الله إسباغ ظلّه عليه ، تتلمّى بمشاهدة طلّعه البهيّة ، ونتحلّأ بسماع ألفاظه العليّة ، ونحن لا نملّ من المقام ، ونرى أشهرنا كأنها أيام ، إلى أن فشا الطاعون بالبلدة ، وقاسى الناس من أهواله كل شدّة ، وفقد جمع من الأحباب ، [110ب] فتعوّذنا بالله من ذلك المصاب ، ولم يصر المقام بها من المستطاب ، فعزم مولانا السيّد المشار إليه على السفر منها إلى بعض البلاد الخالية من الكدر ، وأن يستصحبنا معه ولا بدّ في ذلك السفر ، فاستخرنا الله تعالى في ذلك والسلوك معه حيث شاء من المسالك .

(1) تقدم الحديث عنها وذكرها الغزيّ قبلاً : «برصاه» . وهي بروسة : إحدى مدن تركيا الواقعة على بحر مرمرة على مسافة (20) كم وعن إستانبول نحو (280كم) ، وقد فتحها السلطان العثماني أورخان في جمادى الأولى سنة 726هـ وجعلها عاصمة الدولة العثمانية الأولى (أخبار الدول 3 : 420 ، المنح الرحمانية 19 ، بلدان الخلافة الشرقية 189) .



## ذكر الرحلة الأزنكمودية

ثم لما سافر السلطان ، وتعطل من قضاء الأشغال المهمة الديوان ، وكان الهواء قد تغير ، والجو بالوخم قد تكدر ، وظهر الوباء ونشا ، وكثر الطاعون وفشا ، وتحول النسيم سموماً ، وصارت المياه سموماً ، وانقلب زلالها حميماً ، ومن يتبرد بها محموماً ، ولا يسأل حميم حميماً ، فوصفت لنا بلدة أزنكمود<sup>(1)</sup> بلطافة الهواء ، وعذوبة الماء ، وقلة الوباء ، وطيب البقعة ، وارتفاع الرقعة ، وتناهي الرفعة ، وسلامة الطبايع ، وسعة المراع والمراع ، وكثرة المنازه وأنواع الفواكه ، فاستخرنا الله تعالى في السفر [111] إليها والحلول لديها ، إلى أن يعتدل الزمان ويعود السلطان . فتوجهنا إليها صحبة المولى السيد المشار إليه ، أسبغ الله تعالى نعمه عليه ، وخرجنا من المدينة ، ونزلنا في السفينة ضحى يوم الاثنين المكرم ثاني عشر شهر الله المحرم سنة سبع وثلاثين وتسعمائة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وركبنا ذلك البحر وما رهبناه ، واستصبحناه وما استصعبناه ، وسرنا فيه في أطيب هواء ، وأحسن استواء ، وقد سكن هائجه وركد مائجه ، وصلح مزاجه وحسن علاجه ، وتلك تجاربه المشية تتبختر تبختر الجارية الناشية ، وتنساب في الجناب كالحباب ، وتأتي من الحركة في صورة السكون بالعجب العجائب ، فتحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، ثم سكن الريح حتى كأنه ميت ، وصار البحر كأنه قعب لبن أو زيت : [من الطويل]

قد كان بحراً قبل ذلك زاخراً  
فغداً بذلك وهو بر مقفراً<sup>(2)</sup>

وكان النهار قد قضى ، ووفى دينه وقضى ، وذهب مُهرولاً ومضى ، وأشرف القمر

(1) أزنكمود أو أزنكميد وهو اسم تركي ، وبالعربية نقمودية وتسمى حالياً أزميد ، وهي مدينة على

ساحل البحر بينها وبين القسطنطينية أربع مراحل ، فتحها الملك أورخان ان السلطان عثمان . انظر :

أخبار الدول للقرماني 3 : 307 .

(2) البيت في تاج المرق 1 : 195 بلا عزو .

وأضاء ، فأرسمينا حينئذ بالقرب من ساحل قرية يقال [111ب] لها قَزْلٌ أضاً<sup>(1)</sup> ، فبتنا هناك والليل مزهر السراج ، لابس من نور القمر أبيض الدُّبِياح ، وقد رقَّ ذلك البحر وراق ، وحلا وصفاً وإن كان مرَّ المذاق ، وأشرفت جنباته غاية الإشراق : [من المتقارب]

كَأَنَّ الشَّمَاعَ عَلَى مَسْتَنِهِ  
فَرَنْدٌ مَصْفَحَةٌ سَيْفٌ صَدِي  
وَأَشْبَهُهُ إِذْ دَرَجَتْهُ الصَّبَا  
بِرَادَةِ تَبْرِ عَلَى مَبْرِ

فلما هَبَّتْ بعد سكونها الصبا ، وهبَّ من نومه الصباح ، واستتر نور القمر واختفى ، وبدا نور الفجر ولاح ، نشر من المركب بُنوده ، وقلَّد شراعه وأحكم شدوده ، ثم رحلنا وسرنا ، وأشرع ذلك الشراع فأشرعنا ، وخفق ذلك الجناح فطرنا ، فلم نزل نسير وذلك المركب يكاد يطير وذلك البحر : [من الكامل]

تَتَكَسَّرُ الْأَمْوَاجُ فِيهِ فَتَنْثَنِي  
بِيَدِ الصَّبَابَةِ مَبِيضَةً أَعْطَاهَا  
فَكَأَنَّ شَهَبَ الْخَيْلِ قَدْ غَرَقَتْ بِهِ  
فَطَفَّتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ أَعْرَافُهَا<sup>(2)</sup>

فلما انتصف ذلك النهار ، ظلمنا ذلك البحر وجار ، وكان أمسى مس القرين بعد أن كان نعم الجار ، ثم أزيد ورغاً ، وتعذَّى وطغى ، وعتا مفسداً [112أ] وبغى ، ورام ما لم ينله وبغى ، واشتدت به الرياح وعصفت ، وأتت به الأمواج من كل جانب واختلفت ، واضطرب وتكسَّرت وانقصفت ، وصار السير به في حكم الحرمة بعد

(1) قزل أضاً : وهي إحدى الجزر القريبة من مدينة إستانبول ، وتقع في بحر مرمرية ، وكان الأصل التركي لهذه الجزر يعرف باسم «قزبل أطله لر» ويعني «الجزر الحمراء» (قاموس الأعلام 1 : 221 ، 5 : 3659) .

(2) البيتان في تاج المفرق 2 : 17 بلا عزو .

الإباحة ، فآلقينا المراسي وقت العصر بوسط الباحة ؛ لكي يحصل لنا من تلك الحال الراحة ، فما ازداد القلب إلا خوفاً وفرقا ، والعين إلا سُهاداً وأرقا ، والخلق إلا غُصةً وشرقا ، والفؤاد إلا اضطراباً وقلقا ، وقد أثارت الريح من الموج حنقا ، ومشت عليه خبيباً وعنقا ، فأعادته كالبنان ، وأصارت المركب فوقه يتلاعب كقضيب البان ، حتى آليت ألا أودعها تحية ، ولا يورثني هبوبها أريحية .

وبتنا ليلة الأربعاء بين تلك الأمواج ، ونحن في غاية الاضطراب والارتجاج ، وأقمنا بذلك المحل إلى أن قوضت خيام الليل ورحل ، وسَل صارم الفجر من قرابه ، وتجلّى النهار في جوهرى أهابه ، وأسفر من المشرق وجه الشمس يُوح ، فجرت بنا السفينة في موج كالجبال كجري سفينة نوح . [12 اب] وما جربنا فيه الفكر في هذا الحال ، وجرى به اللسان فنطق وقال ، أبيات على وجه المطارحة ، وهي لتلك الأحوال شارحة ، وفي تلك الميادين سارحة ، فقلت بيتاً ثم قال بيتاً إلى آخرها : [من الرّمْل]

لي :

أزبد البحر هياجاً ورغى  
وتعلّى وتعدى وطغى

له :

قلت لما جدّ فينا عزمه  
وجميل الصبر منا استفرغا

لي :

وبنا قد أنشبت أظفاره  
ولنا كشر ناباً قد شفا

له :

وبغى إصلاح ما يحملنا  
بفساد الحال لما أن بغا

لي :

رينا سـخـره وأصـرف شـره  
وأنلنا من حـبـاء المـبـتـغـى

له :

وانـشـر الـريـح رخـاء سـجـسـجا  
وأعد ظلّ الأمانـي مسـبـغا

لي :

وأرحنا من أذى مـركـبـه  
فهو عن مقصـدنا قد روّغا

له :

وتواننا عن منايـا لاهـيـا  
عن هوان بلـبـان مـضـغا

لي :

بحـبال جرّها في مـوجـه  
في جـبالٍ مـدّها لن يفرّغا

له :

وبإيـعاد عـظـيم قـد هـذا  
وهو في لـج عـبـاب دكـفا [113أ]

لي :

فبـسـلم قد لقينا حـريـه  
وهو قد شبّ لنا نار الوغـا

له :

فهو أعمى ما رأنا أبكم  
لم يجبننا بل أصم ما صغى

لي :

لشهي الأكل قد أحررنا  
ولصافي شربنا ما سوغنا

له :

ورجاء القلب في اللطف غدا  
واثقاً في دفع ضرر بلغنا

ولم نزل نسير وغور في مواسط تلك البحور ، طوراً في الصعود وطوراً في الحدور ،  
إلى أن رجع البحر إلى الموددة والمصافاة ، بعد تلك القسوة والمجافاة ، ووافى بريح طيبة  
أحسن موافاة<sup>(1)</sup> ، فما كان إلا سويحات يسيرة وأشرفنا على البلدة ، واستبشرنا  
بالفرج بعد الشدة ، ثم أكملنا أبيات المطارحة بعد مدة ، فقلت : [من الرمل]

فاستجاب الله منا وكفى  
شر شيطان الأسي إذ نزغنا

له :

وحببنا بیره في بیره  
والى ما يُبتغى قد بلغنا

(1) من منتصف الورقة [1106] من الأصل إلى هنا بياض في (م) و (ع) .

لي :

فنعمنا في رياض الأنس في  
رفعة مع خفض عيش رُفنا

له :

فله الحمد على ما خصنا  
من هبات ظلها قد أسبغنا

لي :

وعلى الختار منه دائماً  
صلوات كل حين تُبتغى [13 اب]  
وعلى الآل مع الأصحاب ما  
أفل النجم دجى أو بزغنا

ثم أرسينا بمرساها<sup>(1)</sup> عندما انطبق جفن الظلام<sup>(2)</sup> على عين الشمس ومضى اليوم مضي أمس ، وكان استقرارنا بتلك البلد الأنيس منتصف المحرم ليلة الخميس ، فحللنا منها المحل المودود<sup>(3)</sup> وحللنا بها المشدود والمعقود ، وجددنا بمعاهدها العهود ، ووفانا الدهر بالعود إليها الوعود ، فتبدل الكدر بالصفاء ، وأيام الجفاء بليال الوفاء ، ونزلنا في بيت صاحبنا الحاج مصلح الدين مصطفى ، فوجدناه غائباً في تطلب عبد له قد أبق ، وركب في الفرار<sup>(4)</sup> طبقاً عن طبق ، فتلقانا أهله وأولاده بالترحيب والتأهيل والتكريم والتبجيل ، وأنزلونا بغرفة لطيفة حسنة مرتفعة ، فتركنا هنالك ما معنا من الأسباب

(1) وردت في (م) و (ع) : «وكان حلولنا بمرساها» .

(2) وردت في (ع) : «الكلام» .

(3) وردت في (ع) : «المورود» .

(4) وردت في (ع) : «أنوار» .

والأمتعة ، وأقمنا هنالك في أنزه مكان إلى وقت الصلاة من يوم الجمعة ، فصليناها في مسجد البلد الجامع ، وهو مسجد متسع لكل أهل البلدة جامع ، إذ لا جمعة بها في سواه ، ولا خطبة فيما عداه ، [أ114] فوجدناه مسجداً عتيقاً فضياً أنيساً أنيقاً ، ذا أبنية متينة وعمارة مكينة<sup>(1)</sup> ، وهو مرتفع في أعلى المدينة ، يُصعد إليه ويُرقى في أطول طريق وأرفع مرقى ، وأما خطيبه ففي الأسمال<sup>(2)</sup> غاية ، وفي الإعجام آية ، وفي التبديل والتحريف نهاية ، مع ما يضاف إلى ذلك كما قيل من سوء الاعتقاد وتبديل القرآن كالنطق بالظاء مكان الضاد ، وذكره أحاديث لا نعرفها ، وصدور ترُّهات<sup>(3)</sup> منه لا نقدر نصفها ، فقضينا بطلان تلك الصلاة ، وقضيناها ظهراً ولا قوة إلا بالله ، ولما قضيت الصلاة انتشرنا في أرض تلك البلدة وأضافنا من الأصحاب بها عدة ، فلم نزل نجوب<sup>(4)</sup> في أطرافها ، ونجول في أكنافها ، ونتفرج في مفترجاتها ، ونتنزه في متنزهاتها ، وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وبيئت<sup>(5)</sup> من صنعة الله وصبغته ما بيئت ، فغدت تتبرج في ملابس عبقرية ، وتتأرج بأنفاس عنبرية ، وتشمخ على غيرها من البلدان<sup>(6)</sup> بارتفاعها ، وتفتخر [أب14] على مجاورها بحصانتها وامتناعها ، وتزهو بطيب هوائها ومائها ، وتسمو بجدة رونقها وقدم بنائها<sup>(7)</sup> ، وتستحل طيب فواكهها ، وتستجل عرائس منازلها (وتقسم بعلو هضابها أن لا تفوز الشريا برشف رضابها)<sup>(8)</sup> وقد استدار بها البحر استدارة السوار بالزند ، وألبس ذلك الجسم حلل العرار والرند ، وركب خلائق الوهد على ذلك النجد ، وكتب بخضاب الربيع على نقاء ذلك النهدي ،

(1) وردت هذه العبارة في (ع) : «ذا أبنية مثبتة ، وعمارة مكفئة» .

(2) وردت في (ع) : «الأعمال» .

(3) وردت في (ع) : «برهان» .

(4) وردت في (ع) : «نحول» .

(5) وردت في (ع) : «نبيت» .

(6) وردت في (م) : «الأراضي» .

(7) وردت في (ع) : «نباتها» .

(8) ما بين القوسين ساقط من (ع) .



ثم أب الحاج مصطفى من غيبته ، وقرب المسافة من أوبته ، وحيانا بسلامه وتحيته ، ثم أعادنا إلى منزله وعقوته<sup>(1)</sup> ، بعد أن عقد في قسمه علينا وأليته ، (فعدنا إليه)<sup>(2)</sup> وحللنا لديه في تلك الغرفة المذكورة أنفاً ، فشهد منها مشاركاً للإنس ومشارفاً ، وهو يهدي إلينا من تحف هداياه لطائفاً ، وقد أحاط بنا من سائر الجهات بستان ذو أفياء وأفنان ، (وزهور مدبجة الألوان)<sup>(3)</sup> ، وعرائس مسرحات زاهية ، وعرائش كرمات عالية ، ذات قطوف دانية ، [115] ونسيم معطار ، وحفيف أشجار ، وتغريد أطيّار ، من شحرور وهزار<sup>(4)</sup> ، يهيج كل منها لوعة الصب النازح الدار ، ويضرم في قلبه من أشواقه لاعج النار ، ويطيّر بقلبه أتى طار ، كما قال في الإنشاد ابن حصن كاتب المعتضد ابن عباد : [من الطويل]

وساهاجني إلا ابن ورّقاء هاتف  
على فنّ بين الجزيرة والنهر  
مفستق طوق لازوردي كلكل  
وموشى الطلى أحوى القوادم والظفر  
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤ  
وصاغ<sup>(5)</sup> على الأجفان طوقاً من التبر  
حديد شبا المنقار داج كأنه  
شبا قلم من فضة مدّ في حبر  
توسّد من فرع الأراك أريكة  
ومال على طي الجناح مع النخر

(1) العقوة : الساحة والحلة جمعها عقاء .

(2) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(3) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(4) وردت في (م) : «من شحرور وعنليلب وهزار» .

(5) وردت في (ع) : «وضاع» .

ولما رأى دَمْعِي مُرَاقِباً أَرَابَهُ  
بُكَائِي فَاسْتَوْلَى عَلَى الْغُصْنِ النَّضْرِ  
وَحَثَّ<sup>(2)</sup> جَنَاحَيْهِ وَصَفَّقَ طَائِرًا  
وَطَارَ بِقَلْبِي حَيْثُ طَارَ وَلَا أُدْرِي<sup>(1)</sup>

ولم نزل هناك ليالي وأياماً آمين ، وأعيان المدينة يهرعون إلينا مسلمين وداعين  
وملتمسين للدعاء ومؤمنين ومعظمين ومبجلين ومكرّمين ، [115ب] ونحن في لذة  
عيش ، سالمين من الكدر والطيش ، لولا ما يعترضه من تذكر البلاد ، والتألم لمفارقة  
الأهل والأولاد ، فكان كلما هنع العيش تنغص ، وكلما ازداد الأنس تنقص ، وكلما  
هممنا ببسط وانشراح أدركنا بسيط هم وأتراح ، كما قيل : [من البسيط]

مُنْغَصُ الْعَيْشِ لَا يَأْوِي إِلَى دَعَاةٍ  
مَنْ كَانَ ذَا بَلَدٍ وَكَانَ ذَا وَلَدٍ  
وَالسَّاكِنُ النَّفْسِ مَنْ لَمْ تَرْضَ هِمَّتَهُ  
سُكْنَى بِلَادٍ وَلَمْ يَشْكُو<sup>(3)</sup> إِلَى أَحَدٍ<sup>(4)</sup>

ولولا ما من به تعالى من مجالسة مولانا السيد ليلاً ونهاراً ، وتلينا بطلعته  
السعيدة عشياً وأبكارة ، وتلينا بدرر ألفاظه ومؤانسته مساءً وأسحاراً ، لتفتت القلب  
جداداً وانفطر الكبد انفتاراً ، فكنت أرتاح بروح مؤانسته ارتياح اللهبان للنسيم  
البليل ، وأشفى بمكالمته كلم القلب العليل ، وأروى برؤيته ما به من الغليل ، وأدخل  
في الليل حالة السكون بقلب خافق فيه من الأدواء دخيل ، وألقى المنام بطرف  
شحيح بالكرى بنخيل ، وكلما فتشت للأوطان في [116أ] فكري ذنباً أجعله سبباً

(1) الأبيات موجودة في: المغرب في حلى المغرب 1 : 251 وتاج المفرق 1 : 239-

(2) وردت في (ع) : «وحب» .

(3) وردت في (م) و (ع) : «يشكو» .

(4) البيتان لسهل بن مالك الأزدي الغرناطي وموجودة في نفع الطيب 2 : 112 .

للسلو أو عيباً أركن به إلى الراحة والهدوء قال الاختبار لا سبيل إلى ذلك ، وجعل يعرض عليّ من حسناتها ما جلى به ظلام الليل الحالك<sup>(1)</sup> ، ولولا أنني أرجع إلى جميل الصبر بعد الذهاب ، وأعلل النفس بتنفس الكرب بقرب الإياب ، لأمسيت أثراً بعد عين ، ولكنك أحد من قتله يوم البين : [من الكامل]

البينُ جرّعني نقيعَ الحنظلِ  
والبينُ أئكلني وإن لم أئكلِ  
ما حسرتي<sup>(2)</sup> أن كنتُ أقضي إنما  
حسرات قلبي أنني لم أفعلِ  
نقل فؤادك ما استطعت من الهوى  
ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ  
كم منزل في الأرض يألّفه الفتى  
وحنيئُهُ أبداً لأولِ منزلِ<sup>(3)</sup>

وهذه عادة الأيام<sup>(4)</sup> في اعتقاب جميعها بتفريقها ، وإسراقها كل نفس بريقها ، لا تجمع شملًا<sup>(5)</sup> إلا شئتّه ، ولا تصل حبلاً إلا بتتّه ، من أطاعها عصته ، ومن داناها أقصته ، ومن وصلها قطعته ، ومن نزع إليها نزعته ، ومن أرضاها أغضبته وأخرجته ، ومن سكن<sup>(6)</sup> دارها أزعجته وأخرجته ، بصّرنا الله تعالى بمعابها ، وأعادنا من بلاياها ومصائبها بمنه وكرمه أمين ، إنّه أرحم الراحمين . [161 ب]

وبما فتح الله به في تلك البيوت من الأبيات ، ولولا تقريرض السيّد المولى لها لما

(1) وردت في (ع) : «الهالك» .

(2) وردت في (ع) : «يا حسرتي» .

(3) الأبيات لأبي تمام ، انظر ديوانه ص 407 .

(4) وردت في (ع) : «الدنيا» .

(5) وردت في (ع) : «سهلاً» .

(6) وردت في (ع) : «شكر» .

استحقت الإثبات ، قولِي : [من الكامل]

أُتْرَى لُمُغْرَى بِالْمُغْرَامِ مَوَاسِي  
أَمْ مِنْ سَقَامٍ شَفَفَهُ مِنْ أَسِي  
أَوْ مِنْ دَوَاءٍ عَلَيْهِ يَشْفِيهِ أَوْ  
مِنْ رَقِيَّةٍ تَحْمِيهِ مِنْ وَسْوَاسِ  
إِنِّي وَمَنْ يَهْوَاهُ إِمَّا هَاجِرٌ  
أَوْ مَبْعُدٌ أَوْ سَاكِنُ الْأَرْمَاسِ  
وَزَمَانُهُ قَدْ عَظَمَ بِنَوَائِبِ الْأَنِي  
سَابِ بِلِ وَضَوْارِسِ الْأَضْرَاسِ  
شَوْقٍ وَحُزْنٍ وَاغْتِرَابٍ مَعَ ضَنْيِ  
جَسَدٍ وَيُعَدُّ الدَّارَ وَالْإِفْلَاسِ  
وَبَعْضُهَا يَفْنَى الْحَمُولَ فَكَيْفَ مَعَ  
تَحْمِيلِ ذِي الْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ  
فَالرُّوحُ فِيهِ<sup>(1)</sup> فِي السِّيَاقِ وَجَسْمِهِ  
بِالِ وَفِي الْأَحْشَاءِ حَزْمِ مَوَاسِي  
وَالْعَظْمِ عَارِ لَيْسَ يَمْسُكُهُ سَوَى  
جِلْدٍ وَمِنْ لَهَبِ الْجَوَانِحِ كَاسِي  
وَالْقَلْبِ ذَابَ فَمَاؤُهُ دَمْعاً جَرَى  
وَدَخَانُهُ يَجْرِي مَعَ الْأَنْفَاسِ  
وَالْطَّرْفِ طَوَّلَ اللَّيْلِ لَمْ يَطْرَفْ وَإِنْ  
يَغْمُضُ فَيَرْجِعُ حَاسِراً كَالْخَاسِي  
يَجْرِي عَلَى مَتْنِ النُّجُومِ بِسُرْعَةٍ  
وَالنُّجُومِ كَالْمَشْدُودِ بِالْأَمْرَاسِ [117]

(1) وردت في (م) و (ع) : «منه» .

فالطُّرْفُ في جِوالاته كالطُّرْفِ في  
 ميدانه والنجم كالبرجاسِ  
 والليل مثل السيل في إقباله  
 لم يحص بالمكيالِ والمقياسِ  
 أو مثل بحر مزيد متلاطم  
 أمواجه مثل الجبال رَوَاسِي  
 أو عسكر كسر الصباح وجنده  
 لما علاه بسطوة ويبأسِ  
 وأظنه مأسوره إذ ليس من  
 حسن له يُرجى ولا إحساسِ  
 فلقد ألفتُ سواده وغدوت<sup>(1)</sup> من  
 طول المدا البيضاء صبح ناسي  
 وإلى إلهي أشتكى ما التقي  
 ثم أعاني حملة وأقاسي  
 وإليه في كل الأمور توسلي  
 بمن اجتباها من جميع الناسِ  
 هو أشرف الخلق الذي قد طهرت  
 أخلاقه من سائر الأدناسِ  
 هادي الأنام شفيح مُذنبهم غداً  
 عون الغريب وللفقير مُواسي  
 من أظهر الدين الحنيف بسطوة  
 أمسى بها إبليس في إبلاسِ  
 فعمسى صباح للمنى يأتي بتف  
 ريج الكروب السود بَعْد اليأسِ

(1) وردت في (ع) : «عدت» .

وعسى نهار بالتداني مشرق  
 يحو دجى ليل التنائي الماسي [117ب]  
 اني لأرجو ذاك يحصل عاجلاً  
 وتراض خيل الحظ بعد<sup>(1)</sup> شماس  
 وتُرى بوادي السعد وهي حواضر  
 وتُرى عواري الجند وهي كواسي  
 وتُرى جنى روض الأمانى دانياً  
 فلقد تبدا ذاوي الأعراس  
 وتعود كالأعياد أيام الوفا  
 وتُرى ليال القرب كالأعراس  
 وتفيق عين الدهر بعد منامها  
 ويرق قلب من جفاه قاسي  
 ويفي بحق ضائع متذكراً  
 لمهوده من بعد طول تناسي  
 وعين ربي باجتماع الشمل مع  
 أهلي بأسنى حالة وأناسي  
 في منزل أركانه بُنيت على  
 تقوى من الله بخير أساس  
 فالباب ليس بمرتج عن مرتج  
 روح الإله على مدا الأنفاس  
 عودتني بجميل لطفك سيدي  
 في كل نائبة كطود راسي

(1) وردت في (ع) : «الخيطة بور» .

ورحمتني في غررتي بمؤمل  
 وأزلت مـا بي بالوزير إياس<sup>(1)</sup>  
 عضد الملوك وساعد لهم بدا  
 كالعَيْن للوزراء بل<sup>(2)</sup> كالرأسِ  
 بحر جَرَى عالي الذرى غيث الورى  
 ليث السُرى عند النداء والبأسِ [118أ]  
 ورحمتَ عَبْدَكَ إذ لجأت به إلى  
 عبد الرحيم السيّد العباسي  
 فبه تبدّل كربة بمسرة  
 وتعوض الإنحاس باستثناسِ  
 مولى تردا بالكمال موزراً  
 من كل محمود بخير لباسِ  
 فرع لدوحة بيت آل محمد  
 متـرنح بجني وطيب غراسِ  
 بحلى الفوائد والفرائد والمعوا  
 ند والمحامد والمشاهد كاسي  
 فرد لأنواع المحاسن جامع  
 بالبشر بذكر مشهد العباسِ  
 نور النبوة لائح في وجهه  
 زاه كما المشكاة والنبيراسِ  
 وأجله عن ضرب أمثال وعن  
 تخييل أشكال وذكر قياسِ

(1) ورد عجز البيت في (م) و (ع) : «فخر الورى المولى الوزير إياس» .

(2) وردت في الأصل : «أو» ، وما أثبتناه من (م) و (ع) .

ماذا يقول مفوه في وصفه  
 لو أنه يُعطى ذكاءَ إياسِ  
 إنَّ البديع بما حواه لعاجز  
 عن حصره بالنقش في القرطاسِ  
 لا زال محفوظاً بعين عناية  
 تغني عن الحفظ والحراسِ  
 ومجده خضر السعادة دائم  
 باق بسؤده بقاء الياسِ<sup>(1)</sup>  
 ومجده<sup>(2)</sup> ظل السيادة وارف  
 ما امتدَّ ظل في رياض الأسِ [18ب]

فلما وقف مولانا السيّد المشار إليه ، أسخ الله نعمه عليه ، على هذه الأبيات ،  
 أجابني عليها بأبيات أبيات ، فقال : [من الكامل]

قسماً بخير الخلق مولى الناس  
 ويَعْمُه وصفيه العباسِ  
 ما مثل در قد نظمت عقوده  
 متناسق الأنواع والأجناسِ  
 وافا فأهدى للمسامع حسنة  
 شنفاً حيث شرفاً بغير قياسِ  
 وما تبدأ من بديع بيانه  
 قد صيّر الأفكار في إبلاسِ  
 لو صُورت زهراً معاني لفظه  
 كانت لكيوان كتاج الرأسِ

(1) هذا البيت ساقط من الأصل .

(2) وردت في (م) و (ع) : «ولجده» .



أوقايست أنواره شمس الضحى  
أضحت كما المشكاة والنبراسِ  
سبحان مبدع فكرة قد أبرزت  
ما فيه من غرر وحُسن جناسِ  
عالي الطباقِ فمتنه عن سافلِ  
عارٍ ومن حُللِ البلاغةِ كاسي  
تنشى ممانيه بلطف فنونها  
ما ليس ينشئه سلاف الكأسِ  
ويعيد روح الأنس روح بديعه  
من بعد ما قد غاب في الأرماسِ [119] أ  
ويرد روض البشر أخضر يانعاً  
زاهي الروابي بعهد طول يباسِ  
فترى به ورق الفصاحة صُدْحاً  
وكأنها القينات في الأعراسِ  
وإذا شذا قمري فضل بيانه  
ما معبد في روضة المقياسِ  
لله ناظم درة الفواص في  
لجج العلوم بفكره الغطاسِ  
فهو الذي فرع الشيوخ بعلمه  
والعمر غض في أجند لباسِ  
وله معارف ليس ينكرها سوى  
من يبتلى في العقل بالوسواسِ  
ومؤلفات شاهدات أنه  
بالبحر غير مشبّه ومُقاسِ  
عن فضله حدث ولا حرج فما  
ينفسيه إلا ذو الشنار الخاسي

من<sup>(1)</sup> ينكر الشمس المنيرة غير من  
 هو للعمى في حالتيه يقاسي  
 لا غَرَوْ أن يعي مجاري فضله  
 تعيي البغال بجرية الأفراس  
 إنني لأرفع مجده عن نعمته  
 ببديع أوصاف مضت لأناس  
 وأجله أن أستمير لذاته  
 من حلم أحنف أو ذكاء إياس  
 ورت الحمامد كابرأ عن كابر  
 وبنى علاه على أجلّ أساس [119ب]  
 لله در أب له قد كان في  
 أوج العلا الطود الأشم الراسي  
 ما أن رأت عيناه مثل جلاله  
 وخلاله كلاله ورب الناس  
 حلم له رضوى يخف ومقول  
 يدع الجواهر وهي في أبتخاس  
 وطويل باع في العلوم مديدة  
 ببسيط وافره الأنام يواسي  
 وسماحة تدع ابن برمك مادراً  
 وترد حاتم في قلاً وتناسي  
 وولاية قرّت عيون أولى الولا<sup>(2)</sup>  
 وبها عيون أولى العناد خواسي

(1) وردت في (م) و (ع) : «هل» .

(2) وردت في (م) : «أولى النهى» .

ونصائح تدع الغوى مرشداً  
 ويلين منها كل قلب قاسي  
 وله كرامات تعذر حصرها  
 كالقطر والأمواج والأنفاس  
 من ذا يحاول عشر عشر نعوته  
 لو يضرب الأخماس في الأسداس  
 والله إنني عن وفاء حقوقه  
 في غاية الإقتار والإفلاس  
 فله من المولى الكريم مواهب  
 تكسوه بالرضوان خير لباس  
 ولأوحد العلماء وارث مجده  
 رتب ثرى فوق السمك رواسي  
 وقباب ساعد لم تزل عليها  
 مشدودة الأطناب والأمراس [120أ]  
 وبكل ملح يستجد سيادة  
 تدع الحسود بحالة الخناس  
 عذراً سليل المجد عن نظم امرء  
 قد رق من جور الزمان القاسي  
 إن ابن سبعمين لمعذور إذا  
 ما فكره أضحى كعمود عاسي  
 فكن الرضي بن الرضي بن الرضي  
 بما أتى من فاقد الإحساس  
 وتلق بالبشر الذي عودته  
 ما قد بدا من مخلص عباسي  
 ولئن تكن نزرأ ركيكاً سافلاً  
 فالستر منك لدائه كالاس

جمحت قوافيه فلما راضها  
 بك أذعنت من بعد فرط شماس  
 وغدت بفخر المدح فيك رفيمة  
 ولها منابر في العُلا وكراسي  
 وبَدَت تجرُّ على جَرير مرطها  
 وأبي<sup>(1)</sup> فراس مـفـخـراً ونُوَّاسِ  
 وعلى حبيب قد تعذر وصلها  
 وابن الحسين اخي النداء والبأسِ  
 لآلت ترقى للمعالي دائماً  
 وفضاؤها لعلاك كالبرجاسِ  
 ولجـدك العـمـالي الشـنـاء من الـورى  
 يجري كما الأوقاف والأحباسِ  
 ولعـيشك الخـضـر المنعم حـافـظ  
 من أن يردَّ رجـاؤه للـيـاسِ [20 أب]  
 ما فوقت<sup>(2)</sup> أيدي اليراع بوشيهـا  
 مبيضة الأطراس بالأنقاسِ

ثم كتب لي لُعْزاً زاده الله تعالى رفعة وعزاً : [من الرُّجْز]  
 يا من غدا لب العلوم حاوياً  
 ويجوهر البسديع حالياً  
 ما اسم ثلاثي<sup>(3)</sup> تُرى حُرُوفه  
 ثلاثة وقد ترى ثمانياً

(1) وردت في الأصل : «أبا» .

(2) وردت في (م) : «فوقت» .

(3) وردت في (ج) : «ثلاث» .

وهو على استوائه فعل وان  
 عكسته كان كذاك باديا  
 وان حذفت أولاً منه يرى  
 فعلاً يكون ذاهباً وجاءيا  
 وان تحرفه فذو الذوق يحد  
 عنه ويُلْفَى لأساه قاليا  
 وان عكسته تراه صالحا  
 من بعد ما كان مهيناً واهيا  
 وكله في حال قلبه يرى  
 فعلاً به تحصل المرائيا  
 وان أزلت عينه أقسام في  
 مقامه ولا يكون نابيا  
 وان قلبته تجده رقة  
 يحكي الذي بالسقم أضحي باليا  
 وان جعلت لامه فاء له  
 كان لما تزيه مساويا  
 وان قلبته فشيء حامض  
 يأكل<sup>(1)</sup> منه حاضراً وباديا [121أ]  
 وان لثثيه اعتبرت تلقه  
 أمر لمن غدا بربع ثاوية<sup>(2)</sup>  
 واسم لبلدة تناءت دارها  
 ودونها كم قطعوا فيافيها

(1) وردت في (ع) : «ما كل» .

(2) وردت في (ع) : «مساوية» .

وهو إذا اعتبرته حقيقة  
تراه شيئاً نائياً ودائياً  
يوجد في أرض العراق مثلما  
يوجد في أرض الحجاز نامياً  
وفي خراسان إذا طلبته  
يلقى وفي الروم يكون وافيّاً  
ومصر والشام ففيهما له  
مآثر قد عدت مضاهياً  
فأقبله لغزاً قد أتى من مخلص  
لم يبرح الدهر عليك ثانياً  
وحلّه وحله بجواهر  
من لفظك الجزل بقيت سامياً  
منعماً في ظلّ عيش لم يزل  
عليك دوماً سابغاً وضافياً

فأجبتة عنه ، وألحقت به لغزاً فقلت : [من الرجز]  
يا من يدّر العلم أضحى حالياً  
وفكره للمشكلات جالياً  
أبديت لي لغزاً بديعاً لم يزل  
قدري به بين الأنام راقياً  
في اسم ثلاثي متى فصلته  
صارت به أحرفه ثمانية [121ب]  
وإن عكست لفظه فاسم لما  
يكون من نفس الجريح باقياً  
وإن تصحفه محرّفاً فمشر  
وب غدا التركي منه حاسياً

وإن حذفت صدره وكرر الب  
 باقي فمن صخر تراه زاهياً  
 وصحف الباقي محرفاً تجد  
 ذا الذوق عنه لا يكون قالياً<sup>(1)</sup>  
 وإن عكسته فأمر من يرى  
 للنوق حالة الرحيل حادياً  
 وإن ترخمه بتصحيف فذا  
 عضواً لأعضاء يكون حاوياً  
 وإن حذفت عينه محرفاً  
 تجده في فصل الشتاء آتياً  
 وهو بأرض الهند يلقي جارياً  
 ومن وراء النهر يُلقى سارياً  
 أيضاً وفي الغرب يلوح مثلما  
 يظهر في الشرق جلياً بادياً  
 هذا وما اسم ذو ثلاث أحرف  
 وهو لسبع قد يكون وافياً  
 وذو هدى بهأوه لا يختفي  
 ترى به وصفاً لنا مساوياً  
 وظاهر وإن تصحفه اختفى  
 وفي جهات البر يبقى جارياً  
 محذوف غير منه شيء ضده  
 محذوف فاء فيه كان ثاوياً [122] <sup>(2)</sup>  
 محرفاً ودان فونان إذا  
 حرفت أولاً وأيضاً ثانياً

(1) وردت في (م) : «نايبا» .

(3) ورد عجز البيت في (ع) : «محذوفه فاء كان فيه ثاوياً» .

وإن نقلت أولاً لاخر  
 فهو سبيل كم أعان عانيًا  
 وإن نقلت آخرًا لأوسط  
 أمسى الفقير من أساه<sup>(1)</sup> شاكيا  
 وإن تصحف ذا فمحذور به  
 ترى الغوى كل وقت لاهييا  
 هاك الجواب ثم لغزاً سافلاً  
 وللمعالي بالقبول راقيا  
 فحله بحله<sup>(2)</sup> الحيل له  
 يخل في أوج السماء ساميا  
 لا زلت في عز وسعد دائم  
 ما رادفت أيامنا الليالي

فأجابني ، أمتع الله بحياته ، عن لغزي هذا بقوله : [من السريع]

يا بدر دين الله يا من غدا  
 لكل فن في الوري حاوريا  
 الغزت<sup>(3)</sup> في اسم شامخ قدره  
 ما زال في أوج العلاء عاليا  
 إن قلت بدر فهو أزهى سنا  
 إذ بك أضحى للسهار راقيا  
 كم فيه در عقده لم يزل  
 عند الذي يخبره غاليا

(1) وردت في (م) : «أذاه» .

(2) وردت في (م) : «بجوهر» .

(3) وردت في (ع) : «العرف» .



وفيه رد لحسود يُرى  
 بحسنه بين الورى خاسياً [22 اب]  
 وفيه بُر نبتته مخصب  
 وفيه بر لم يزل جارياً  
 لو سافر الراغب بُرداً له  
 لعُدُّ في درب الوفيا وانياً  
 كم فيه للظمان بُرد يُرى  
 من برد يروى به صافياً  
 أحسن من تحبير بُرد غدا  
 به يماني يُرى كاسياً  
 لو ابن بُرد رام نظماً له  
 أعيسى وأضحى عجزه بادياً  
 أو النواسي غدا بالذي  
 أحدثه العجب به ناسياً  
 أو الوليد اعتد ما صاغه  
 في كل نوع عبثاً واهياً  
 والمتنبي غدا عاجزاً  
 بمعجز أضحى به غاورياً<sup>(1)</sup>  
 أو المعري تعمرى عن الرش  
 سد ولم يلق له هادياً  
 وليس يدعاً ذاك ممن غدا  
 بمجده عطل العُلا حاليها  
 لا زال في سمد وفي نعمة  
 ملاح نجم في الدجى زاهياً

(1) وردت في (ع) : «غاديا» .

ثم كتبت له لُغزاً ، فقلت : [من الكامل]

يا من صفا في العلم مورد شره  
لما ترؤى من مناهل عذبه [123أ]  
ما اسم ثلاثي معممى لم يزل  
تبصره في شرق الوجود وغربه  
هو صامت أبدي ويلقى ناطقاً  
لكن برمزي الكلام لعجبه  
هو ظاهر خفاف وليس به يُرى  
غش ولكن غشه في قلبه  
وإذا حذفت المصدر منه تلقه  
جمعا لمن يلقي الصدور بحربه  
وإذا تصحف فهو أمر شامخ  
مع نعت جمع مشرف في حزه  
ومع الزيادة أخيراً يُلْفَى به  
بلد زهى بين البلاد بخصبه  
وإذا تصحف فاسم خود كاد أن  
يقضي بها مَفشُوقُها من حُبّه  
وإذا جعلت الفاء لاماً فهو ما  
يُبدى المتيم من محاسن حبه  
وإذا تصحف قلبه فقبيلة  
في البدو عُدت من أمائل عُزبه  
فامن بحل اللغز يا برأ بلا  
مثل ويا بحرأ سَما عن مشبه  
يا من إذا الأعلام عُدت كان مع  
أعيانهم كالبدر صحبة شهبه

واسلم ودم في نعمة لا تنقضي  
ما انهل قطر من مواقع سُحبه

فأجاب عنه بقوله [23أ]: [من الكامل]

يا من غدا والعلم مورد شره  
يصفو كما تصفو موارد حبه  
أغزت في لغز بديع لم يدع  
فضلاً لدى فهم اللبيب ولبه  
ومنعته نطقاً فأصبح صامتاً  
وعتا على فكر الأريب بحجبه  
وغدا يلوح ويختفي والغش من  
أفعاله متمكن في قلبه  
حاولت جهبذ فكرتي في رده  
غزلاً وفسخ معاقد من عجبه  
فبداله<sup>(1)</sup> غزُّ يحاول منعه  
عَمَّا أراد ولا تني في حربه  
وأراه عزاً شامخاً من معشر  
عز الطلائع أصبَحوا من حربه  
لو أدركته من كُثير عَزَّة  
فكّر لأبعد عن مواقع قربه  
ولو استجاش<sup>(2)</sup> لنصره وعلا لما  
أغنت ودام على الإباء بشعبه  
لله غزوة ريع ناظمه لقد  
أبدت لنا بدرأ زهى في شهبه

(1) وردت في (م) : «به» .

(2) وردت في (ع) : «استجاش» .

وبه دِمَشَقْ تَشْرَفَتْ أَرْجَاؤُهَا  
 لما أَنَاخَ بِهَا مَطَايَا رَكْبِهِ  
 وَغَدَتْ بِهِ تَبَعاً لِمِصْرٍ تَجْمُولُ فِي  
 حَلَلِ الْفَخَّارِ بِمَا ارْتَوَتْ مِنْ عَذْبِهِ  
 نَشْرَ الْعُلُومِ بِهَا فَأَصْبَحَ مَا انطوى  
 مِنْهَا جَلِيلاً وَادْعَاً فِي سِرِّهِ [124أ]  
 فَعَسَاهُ يَلْفِي <sup>(1)</sup> كَالرُّضِيِّ أَبِيهِ بِالشَّ  
 عَمْرِ الَّذِي وَافَا بِذِمَّةِ عُرْبِهِ  
 لَا زَالَ فِي سَمْعِدٍ وَعِزٍّ مَا زَهَا  
 بَدْرُ الدَّجِيِّ فِي شَرْقِهِ أَوْ غَرْبِهِ

وكتب لي لُغْزاً أيضاً ، وهو : [من مجزوء الرُّجْزِ]  
 يَا وَاحِدَ الْعِصْرِ الَّذِي  
 أَوْصَافُهُ لَا تَحْصُرُ  
 مَا اسْمُ ثَلَاثِي غَدَا  
 مَمْرُوفُهُ لَا يُنْكَرُ  
 لَيْسَ بِحَسَنِ جِسْمِهِ  
 وَبِالْعَمِيُونَ يُبْصِرُ  
 يَمْضِي وَلَا رَجُلَ لَهُ  
 مَضَاءُ طَرْفٍ يَحْضُرُ  
 وَيَخْتَفِي فِي جَوْفِهِ  
 الْمُحِبُّوبُ وَالْمَسْتَنْكَرُ  
 قَدْ خَفَ لَكِنْ قَلْبِهِ  
 لَيْسَ عَلَيْهِ يَقْدِرُ

(1) وردت في (ع) : «يرضى» .

مستى تصحف فاءه  
به كشييراً يُسبِر  
وان حذفته ها يكن  
له ششؤون تزيِر  
وان تصحف عينه  
فاسم لشيء يكبِر  
وتارة يكون فملاً  
حاله مقدر<sup>(1)</sup>  
وتارة حرفاً لما  
يحيد عنه الخبِر  
وان قلبتته يكن  
خبير متناع يخبِر  
وان تصحف فاءه  
واللام لا تعتبر  
يختصُ بالفعل وعن  
فحواه لا يقصر  
وان تحرف فاءه  
ولامه تُختص  
يختصُ بي<sup>(2)</sup> معروفه  
ولى حياة يقصر  
وان تصحف لامه  
وعينه لا تذكر

(1) وردت في (ع) : «مقرر» .

(2) وردت في (ع) : «في» .

فهو مباح لك يا  
 من للقلوب يجيب  
 فحلله محلله  
 فهو الفريد<sup>(1)</sup> الجوهر  
 واسلم ودم في نعمة  
 ليس لها تغير [124ب]  
 دورية آخرها  
 أولها لا يفتر  
 ما لاح ليل ومحا  
 دجاء صبح مسفر

فأجبت عنه ، وألحقت به لُغزاً أيضاً ، فقلت : [من مجزوء الرجز]  
 يا سيِّداً أوصافه  
 مثل النجوم تزهر  
 ألغزت لي في اسم غدا  
 للكون طراً يغمر  
 ليس يحسن<sup>(2)</sup> جسمه  
 والعين فيه تستر  
 أوله كآخر  
 ليس به تغيير  
 يطول مع أساه  
 ومع سرور يقصر

(1) وردت في (م) : «العهد» .

(2) وردت في (ع) : «بحسن» .

وهو مطبيع ريه  
لكن تراه يكفـر  
مـتى تصحف فـاؤه  
فهو لسببر مصدر  
واسم لألة لها  
يـخسر من قد يـخسر  
صـحف وحرف فـاءه  
أو عينه يـختـصـر  
يـعم أشياء كما  
بالسببر أيضاً يأمر  
وجاء فـملاً للذي  
من الملل يـحـسـر  
وأمر ذي سـخـاوة  
للضـيف لما يـحـضـر  
ترخيمه بالعطف أو  
بالمطل قد يـفـسـر  
وإن تصحف فـاءه  
فهو لنار أثر  
أو عينه ترى به  
بأقي فـمـل يـذـكـر  
وإن تصحف فـمـا  
أذهب أمراً يـحـذـر  
هذا ومـا مـرـع  
مع أنه مـمـشـر  
مـسـير مـيسـر  
مـبـشـر ومـنـشـر

كماله لا يخستفي  
 وهو بعين يبصر  
 إن تحذف الزائد  
 فهو بعين يخر  
 والرد بالسواء لمن  
 يسأل منه يؤثر  
 متى حذفت صدره  
 منه السقوط يحذر [125أ]  
 وإن أزلت جوفه  
 فأكل لا يفتر  
 وإن ترخمه أتى  
 بعكسه إذ تأمر  
 وقلبه اسم عاقد  
 ووصف شيء يحضر  
 وإن تصحف فاءه  
 فهو نبات عطر  
 وثم أوصاف له  
 بين الوري تشتت<sup>(1)</sup>  
 فحل عقده بعقد  
 ذرة لا يقدر  
 لا زلت في سمادة  
 أوصافها<sup>(2)</sup> لا تحصر

(1) وردت في (م) و (ع) : «مشتهر» .

(2) وردت في (م) و (ع) : «أصنافها» .



دورِيَة أَفـلاَكـها  
دائرة لا تفـتـر  
مـالـاح نجـم مـزهر  
وفـاح نجـم مـزهر

فأجابني عن لُغْزِي بقوله : [من مجزوء الرُّجْز]

يا من غدا مثل اسمه  
لما دجى يَنُور  
الْفَزت في شيء غدت  
نعم ماؤه لا تحصر  
مـرخـمـاً حـرفـه  
تلقه نهى لا يقدر  
وإن تصححفه يكن  
منه بهاء يزهر  
وإن أعدت لامه  
حـبـبـاك روض نضر  
واعكسه فهو راهب  
مما جنناه يحذر  
وإن حذفنا ثالثاً  
منه عمراه بهر  
واقلبه فهو الرعب  
من قلب جبان ينفر  
فهناك حل اللفز من  
مقتصر يعتذر  
واسلم ودم في نعمة  
مـالـاح ليلاً قـمـر

وكتبت له لُغزاً أيضاً ، فقلت : [من مجزوء الرُّجز]

يا أوحـد العـصـريا  
من عليـه شكـري وقـف  
مـا اسـم ثـلاث حـروف  
وإن عكست فـحـرف  
وتسارة هـو فـمـل  
لذلك الاسـم وصـف

فأجابني بقوله [125ب] : [من مشطور البسيط]

يا من مجـد عـلاه  
بكر المعـاني تُزف  
ألغزت شيئاً بديعاً له  
القلوب تـرف  
كم مال عن ذي كـمال  
وللجـهـول يحـف  
وكم به جـاء فـتـح  
وكم به حـل حـتـف  
وإن ترخـمـه يأتـي  
له مـمـاني تصـف  
وإن ترخـم وتـقـلب  
يـلـوح من ذاك حـرف  
وفاءه أحـذف تجـده  
اسمأ به جـاء عـرف  
واعكسه تشهده حـرفاً  
والنهي منه يشـف  
لازلت ترقى المعـالي  
مـا دام يـطـرف طـرف

ولم نزل بذلك المكان<sup>(1)</sup> المذكور ، ننشر من الإنشاء زهر منثور ، وننظم من القصائد  
درر بحور ، ونحلى من نواشي الطروس بلاليء السطور ، معاقد خصور ولبات  
نحور ، وأتمتع من ذلك السيد المولى بجالسته ، وأتمتع إلا عن مسامرته ومؤانسته ،  
وأرتشف من غير زلال مفاكهة أحاديث أحلى من ارتشاف الرضاب ، وأغترف من  
بحر علومه فوائد لها عندي اقتضاء واقتضاب : [من الطويل]

أحاديث أحلى في النفوس من المنى  
والطف من مرّ النسيم إذا سرى<sup>(2)</sup>

فيا لها من أيام غرر جلت غسقاً وتعالت نسقاً ، وبثت من [126أ] علوم ونشت من  
منثور ومنظوم ، وذكرت أيامنا بالبلاد الشامية ، التي هي بالحاسن موشية<sup>(3)</sup> ، وبعكوفنا  
فيها على العلم بكرة وعشية ، فهناك كم من صارفة حرفت وعارفة عرفت وعقيلة  
عقلت وكلمة رمقت فومقت ومقلت فنقلت ، قد ناب فيها عن والدي هذا السيد أباً  
شقيقاً وعن أخوتي أماً برأ شقيقاً : [من الطويل]

شقيق أخاء لا شقيق أخوة  
نسيب صفاء إن ذكرت نسيباً<sup>(4)</sup>

بل سيد ومولى ومالك الرق والولاء ، ومنقذ بشريف فضله وتفضله نفساً أشرفت  
على البلاء ، يؤنسني في وحشتي تلك مأنسة ، ويقدمني في كل الأمور على نفسه ،  
بل هو الروح الروحانية والنفس الإنسانية ، والقلب لكنه السليم من الانقلاب ،  
والعين لكنها القريرة بالأحباب ، قد رفعت من صدق الاتحاد الاثنينية بيننا ، ولولا  
ملاحظة السيادة والعبودية لقلت له : يا أنا ، استغفر الله تعالى ، بل نلحظ مقام

(1) من هنا إلى منتصف الورقة [127أ] يكثر الشطب وعدم وضوح الخط في (م) .

(2) البيت في تاج المفرق 2 : 139 بلا عزو .

(3) من هنا يظهر اضطراب النسخ في (ع) .

(4) البيت في تاج المفرق 2 : 139 بلا عزو .

العُبودية ونحفظ رتبة السيادة [126ب] ونقف على قدم الخدمة بين يديه متأدبين كما هو جاري العادة ، ويكون هذا الموقف إعزازاً لا إذلالاً ، ولا نتخذ كل وقت سوء الأدب إذلالاً ، لا زال مقامه كل وقت شريفاً ، وشرفه عالياً على كل شرف منيفاً ، وظلّه في الأفاق صافياً وريفاً ، وسعده وارداً ورائداً من الإقبال منهلاً وريفاً ، فلم نزل مقيمين هناك بذاك المكان إلى أن عاد السلطان من جُوب تلك البلدان ، وضرب له بظاهر تلك البلدة الخيام ، وكان ذلك أواخر شهر المحرم الحرام ، واستمر به المقام هناك ثلاثة أيام ، ثم عَن له الركوب من هناك في البحر المالح لما رأى في ذاك من المصالح ، فبطل أعمال الركائب وأعمل ركوب المراكب ، وعدى إلى القُسطنطينية محل تخت ملكه في القارب ، فما مضى ذلك اليوم وغده حتى ضمته سراياه وبلده ، ثم تلاحقت به العساكر تترا ، وتألفت<sup>(1)</sup> مسرعة براً وبحرا ، وكنا قد سئمنا هناك من المقام ، وإن لم يسأموا منا أهل [127أ] ذلك المقام ، وآل الإكرام منهم إلى الإبرام ، وإن لم نبلوا<sup>(2)</sup> من صحبتنا أقصى المرام ، فأجمعنا على الرحيل وأزمعنا ، ولم تك هناك الخيل معنا وليس ثمَّ محمل ولا مركب غير ما حملنا إليها من ذلك المركب المنسوب إلى الرئيس<sup>(3)</sup> لطفي ، وحاله في النذالة والسفاهة<sup>(4)</sup> غير مخفي ، وإلا المركب المنسوب لابنه ماميه ، ساق الله ما يستحقه إليه ، فأرسلنا وراءهما بسبب ذلك ، وذكرنا لهما ما هنالك ، وشرحنا لهما جليّة الخبر ، وقلنا : إن كنتم تهيأتم للسفر وإلا فهنا مراكب أخر ، وقصدنا تقريب<sup>(5)</sup> الرجعة والمضي إلى القُسطنطينية سرعة ، فقالوا : قد تكاملت أمورنا ولكن اصبروا علينا إلى يوم الجمعة ، فمضت الجمعة ولا حس ولا

(1) وردت في (م) : «وتتابعت» .

(2) وردت في (م) و (ع) : «نبلوا» .

(3) وردت في (ع) : «السيد» .

(4) وردت في (ع) : «الشقاوة» .

(5) وردت في (م) و (ع) : «بقريب» .

خبر، ولا عين لهما ولا أثر، ولا أسفر وجه واحد منهما<sup>(1)</sup> ولا حضر، ونحن في غاية القلق والضجر، فأرسلنا إليهما وأكدنا في الحضور عليهما فحضرا واعتذرا، وذكرنا أن السفر لا بدّ يوم<sup>(2)</sup> الاثنين، فجاء ذلك اليوم ولا عين [127ب] ولا خبر وليس إلا الكذب والمّين، ونحن نقول: هما أين؟ هما أين؟ فغضبنا من ذلك وحررنا، وأكدنا عليهما بسببه وشدّدنا، فحضرا وأجمعا ووعدا بأنّ السفر لا بدّ يوم الأربعاء، وأقسما على ذلك وتقطّعا، فحضر الأربعاء ولم يحضرا ولم يُشاهدا ولم يُنظرا<sup>(3)</sup> ولا خبر منهما ولا مخبر عنهما، فأيقنّا أن ليس واحد منهما مُسْلِماً<sup>(4)</sup>، ثم انقضى ذلك اليوم ومضى، ونحن نتقلّى على جمر الغضا، ونزج الغيظ بالرضى، وقد ضاق علينا ذلك الفضاء، وصار صبرنا كأمس مضي.

ومضت بعد ذلك مدّة، وأيام عدّة، ثم حضر أحدهما معتذراً، مستكيناً بما جرى مستغفراً، وعاهد ووعد وذكر بأن يوم الأحد ولا بدّ يكون السفر، فانتظر ذلك الأحد أحدًا انتظار، إلى أن وافى بوعده<sup>(5)</sup> ذلك النهار، ثم مضى يوم الأحد، ولم يحضر منهما أحد، ولا أنجز ما عاهد عليه ووعده، ثم حضرا بعد أيام، وقالوا: قد استحيينا منكم ونحن نصدقكما الكلام، فإنّ مركب لطفني لم [128أ] يتم، ومركب ماميه أشرف على التمام، ويكمل وسقه ولا بدّ يوم الخميس، (ويحصل من الكروب التنفيس)<sup>(6)</sup>، ويكون نزولكم فيه بخير يوم الجمعة وقت التّغليس، وأقسما على ذلك قسماً لا يفجر<sup>(7)</sup> من كان مسلماً، فارتجينا بذلك تنفيس الكروب، وقلنا قد يصدق الكذوب، فارتقبتنا ذلك رقبى الهلال، ولم نشكو في انتظاره من الكلال، فلم

(1) سقطت هذه الكلمة من (ع).

(2) وردت في (ع): «من».

(3) وردت في (ع): «ينكرا».

(4) سقطت هذه الكلمة من (ع).

(5) زيادة في (ع): «في».

(6) ما بين القوسين ساقط من (م) و (ع).

(7) وردت في (م): «يفجره».

نزل بذلك الحال حتى حلَّ ذلك الوقت وَحَالَ ، ومضى يوم الجمعة بالتمام والكمال ، وتصرّمت بعده عدّة ليال ، فتزايد الكرب ، وذاب من نار الانتظار القلب ، وضنى الجسد والفؤاد ، من خلف الميعاد بعد الميعاد ، فذكرنا<sup>(1)</sup> ذلك لقاضي البلد ، فأحضرهما وتوعد ، وأنكر عليهما وتهدد ، وبالغ في ذلك وشدّد ، وأبرق في إيعاده وأرعد ، فقالا : لا عذر لنا بعد اليوم ، ولا إنكار ولا لوم ، ويوم الثلاثاء من كل بدّ يركب القوم ، ويأخذ مركبنا في السير والعموم ، وحلّفا على ذلك وعاهدا ، وبالغا في أيمانهما وعهودهما وأكدا ، [128ب] فحضرنا يوم الثلاثاء يُحْتَنان في المسير احتشائاً ، ويُظْهَران أنهما لا يُبديان للعهد انتكاثا ، وقالا : لم يوافق هذا النهار ريع موافق ولا رُزْكار<sup>(2)</sup> ، وبعد يومين تنصلح الرياح غاية الانصلاح ، ويحصل رُزْكار موات<sup>(3)</sup> للروح ، وفي يوم السبت يكون السفر على البيت ، فجاء السبت وانصرم ، واتقدّ جمر<sup>(4)</sup> القلب واضطرم ، ثم مضى يوم الأحد ولم يحضر منهما أحد ، فلمّا كان ضحى يوم الاثنين حضر أحد الاثنين واعتذر بما لن ينفعه ، عذراً ما كان أصقعه<sup>(5)</sup> ، وقال : نرسل في الغد صندلاً<sup>(6)</sup> لنقل الأسباب والأمتعة ، فلم نصدقه من كثرة ما كذب ، وأقمنا جدّه مقام اللعب ، فلمّا انجلى<sup>(7)</sup> وجه الصباح وتهلّل ، ظهر لنا من بُعد ذلك الصندل<sup>(8)</sup> ، ففرحنا به فرحنا بالمواسم ، وانتظرنا وصوله للشعر وثرغ كلّ منا باسم ، وما علمنا أنّ هذا الفرح يعقبه بؤس ، وهذا البشر بديله عبوس ، فأتزلنا فيه في تلك الساعة

(1) وردت في (ع) : «فذكر» .

(2) رزكار وروزكار : كلمة تركية بمعنى ريع ورياح ، انظر : شمس الدين سامي : قاموس تركي ص 1317 .

(3) وردت في الأصل : «موافق» وما أثبتناه من (م) و (ع) .

(4) سقطت هذه الكلمة من الأصل .

(5) وردت في (ع) : «أضعفه» .

(6) الصندل : بمعنى زورق أو قارب صغير ، سُمّي بهذا الاسم لأنه كان يصنع من خشب الصندل . انظر :

شمس الدين سامي : قاموس تركي ص 833 .

(7) وردت في (م) و (ع) : «انحل» .

(8) وردت في الأصل : «هذا» .

الأسباب والامتعة والجماعة [129أ] على أننا نبكر لهم صباحاً ، ونركب معهم غدواً ورواحاً ، فأمطرت السماء تلك الليلة مطراً غزيراً ، صار منه الوادي غديراً ، واستمر يوم الأربعاء ثم ليلة الخميس معاً ، ثم أسفر وجه الخميس ووجه الجو في غاية التعبيس ، وعيون المزن ذارفة ، وسقف الأفق واكفة ، والقلوب من ذلك راجفة واجفة ، الى أن تعالى النهار ، وكاد جرف الصبر ينهار ، فكف حينئذ الويل ، وتنازل الى مرتبة الطل ، والشمس من خلل السحاب تظهر كالحسنة في النقب أو مثل عذراء تبرز وتستتر بالخباء ، أو كما قال الشريف ابن طباطبا : [من الوافر]

متى أبصرت شمساً تحت غيم  
ترى المرأة في كف الحسود  
يقابلها فيكسبها غشاً  
بأنفاس تزايد في الصعود<sup>(1)</sup>

فعزمتنا على الرحيل ، والتجول في برد الأصيل ، وخرجنا وقت العصر من تلك المدينة ، قاصدين في زعمنا الركوب في السفينة ، وذلك يوم ثامن عشرين صفر ختم بالخير والظفر ، وأخذنا في السير والترحال ، والقلب في غاية الأوجال من تلك الأوجال والأحوال ، فلما وصلنا إلى قرب [129ب] الساحل التي السفينة به ، تلقونا الجماعة<sup>(2)</sup> ، ومالوا بنا إلى قرية هناك بقره يقال لها ينكيجه باللغة الرومية ، ومعناه الجديدة بالتصغير في اللغة العربية ، وقالوا لنا : استريحوا هنا في هذا المكان ، وعرفنا الجماعة أنه كذب في قوله ومأن ، فنزلنا هناك ببيت عال من الدفوف ، متخرق الحيطان والسقوف ، تتناوح به رياح الجنوب والشمال ، من العلو والسفل واليمين والشمال ، فلم نزل بذلك المكان ثلاثة عشر يوماً ، لا نجد بالنهار راحة ولا نذوق بالليل نوماً ، ونحن في أسوء الأحوال ، وأشد الأوجال ، من تلك الأمطار والأوجال ، وقد اشتد البرد ، وبلغ الجد وفرغ الجهد ، ووقع الثلج على الجبال حوالينا ، ووصلت

(1) البيتان في محاضرات الأدباء 2 : 538 ، ومعاهد التنصيص 2 : 104 .

(2) وردت في (ع) : «تلقانا ماميه والجماعة» .

سهامه<sup>(1)</sup> إلينا ، وقلنا الحمد لله اللهم حوالينا ولا علينا ، وهذان النذلان يعدانا بمواعيدهما المعروفة ، ويجريان من الكذب على عوائدهما المألوفة ، ويعاهدان ثم يخلفان ، ويكذبان [130أ] فيما عليه يحلفان ، فلم تزل تلك دعواهم ، أضعف الله قواهم ، وضاعف بلواهم وأبعدهم وأخزاهم (وعاملهم بعدله وجزاهم)<sup>(2)</sup> ، فما أجرأهم على النفاق وأجراهم ، فبيننا أنا أقاسي من ذلك حزناً وحرماً ، وأتنفس الصّعداء غموراً وكرهاً ، وألاقي من تلك الأهوال وصبا ونصبا ، وأكاد أتميز غيظاً وغضباً (وقد بلغ السيل في الخالين الزبا)<sup>(3)</sup> ، وضاق الخناق ، واشتد الوثاق ، وتزايد الإغراق والإحراق ، وبلغ إلى حدٍّ لا يستطيع وصفه ولا يطاق ، فما راعني إلاّ البشري بوصول خيلنا ، وسوقها من فضل الله سوقاً لنا ، فاستخرت الله تعالى في السفر في البحر وصمّمت ، وعزمت عليه وعزّمت وجزمت ، وكان قد تنجّز أمر ماميه حقيقة في تلك الساعة ، وعزم على الركوب في سفينته السيّد ومن معه من الجماعة ، وعرض علينا ماميه الركوب فيها عرض الكرماء فأنشدته : [من البسيط]

ما أنت نوح فتنجيني سفينته  
ولا المسيح أنا أمشي على الماء<sup>(4)</sup>

وتما جرى على اللسان فيه وفي أبيه ما أنشدته على البديه ، وهو قولني [130ب] :  
[من الرّجز]

إن يقل المريض ثلث مـالي  
لا نذل النساء والرجال  
نصرفه في الحال إلى ماميه  
لكن أبوه يدعي عليه

(1) وردت في (ع) : «سمومه» .

(2) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

(3) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(4) ورد هذا البيت في رحلة الشتاء والصيف لكبيرت 132 ، وفيه أنّ الشاعر الحصري كتب هذا البيت

للمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وكان قد بعث إليه بنخمسمائة دينار يتجهز بها إليه .



يَقُولُ هَذَا خَلْقِي وَطَبِيعِي  
فَالْمَالُ أَسْتَحِقُّهُ بِالشَّرْعِ  
حِينَئِذٍ يَقُولُ مَامِيهِ لَه  
لَقَدْ خَبِرْتُ فِرْعَوْنَ وَأَصْلَهُ  
وَقَدْ حَوَيْتُ كَثْرَةَ وَقْلِهِ  
وَقَدْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ وَنَهَلَهُ  
وَقَدْ بَقِيَ لِي دَائِمًا جِبْلَةٌ  
وَخِصْلَةٌ طَبِيعِيَّةٌ وَخُلَّةٌ  
فَالْمَالُ أَسْتَحِقُّهُ مِنْ دُونِكَا  
فَلَا تَمْدُنْ إِلَيْهِ عَيْنُكَ  
فَمَعْنَدُ ذَا يَفْضُبُ لَطْفِي مِنْهُ  
وَلَمْ يَزَلْ مَعْنَفًا بِلَعْنِهِ  
يَقُولُ أَنْتَ غَاصِبٌ حَقُّوقِي  
فِي كُلِّ وَقْتٍ مَظْهَرًا عَقُّوقِي  
يَقُولُ مَامِيهِ إِذَا طَلَبْتَ  
حَقِّي فَمَا أَنْ لَكَ قَدْ عَقَقْتُ  
يَقُولُ لَطْفِي كَيْفَ قَلْتَ حَقِّي  
وَذَلِكَ الْوَصْفُ أَمْ خَلْقِي  
أَلَسْتُ مِنْ يَوْعَدُ ثُمَّ يَحْلِفُ  
خَمْسِينَ أَلْفَ قَسْمٍ وَيَخْلِفُ  
قَالَ ابْنُهُ لَقَدْ رَأَوْنِي أَكْذَبًا  
مِنْكَ بِإِجْمَاعِ وَالْعَنْ أَبَا [131] أ  
وَقَدْ تَرَكَيْتُ عَلَيْكَ الْحِجَّةَ  
وَوَظَّهَرْتَ مِنْهَا لِي الْحِجَّةَ  
إِنَّ الْعَقُّوقَ يَقْتَضِي اسْتِحْقَاقِي  
إِذْ هُوَ مِنْ نَدَاةِ الْفَسَّاقِ

فما ذكرته هو الدليلُ  
 قد قامَ لي عليك يا جهولُ  
 وأنت إن كذبت إذ واعدتاً<sup>(1)</sup>  
 فللذي فعلت ما وصلتنا  
 ألسنت قد نبذتُ بالعراء  
 السيّد الشريف ذا العلاء  
 عين الأمثال<sup>(2)</sup> ورأس الناس  
 عبد الرحيم السيّد العباس  
 مع كبر المقدار والسن ولم  
 أرع له الحقوق أصلاً والذم  
 ومعه ذاك الغريب الشّامي  
 مع أنه المفتي بأرض الشّام  
 فشاط لظفي عند ذا القول وقال  
 من بعد أن ألمه ذاك المقال  
 أليس تزعم بأنك ابني  
 فقد أخذت ذا الطباع عني  
 وقد نقلته جميعاً مني  
 فإنه قبلك كان فني  
 وثم عندي منه أصناف<sup>(3)</sup> آخر  
 وثم أوصاف لدي تُدخّر  
 وأنت لم تدر سوى ما قد ظهر  
 ولست تعلم الذي عندي<sup>(4)</sup> استتر [131ب]

(1) ورد صدر البيت في (م) : «وأنت إن كذبت في ما قلنا» ، وفي (ع) : «وعدتاً» .

(2) وردت في (م) : «الأكابر» .

(3) وردت في (م) : «أنواع» .

(4) وردت في (ع) : «عنك» .

وكنت قد نويت أنفـعك  
ببعض ما عندي ولست أمنعك  
فإن عندي منه ما لن يفرغـا  
قط وما بَلَغت هذا المبلغـا  
قال له ما مـيـه بل عرفتُ ما  
عندك باديا وما قد تكتـمـا  
ثم اكتسبت الضعف من سواكـا  
غير الذي اقترحتـه من ذاكـا  
فالآن قدري فيه فوق قدرك  
هذا وما بلغت نصف عمرك<sup>(1)</sup>  
فسل من الأندال عن مقـالي  
يعترفوا بالمقام العـالي  
فذل لطفي حين قال ذلك  
وصار وجهه كليل حالـك  
ثم أتاه بكلام حـسـن  
ويعقـال لين لا خـسـن  
وقال يا ابني يا أخا المـرـوة  
ويا أبا الرُجـلـة والفتـوة  
والقصـد بالمـرـوة النذالـة  
والقصـد بالفتـوة السفالـة  
قد فقت فيهما جميع الخلق  
وقد سلخت خلقي<sup>(2)</sup> وخلقـي  
فانت يا قـرـة عيني مني  
فقد تيقنت بأنك ابني

(1) في (م) : شطري البيت معكوسين .

(2) وردت في (ع) : «خلقتي» .

فاسمع<sup>(1)</sup> كلامي وارع لي تعليمي  
 وارفع مقامي واسع في تكريمي [132أ]  
 فقال : كلا لست أعطي حقي  
 أو بعضه لأحد في الخلق  
 وإن تكن أبي فمن كمال<sup>(2)</sup>  
 سفالتي منْعك من ذا المال  
 فعند ذا رفع كل أمره  
 لبعض من له بذاك خبره  
 قال هما كفرسي رهان  
 أو كشريكى شركة العنان  
 فإن هذين بلا محالة  
 رأسان قدوتان في النذالة  
 وإنني والله لست أعلم  
 أيهما في ذلك المقدم  
 إن قلت ماميه ففيها<sup>(3)</sup> أمة  
 أو قلت لظفي فهو نذل الأمة  
 فإن هذا الذل مع أصلته  
 أعظم حجة على سفالته  
 وذلك الجفاء من ماميه  
 نذالة ظاهرة عليّ  
 والصلح قالوا سيّد الأحكام  
 وهو اعتماد سائر الحكام

(1) وردت في (م) و (ع) : «فاعرف» .

(2) وردت في الأصل : «كمالي» .

(3) وردت في (م) : «ففيه» .

والرأي أن تصطلحا وتقسما  
جميع ذا الموصى به بينكما  
فأنتما أنذل هذي الأمة  
فافترقا على رضى بالقسمة

وبما قلته في لظفي العنيد ، ونحن في ذلك الحال الشديد ، [132ب] الذي ما عليه  
من مزيد : [من مجزوء الرمل]

عامل الله بعـذل  
أنذل الأقسوام لظفي  
وتولانا بفـضل  
وتلافانا بلطف

ثم ركبت من ذلك المكان ، أنا ومن معي من الصبيان ، وصحبنا معنا ما قل من  
الأمته ، وتركنا بقيتها في المركب مودعة ، وودعنا مولانا السابق في الذكر المتقدم  
بالذكر وداعاً استولى على القلب واستعلى على الفكر ، وفارقتة بالجسم والقلب له  
مصطحب ، وأنا ضاحك من ودع ذلك المحل ومن وداع ذلك الحال منتحب ، وتذكرت  
بوداع ذلك الصاحب الحبيب ، وداع كل صاحب وحبيب ، وبهذا الفراق والنأي  
القريب فراق كل ناء قريب ، وأنا أتمل بين نار قلب في نهاية الاضطرام ، وماء طرف  
منسجم غاية الانسجام ، وأتمثل بقول علي بن هشام : [من البسيط]

يا موقد النار يذكيها فيخمدُها  
قُسر الشتاء بأرواح وأمطار  
قم فاصطل النار من قلبي مضرمةً  
بالشوق من مهجتي يا موقد النار [133أ]  
ويا أخا الذود قد طال الظماء بها  
ما يعرف الرئي من جذب وإقتار

رُدُّ بِالْعَطَاشِ <sup>(1)</sup> عَلَى عَيْنِي وَمَخْجَرِهَا  
 تُرْوِي الْعَطَاشَ بَدْمَعٍ وَاكْفٍ جَارِي  
 يَا مُزْمِعَ الْبَيْنِ لَا كَانَ الرَّحِيلَ فَإِنْ  
 كَانَ الرَّحِيلَ فَإِنِّي غَيْرُ صَبَّارٍ  
 إِنْ غَابَ شَخْصُكَ عَنْ عَيْنِي فَلَمْ تَرَهُ  
 فَإِنْ ذَكَرَكَ مَقْرُونٍ بِإِضْمَارٍ <sup>(2)</sup>

### ذكر العود إلى القسطنطينية

#### وما جرى بعد ذلك من الأمور المرضية

وكان رحيلنا من ذلك المكان الذي مرَّ ذكره وتقدّم ، يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول المكرّم بمولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسرنا والسماء متسترة بأجنحة الفواخت ، والطرف من خوف ما يحصل من نؤها باهت ، ولم نزل نسير ونلتهم الأرض التهام الضمير ، ونرتبط بالجد ارتباط الفعل بالضمير ، ونجول في وداة وأشجار ، ونحوب في مياه كالأنهار ، إلى أن انهار جرف بناء ذلك النهار ، ونحن فصل السير بالشرى ، ونعاصي عاذل الكرى ، واليباب يخفضنا إلى بطون وهاده ، ويرفعنا إلى ظهور نجاده ، والليل قد أرفلنا في بجاده [133ب] وجللنا برداء سواده ، والقمر قد حجبه الغيم في أفقه ، فلم يظهر من غربه ولا شرقه ، وعَوَّضَ عنه بسناء برقه ، والرذاذ <sup>(3)</sup> يلطم الجباه ، ويهجم على العيون والأفواه ، وذيل الوحل على الأرض منسبل ، وستره على بطحائها منسدل ، (وسُلْطَانُ النوم عن الطرف ينعزل وعلى وصليه إلى المقل منفصل) <sup>(4)</sup> والإعمال في السير متصل ، وكل منا بحالة الخائف

(1) وردت في (ع) : «ردنا العطاش» .

(2) الأبيات في ربيع الأبرار 3 : 135 وكتاب الزهرة 1 : 320 بلا عزو ، وهي مما ينسب لمجنون ليلي . انظر :

ديوانه ص 97 .

(3) ترك مكان هذه الكلمة بياضاً في (ع) .

(4) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، وشطب في (م) .

الوجل ، إلى أن اهتدينا بعد أن كدنا نضل ، إلى المنزل المعروف بدل ، وهو منزل إلى جانب البحر بين تلال في مضيق ، ومنها يُنزل في المُعدية إلى قرب أزينق<sup>(1)</sup> فيقرب على الناس الطريق ، وبها عمارة لابن هرسك للقاطنين والواردين ، وعند المُعدية على الدرب خان للمسافرين ، وبظاهره عينٌ ماؤها معين ، يصب في حوض كبير لورود الواردين ، فترزنا بذلك الخان ، إلى أن أن وقت الفجر وحن ، ونحن لا نهجع ، ولا يستقر لنا مضجع ، ودمعنا ودمع الغمام ذارف ، وسقف الخان والسماء واكف ، فبتنا بليلة نابغية وأحزان يعقوبية وتصبرات أيوبية ، لا نجد [134أ] من تلك البأساء ملجأ ولا مقيلاً ، ونلقي من أعيننا وأعين المزن بالليل قبل النهار سباحاً<sup>(2)</sup> طويلاً ، فعندما تجلّى وجه السحر ، وذبح لضيف الصباح مطية الظلام ونحر ، خف القطر وقل ، وتنازل من الوبل إلى الطل ، فأخذنا في الترحال ، وركبنا متون تلك الأوحال ، وسمونا مع الماء سُمُو حبابه حالاً على حال . ولم نزل نقطع مهامه وقفار ، ونجوز في أودية كالبحار ، يتدهش بزعم فيها البصر ويحار ، إلى أن وصلنا إلى كيكشيزة<sup>(3)</sup> ضحوة النهار ، فما ملنا إلى النزول ولا عُجْنَا ، ولا عولنا على غير المسير ولا عرَجنا ، واستمر السير ذلك النهار جميعه والسحاب لا يكفكف دموعه ، والشمس متسترة بخدرها لا تبرح خوف ذلك الزلق من وكرها ، والأرض لا تثبت الرجل من كثرة الوحل على ظهرها ، وتلك الجياد ترسف فيه كالراسف في الأقياد ، وقد ضنى من ذلك القلب والفؤاد ، والثياب منقوشة بأيدي الخيل من العائق إلى الذيل ، ووافانا [134ب] (في

(1) أزينق : تقدّم التعريف بها ، وهي مدينة تركية قرب شواطئ بحر مرمرة الشرقية ، وهي مدينة أثرية ، كان اسمها في القدم «نيقية» ، وهي من فتوح السلطان أورخان غازي ، مرّ بها الرحالة المشهور بكبريت ، والرحالة الخياري (انظر : رحلة الشتاء والصيف 189 ، رحلة الخياري 1 : 235 ، أخبار الدول 3 : 306) .

(2) هكذا وردت في الأصل وفي (م) ، ووردت في (ع) : «شيتاً» .

(3) كيكشيزة : لم نهتد إلى تحديد موضعها ولعلها هي ذاتها قبيزة أو كبيزة التي ذكرها الرحالتان كبريت

والخياري . انظر : رحلة الشتاء والصيف 188 ، ورحلة الخياري 1 : 237 .

ذلك النهار<sup>(1)</sup> جماعة ممن كان صحبنا في الطريق ، ومن عدّ في ذلك الفريق ، وأتسم لنا بسمه الرفيق ، راجعاً كل منهم إلى بلده ، مؤملاً لقي أهله وولده ، فحملناهم أطيب السّلام إلى أحبّابنا بأرض الشّام ، وقد فنى القلب تحرقاً وثوب الصبر تمزقاً وتذكرنا مرارة الفراق<sup>(2)</sup> وحلاوة اللقاء ، فتزايد من الجوانح الالتهاب ، ومن الدموع الانسراب والانسكاب ، ولم يمكننا لهم إذ ذاك كتابة كتاب ، وتمثّلت بقول أبي حيان<sup>(3)</sup> بؤاه الله تعالى غرف الجنان : [من الخفيف]

لم أُوخِرَ عَمَّنْ أَحَبُّ كِتَابِي  
لِقَلْبِي فَبِيهِ أَوْ لِتَرْكِ هَوَاهُ  
غَيْرَ أَنِّي إِذَا كَتَبْتُ كِتَاباً  
غَلَبَ الدَّمْعُ مُقْلَتِي فَمَحَاهُ

وأنشدتهم والقلب في شغل شاغل ، والدمع من العينين سائل ، للصلاح الإربليّ نديم الملك الكامل<sup>(4)</sup> :

بِاللّهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُرْتَحِلُ  
بَلِّغْ عَنِّي أَحَبَّتِي مَا فَعَلُوا  
قَلِّ مَاتَ فَإِنْ قَالُوا مَتَى قَلِّ لَهُمْ  
مَنْ يَوْمَ فَرَاقِكُمْ أَتَاهُ الْأَجَلُ [135]

وأنشدتهم والفؤاد مُستعر ، والدمع مُنتشر ، وعلى الخدين<sup>(5)</sup> مُنتشر ، والقلب لا

(1) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

(2) وردت في (ع) : «الوالد» .

(3) هو محمد بن يوسف بن علي أبو حيان النحوي ، توفي سنة 745هـ وأبياته في نفع الطيب 2 : 571 ،

وتاج المفرّق 1 : 230 .

(4) البيتان في تاج المفرّق 2 : 134 .

(5) وردت في (ع) : «الخديد» .



يسكن ولا يقر ، لبعضهم : [من الخفيف]

أيها الراكب الميّم أَرْضِي  
بلغن بَغْضِي السُّلام لبَغْضِي  
إن جسمي كما تراه بأَرْضِي  
وفؤادي ومالكِيهِ بأَرْضِي  
قد قضى الله بَيْننا بفراق  
فَعَسَى باجتماعنا سَوْفَ يَقْضِي (1)

حَقَّق اللهُ رِجاءنا وتقبَّلَ دِعاءنا بِمنه وكرمه آمين .

ثمَّ فارقتهم والجوانح ملتهبة والدموع منسربة ، وأنا ألتفت إليهم مرّة بعد أخرى ، وأجرّ رجلي جرّاً وهلم جرا ، إلى أن غابوا عن البصر ، وعاد عيائهم إلى الأثر ، وحديثهم إلى الخبر ، ثمّ تذكّرت قدومهم إلى البلاد ، وإخبارهم عني عند سؤال الوالدة والأولاد ، فأنشدت : [من الطويل]

كأنني بأمي لا عدمت حنوها  
إذا جاء من أرضي إلى أرضها قفلاً  
يعممهم من نجوها كل ساعّة  
تسائلهم عني وعن حالتي الرسلُ  
يقولون أين البدر أين محلّه  
إلى ما انتهى لم لا أتى هل له شغل [135ب]  
أضامت به حال أطالت له يد  
أخبره نقص أقدمه فضلُ  
يقولون قد نال الأمانى جميعها  
وعمّا قليل سوف يجتمع الشملُ

(1) الأبيات موجودة في نفع الطيب 3 : 38 ، 54 وجذوة المقتبس 1 : 38 منسوبة لعبد الرحمن الداخل ،

وفي كتاب المغرب في حلى المغرب 1 : 103 منسوبة لمعاوية بن صالح القاضي .

وقد نشرت في الخافقين علومه  
ومقدارُ سما وقيمته تعلوا  
ناشدتهم بالله ألا صدقتم  
لدي أجد ما تقولون أم هزل<sup>(1)</sup>

ولم نزل نسير ، ونقطع حجة ذلك الوحل الكثير ، إلى أن حان وقت الأصيل ،  
فبدت الشمس مصفرة كلون العليل ، ونزل ذلك الوبل إلى مرتبة الطل ، وشمر قليلاً  
ذيله المهطل ، لكنه ما أهمل همله ولا أبطل ، ولا أنعزل عن عمله ولا تعطل ، ووصلنا  
إلى قرية القَرَطْل : [من الكامل]

والشَّمْسُ قَدْ مَدَّتْ أَدِيمَ شَعَاعِهَا  
فِي الْأَرْضِ تَجْنَحُ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَذْهَبِ  
خَلَّتَ الرَّذَاذُ بُرَادَةً مِنْ فِضَّةٍ  
قَدْ غُرِبَتْ مِنْ فَوْقِ نَظْعِ مُذْهَبِ<sup>(2)</sup>

والقَرَطْلُ قرية لطيفة ، تلاصق ساحل البحر ، وسيفه يضرب ماؤه في حيطانها ،  
ويدخل أحياناً إلى بعض بيوتها وأوطانها ، [136أ] وسكانها نصارى قد أكتسبوا ذلّة  
وصغاراً ، وألبسوا من هواء ذلك البحر نحولاً وصَفَّاراً ، وبها سمك كثير ، وخان متسع  
كبير ، وهو مُسْتَبَلٌ للمسافرين ، وبالقرب منه عين ماء معين ، وبظاها مزارع<sup>(3)</sup>  
وبساتين ، وقد مررت بها على بستان ذي فنون أفنان ، فحيّاني بوجه مشرق ، وحباني  
برداء مغدق ، وأنعشني بشذا رند معبق ، وأدهشني بأصوات أطيّار تنطق ، حتى كأن  
بكل عود عوداً يخفق : [من الطويل]

(1) من عبارة «ثم فارقتهم والجوانح ملتهبة» إلى هنا بياض في (ع) ، وكتبت هذه الأبيات على الهامش  
في (م) فذهب التصوير بغالبها .

(2) البيتان في نهاية الأرب 1 : 82 وجذوة المقتبس 1 : 273 منسوبة للأسعد بن بليطة .

(3) وردت في (ع) : «مراع» .

وما كنت أدري قبل ذلك والهوى  
فنون بأن الرّوض يهوى ويعشق<sup>(1)</sup>

فحرك سواكن أحزان ، وأثار كمانن أشجان ، وأذكرني بالأهل والأوطان ، فترادفت  
لي زفرات وحنين ، وتابعت مني عبرات وأنين ، وتمثلت بقول بعض المغرمين :

تالله لقد سمعتُ بالدوح أنين

ورقَاءَ تنادي بنحيب وحنين

الإلفُ مجاوري وهذا كلفي

ما حال<sup>(2)</sup> قرين قد نأى عنه قرين<sup>(3)</sup> [136ب]

ثم بتنا بذلك الخان ، والنوم لا تألفه العينان ، ولا يعرف طريقاً للأجفان ، والغرام  
للقلب مقلق ، والبكاء للكبد مفلق<sup>(4)</sup> ، ولواعج الجوانح مع وجود ذلك البرد تحرق ،  
وقد اجتمع هناك من أدمع العين والغمام نهر مغدق بل بحر مغرق ، وذلك الليل  
بأذيال الوجود متعلق ، ولعُهوده أن لا يفاجئه الصباح متوثق ، والصباح في نومه  
مستغرق ، أو مقيد في قعر سجن لا فاك له منه ولا مُطلق ، أو ميّت ثوى فحواه لحد<sup>(5)</sup>  
مطبق ضيق<sup>(6)</sup> ، ولم نزل نستشم رائحة أجناده<sup>(7)</sup> (ونستنشق ، ونسأل عنه)<sup>(8)</sup> كل  
مغرب ومشرق ، إلى أن سطع نوره المشرق ، وتهلل وجهه من المشرق ، ونحن نكذب

(1) البيت في تاج المفرق 1 : 216 بلا عزو .

(2) وردت في (ع) : «حان» .

(3) البيتان للضياء بن ملهم المقدسي موجودة في تاج المفرق 2 : 134 .

(4) وردت في (ع) : «مفلق» .

(5) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(6) سقطت هذه الكلمة من الأصل .

(7) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(8) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

ولا نصدق ، فحين ظهر دليله وبان ، وقام بوجوده البرهان ، ترحلنا من ذلك الخان ، وفارقنا ذلك المكان ، وسرنا نقتفي البيداء ، ونعتلي كل ثنية جرداء ، والشمس محجوبة عن الأبصار ، والمطر تجلبه إلى تلك الأمصار من جنود السحاب أنصار ، ومن [137أ] يعوث الرياح إعصار ، والنفوس منحصرة من ذلك غاية الانحصار ، فلما تعالى النهار ، انبثق ريق<sup>(1)</sup> بناء ذلك الغيم عن مائه وانهار ، وأرسل إلى الأرض مطراً كالأنهار ، فصير كل قرارة حفيراً ، وغادر كل ربوة غديراً ، وخط كل طريق خطأ ، وجعل كل جانب شطاً ، وكثرت بالأوحال الأوجال ، ولم يبق للنفوس في ميادين الصبر مجال ، ولم نزل نسير على تلك الأحوال ، وأكفنا مرفوعة بالدعاء والابتهاال ، إلى أن وصلنا بلدة أسكودار<sup>(2)</sup> وقت الزوال ، فذهب ذلك الكرب وزال ، ثم نزلنا في المعدية قاصدين المدينة العظمى قسطنطينية ، ولما (فرغنا من الأرض وصحوها ومسراها ومشاها)<sup>(3)</sup> وضمت إلينا تلك السفينة ودخلناها قلنا لمن معنا ﴿اركبوا فيها بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(4)</sup> فرحمنا الله بريح موافق مستقيم تسخر لنا به ذلك البحر ، فامتطينا بركوبها مطاه ، [137ب] وتذلل لنا فصفعنا بأجنحتها قفاه ، ولم تزل تسير بنا ونحن قعود ، وقد خدمتنا في هذه الخطرة السعود ، وأنجزت لنا ببلوغ المقصود الوعود ، فوصلنا أصيل ذلك اليوم إلى الساحل ، وانطوت بحمد الله شقة تلك المراحل .

ثم دخلنا المدينة ، وحصلت إن شاء الله تعالى الطمأنينة ، وكان استقرارنا بالمنزل الذي أفرده لنا السيد وتفضل ، وذلك النهار الذي هو يوم الخميس ثاني عشر الشهر قد تحوّل ، والليلة الذي هو مسفر عن يوم الجمعة قد عوّل ، والقلب يصبو لمنازله ولا كأول

(1) هكذا وردت في جميع النسخ ولعل صوابها «رتق» .

(2) تقدم التعريف بها ، وهي مدينة كبيرة على بحر مرمرية ، وهي أحد أقسام (أحياء) مدينة القسطنطينية ، وكانت مركزاً هاماً من مراكز التصوف في الدولة العثمانية (رحلة الشتاء والصيف

187 ، رحلة الخياري 1 : 239 ، المنح الرحمانية 155) .

(3) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، وكتب في (م) على الهامش .

(4) سورة هود آية 41 .

منزل ، ويحنّ لأحبابه ولا كالحبيب الأوّل ، وأقمت بذلك المنزل وتلك الدار ستة عشر يوماً لا يقرّ لي من البعاد قرار ، ولا أجد جلدأً ولا أطيق اصطباراً ، ولا أطعم النوم إلاّ غرارا ، وقد وهيت من فراق على فراق بداهية دهيا ، وبقيت لا مبيّتا مع الأموات ولا حيّاً مع الأحياء ، وكلما [138أ] تمثّلت لتلك المعاهد ، وسألت عن تلك الموارد ، لا أجدها إلاّ صمّاً عمياً ، فلم أزل أبتّاح في تلك المنازل ، وأتجرع غصص المنايا من خطب البين النازل : [من الطويل]

وأنتسم نواسم تلك المعالم  
 فيفوح لي كالعنبر المتنفّس  
 ونمشي حفاة في ذراها تأديباً  
 نرى أننا نمشي بوادٍ مقدّس<sup>(1)</sup>

وقد تزايد الشوق وربا ، وزاد القلب هموماً وكربا ، وأثار فيه حربا زبوناً وحرباً ، وتطايرت من نيران القلوب زفراته شرراً ولهباً ، واعتلت من محاني الضلوع على الربا ، وبلغ سيل العيون من محاجرها الزبياً ، وكلّ حسام الصبر ونبا ، وعثر جواد الاحتمال وكبا ، وأنا مع كل ذلك أستخبر عن أخبار ذلك الحبيب ولا خبر ولا نبأ ، وقد طال الليل وأظلم واحلّولك ولا نوم ، وشابهه في نعته ما بعده من اليوم : [من الطويل]

فلم أر أنساً قبّله عادٍ وحشّة  
 ويردأ على الأحشاء عادَ غليلاً [138ب]  
 ومَن تكّ أيام السُرورِ قصيرةً  
 به كان ليل الحُزنِ منه طويلاً<sup>(2)</sup>  
 وأنشد قول القائل مترجياً : [من الكامل]  
 ولربّ نازلة يضيق لها الفتى  
 ذرعاً وعند الله منها المخرجُ

(1) البيتان في تاج المفرّق 2 : 92 بلا عزو .

(2) هذان البيتان لابن خفّاجة : الديوان 213 وفي نفع الطيب 4 : 107 ، تاج المفرّق 2 : 91 .

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا  
فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ<sup>(1)</sup>

فما راعني إلا دخول البشير عليّ بقدمه ، ثم اجتلاء طلعتة الشريفة مع تسليمه ، فتلاقينا بالتحية وتلافينا ، وبكيننا حتى انكبينا ، ووالينا الحمد لله تعالى وأثنينا ، وكم من نعمة لله تعالى علينا ، فدنا الأنس ، وانشرحت النفس ، ونُسخ باليوم ما وقع بالأمس ، وأخذنا تتفاوض مفاوضة الأصدقاء ، وتحدثت عن أخبار ذلك السفر وأثار أولئك الرفقاء ، ولا تسل عن حسن هذا الاجتماع وأنس هذا اللقاء : [من الطويل]

حديث تخال الروح عند سماعه  
لما هَزَّ من أعطافه تترنح<sup>(2)</sup>

فكان بذلك لنوم عيني سبيل ، وعهدي بالنوم عهد طويل ، وهو في الحقيقة [139] لم يفارقني بل هو في كل حالة مرافق ، وليس تألم القلب لمفارقتة له وإنما هو لتألم الأجساد ، فإنه وإن نزع عن العين ما برح في الفؤاد ، فهو في الحقيقة لم يخرج عن شعار أجداده وهو السواد : [من الوافر]

حضرت فكنت في بصري مقيماً  
وغبت فكنت في أقصى فؤادي  
وما شطّط بنا دارٌ ولكن  
نقلت من السواد إلى السواد<sup>(3)</sup>

(1) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي وموجودة في : معجم الأدباء 1 : 46 ، وفيات الأعيان 1 : 187 .

وهي أيضاً مما ينسب للإمام الشافعي . انظر : ديوانه ص 24 .

(2) البيت في تاج المفرق 2 : 116 وفيه : «من أعطافه تتقصف» .

(3) البيتان في تاج المفرق 1 : 205 منسوبة لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر البغدادي الواعظ .

وما زلنا بذلك نجتلي أنوار المحاضرة ، ونجتني نوار المذاكرة ، وثلتقط نشير<sup>(1)</sup> لآلىء الفوائد ، وننظم عقود المقاطيع والقصائد ، ونرد من العلوم أجلّ المصادر وأعذب الموارد ، ونوالي أهل الولا ، ونختص بذوي السؤود والعلا ، ويتردد إلينا للانتفاع جماعة من الفضلاء ، ولنشير إلى ذكر جماعة أيضاً ممن اجتمعنا به أو اجتمع علينا في مدينة قُسْطَنْطِينِيَّة أم الممالك الرُومِيَّة وتخت سلطنة الممالك الإسلاميَّة ، وكذلك في الرحلة الأزنكميدية .

فأولهم وأولاهم ، وأعلمهم وأعلاهم ، الشيخ الأوحّد ، والإمام الأمجّد [139ب] المعروف بحاجي جلبي (عبد الرحيم بن علي)<sup>(2)</sup> ابن المؤيد . وقد قدّمنا بعض ترجمته وذكر محبته وأخوته ومودته ، وقد حصل لي منه قبول تام ، وكنت عنده بمقام سام ، يسمّني بالعالم المدقّق ، والعارف المحقّق ، وقد استفدتُ منه واستفادَ منّي ، وأخذتُ عنه وأخذَ عني ، واستجزته لولدي أحمد ولن سيحدّث لي من الأولاد ، ويوجد على مذهب من يرى ذلك ، ويسلك هذه المسالك . فمما أخذ عني مؤلّفي المسمّى بـ «الزبدة في شرح البردة» ، و «تفسير آية الكرسي» ، وبحث وتحقيق أوضحته في معنى الكلام النفسي ، وقصيدتي القافية القافية ، التي هي ببعض مناقب شيخ الإسلام وافية ، وقصيدتي الخائية المعجمة ، وحل بعض طلاسم الكنوز المعظمة ، وأنّ كتابه خلاقٌ عليم ، وحملها ينفع لدفع الطاعون ، وأنه مجرّب كما رواه لنا الأئمة الواعون ، وأنشدته لنفسي [140أ] : [من السريع]

من رام أن يبلغ أقصى المنى  
في الحشر مع تقصيره في القرب  
فليخلص الحب لمولى الورى  
والمصطفى فالمرء مع من أحب<sup>(3)</sup>

(1) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(2) سقط الاسم من الأصل ، وتقدّمت الإشارة إليه في مطلع الرحلة . وجلّ هذه الترجمة مثبت في الكواكب السائرة 2 : 166 .

(3) البيتان في الكواكب السائرة 2 : 166 .

ولشيخ الإسلام رضي الله عنه :

إن تكن عن حال الذين اجتنباهم  
رهم عاجزاً وتطلب قريبا  
حباً مولاك والذين اصطفاهم  
تبق معهم فالمرء مع من أحبباً

وبما أفادني إياه نقلاً عن بعض العارفين أن الإنسان إذا قال «رَبَّنَا» خمس مرّات ودعا أستجيب له ، واحتج بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾<sup>(1)</sup> إلى قوله : ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾<sup>(2)</sup> فاستحضرت في الحال دليلاً آخر ببركته ، وهو قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾<sup>(3)</sup> إلى قوله : ﴿رَبَّنَا وَأَتْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ [140ب] الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(4)</sup> ، وهي تمام الخمس ، ثم عقبها بقوله : ﴿فَاسْتَجِبْ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾<sup>(5)</sup> فسرّ بذلك كثيراً وشكر ودعا .

ومنهم ولده العلامة المحقق ، والفهامة المدقق ، الرافع قواعد هذا البيت والمؤسس ، ملا عليّ جلبي<sup>(6)</sup> المدرّس ، فرع الأصل العزيز ، وطبع الأدب المحجل أسلاك الدرر وسبائك الإبريز ، المُعترف له في ميدان البلاغة فرسان البراعة بالسبق والتبريز ، أحد المشيخة الذين تفرط بحلى أنبائهم كل أذن مصيخة ، فترسّخوا للعلل وتوشّحوا بغر الحلا ، وكرعوا في بحر علم لا يكدره الدلا ، لم يزل متحلياً من الشيم الفاضليّة

(1) سورة إبراهيم آية 37 .

(2) سورة إبراهيم آية 40- 41 .

(3) سورة آل عمران آية 191 .

(4) سورة آل عمران آية 194 .

(5) سورة آل عمران آية 195 .

(6) توفي سنة 944هـ ، وترجمته في الشقائق النعمانية 294 .



متجلياً في سعودها الشارقة<sup>(1)</sup> بداراً مُتخلياً عن كل ما يعقب الإقبال على السعادات إداراً ، متنسماً من ذروة مراتب الصفات وصفات المراتب أحصاها منالاً وأسماءها مناراً ، متبسماً من أخلاق المجد ومجد الأخلاق أزهرها نضارة وأنضرها إزهاراً [141أ] متنسماً من رياح الأريحية نفحة طيبة ونسيماً معطاراً ، (أحضره والده لدي ، فسلم عليّ وتودّد إليّ ، وصار بيننا وبينه أكد صُحبة وأشدّ محبة)<sup>(2)</sup> .

ومنهم أخوه الشّاب النجيب ، والفاضل الأريب ، الواصلُ إلى رتبة النهاية في المبادئ ، والفاثق بفضلُه الحاضر من أقرانه والبادي ، سيدي أبو الهدى عبد الهادي ، شاب نشأ في عبادة الله ، وراعى في صغره من الهدى والهدى أباه ، اختطفته يد المنية في صباه ، ودعاه ربه إلى جواره فلبّاه ، فمات بالطّاعون شهيداً في صفر الخير سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ، ونحن إذ ذاك ببلدة أزنكميد ، رحمه الله تعالى ، وكان قد جمعه أبوه عليّ ، وأمره بالتردد إليّ ، وحضر مجلسي عند أبيه ، وسمع ما صدر مني من البحث فيه<sup>(3)</sup> .

ومنهم أخوه أيضاً الطفل الزكيّ والشّاب الذكي ، الموسوم بسمة الولاية ، والملخوظ [141ب] بعين العناية ، ذو الأنس الظاهر ، والخلق الطاهر ، محيي الدّين عبد القادر ، أحضره والده إليّ ، وأمره بالثول للاستفادة بين يديّ ، أنشأه الله تعالى نشوءاً صالحاً ، وجعله من متاجر الخيرات رابحاً بمنّه وكرمه<sup>(4)</sup> .

ومنهم الشيخ الإمام العلامّة القدوة العمدة الفهامة ، فرع الحسب الصميم ، ونبع الأصل الكريم ، وطبع الفضل العميم ، وطوع الخلق العظيم ، قدوة الأئمة ، وواحد أسانيد الأمة ، قاضي القضاة ، وإمام الفقهاء والنُحاة ، وربّ العقل الوافر والحصاة ، روض العلم الوارف الظلال والفيء ، والوافر الربيع والري ، قاضي أماسية وما معها

(1) وردت في (ع) : «شعورها الشارقة» .

(2) ما بين القوسين شطب في (م) وسقط من (ع) .

(3) سقطت هذه الترجمة من (م) و (ع) .

(4) سقطت هذه الترجمة من (م) و (ع) .

القاضي عبد الحيّ ابن أخي حاجي جلبي<sup>(1)</sup> المشار إليه ، أفاض الله نعمه عليه ، اجتمع بي وبوالدي بالشّام عند قدومه إليها قاصداً بيت الله الحرام ، فصار بيننا وبينه صحبة ومودة ومحبة<sup>(2)</sup> .

ومنهم الفاضل اللبيب ، والعالم الأريب ، الباسق في شجرة كريمة الأعراق ، [142أ] ساطعة الإشراق ، طيبة الأثمار والإيراق ، محرزاً في ميدان طهارة الأردن قصب السباق ، متميّزاً في عنفوان الشباب بحُسن الخلق وإحسان الأخلاق ، ابن قاضي العسكر الإمام عبد الرّحمن أخي حاجي جلبي أيضاً المسمّى هو بعبد الرّزاق ، انقصف غُضْر أجله في ريعانه ، وكبا جواد أمله في ميدانه ، فلبّى داعي ربه إذ دعاه ، وأجاب ندائه مسارعاً للقياه ؛ فمات شهيداً بالطّاعون في شهر صفر المذكور قبل ابن عمّه المشار إليه بأيام ، رحمه الله ، وكان قد اجتمع بي مُسلّماً ، وأخذ عني متفهماً<sup>(3)</sup> .

ومنهم المقرّ العالِي الكريم ، والجناب السامي الجسيم ، المولوي الإمامي العالِي العلامِي زين ممالك الإسلام ، وحسنة الليالي والأيام ، ورجل الكمال والكلام ، وحامل فخر الأقلام ، ولواء الشرع المنيف والأحكام ، ونجل الشراة الأعلام ، غرة الزمن البهيم ، وبورد الآمال الهيبم ، الفائق بدر علمه وكلمه على الدارين ، قاضي قضاة [142ب] العساكر المنصورة الرّوم إيليه محيي الدّين بن الفنّاري<sup>(4)</sup> .

ومنهم المقرّ الكريم العالِي ، الجامع أشتات المعالِي ، حسنة الأيام والليالي ، علّامة الزمان ، ووحيد الأقران ، والمشار إليه بالبنان والبيان ، زين الأكابر والأماثل ، ورأس الأعيان الأفاضل ، ومقصد التلمّس والسائل ، ومحطّ رجل أمل الأمل ، ومغيث الفقراء واليتامى والأرامل ، ذو السيرة الحسنة المشكورة ، قادري جلبي<sup>(5)</sup> قاضي قضاة

(1) هو عبد الحي بن عبد الكرم بن علي ، انظر ترجمته في الشقائق النعمانية 304-

(2) سقطت هذه الترجمة من (م) و (ع) .

(3) سقطت هذه الترجمة من (م) و (ع) .

(4) هو محمد بن علي بن يوسف الفنّاري ، توفي سنة 954هـ ، وترجمته الوافية في الشقائق النعمانية

229- ، والكواكب السائرة 2 : 52 ، شذرات الذهب 10 : 437 . وهذه الترجمة ساقطة من (م) و (ع) .

(5) توفي سنة 955هـ ، وترجمته الوافية في الشقائق النعمانية 264-

العساكر الأناطولية المنصورة، أدام الله بهجة الدنيا ببهجة سُلطانهِ ، ووالى تهديد ربوعه وتشبيد أركانه ، وضاعف السعد في أمره وشأنه ، قد اعتنى بأمرى غاية العناية ، وحصل منه كل تعظيم ورعاية ، وقررنى في تدريس حسن جليل نفيس ، ابتداءً منه من غير سؤال ، ولا طلب ولا التماس بحال ، هذا مع نزر اجتماعي عليه وعدم ملازمتي له [143أ] وقلة ترددي إليه ، وإنما كان كلام الباشا معه بسببي وتحريضه عليه بما يتعلق بى بسبب كتابة براءات بتجديد ما بيدي من الجهات وشؤون أخرى لا تبرز ، وقد انقضى كل منها بحمد الله وتنجز<sup>(1)</sup> .

ومنهم قاضي قضاة المسلمين وأولى ولاة الموحدين ، وينوع العلم واليقين ، العادل العدل في أحكامه ، والجزل في إقدامه ، والمراقب لله في فعله وكلامه ، عين إنسان الزمان ، وإنسان عين البيان ، قاضي القُسطنطينية سَعدي بن عيسى بن أمير خان<sup>(2)</sup> ، ما قرن به فاضل في الرُوم إلا رجحه ، ولا ألقى إليه مُبهم من العلم إلا كشفه وأوضحه ، له صادقات عزائم ، لا تأخذ في الله لومة لائم ، إلى عفة ونزاهة وإيابة ، وهمّة عليّة وصيانة ، وطلاقة وجه وبشرة ، وناء جميل يتصوّع نشره ، مع خلق وضيّ وخلق رضي :

يقــــابـلنـي له خلق وضي

لصـدق بشـره خلق رضي<sup>(3)</sup>

مع إجلال [143ب] وتعظيم ، ومبالغة في التكريم ، واعتراف بالفضل الجسيم ، عامله الله بفضله ولطفه العميم<sup>(4)</sup> .

(1) سقطت هذه الترجمة من (م) و (ع) .

(2) توفي سنة 945هـ وترجمته في الكواكب السائرة 2 : 236- وفيه : عيسى بن أمير خان المعروف بسعدي جلبي ، والشقائق النعمانية 265 وفيه : سعد الله بن عيسى ، وشذرات الذهب 10 : 373 وفيه : عيسى بن أمير خان .

(3) البيت في تاج المفرق 1 : 177 .

(4) سقطت هذه الترجمة من (م) و (ع) .

ومنهم الشيخ العَلامة والقُدوة الفَهامة ، والإمام الأَوحَد ، والهَمَام الأَمجد ، مولانا خِجَا جَلبي بن مولانا محيي الدِّين محمد ، أحد المدرسين الثمانية ، ذو هَمَة عَليَة ، وفطنة أَلعيَة ، ووقار ما مثله وقار ، ومآثر كأنها عَلمٌ في رأسه نار ، ومفاخر طوالعُها صبح ونهار ، وسجايا عريقة المجد ماجد الأعراف ، خليقة بالحمد حميدة الأخلاق ، قد سقت العلوم زلالها ، ومدّت عليه ظلالها ، وأحلتها الجلالة جلالها ، وسقته الأصالة عذبها وسلسالها ، فعلا قدراً ، ولاح في سماء السناء بدرأ ، وصار لأولئك الصدور صدرأ ، وقع بيني وبينه بحث في أن النعت في قوله تعالى ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْجُوعِ﴾<sup>(1)</sup> متعلّق بطعام أو بضريع فهو مال ، وأنا قلت : متعلّق بضريع ، وذكر كل منا حجّته في ذلك ، ثم أوردت عليه ظاهر الحصر منّا مع أنه طعامهم الرُّقُوم ، وهو [144] غير الضريع ، وشرابهم الحميم ، فأجاب بأن ذلك يختلف بتعدد الأشخاص ، واعترضت ...<sup>(2)</sup> في الصفوة فإنه جزم بها مكسورة الصاد لا غير ، فقلت له بل هي مثلثة الصاد ، وبيننا وبينه محبة وصحبة ، وهو يتأدّب معي كثيراً ، ويجلّني إجلالاً كبيراً ، وهو صهر مولانا حاجي جلبي أخو زوجته الكبرى ، وهي أم ولده الكبير<sup>(3)</sup> .

ومنهم الإمام العالم العَامِل ، والهَمَام الأَمجد الكامل ، القُدوة الأَمة ، وأحد أئمة الأَمة ، ذو المناقب الرضيّة المرضيّة ، والأخلاق الزكية ، الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد شمس الدِّين شمسي جلبي أحد مدرسي الثمانية<sup>(4)</sup> ، بيننا وبينه محبة وصحبة ، ومصافاة ومُوافاة ، وذكر لي أن سنّه دون الخمسين سنة ، مع أنه نقي الشيبة ذو شيبة حسنة ، وأنشدته بحضرة مولانا حاجي جلبي لشيخ الإسلام تقي الدِّين بن دقيق العيد بسندي إليه قوله : [من الطويل]

(1) سورة الغاشية آية 7 .

(2) كذا وجدته بياضاً في الأصل .

(3) سقطت هذه الترجمة من (م) و (ع) .

(4) تقدّم التعريف بها ، وهي مجموعة المدارس التي بناها السلطان محمد الثاني وألحقها بمسجده (المنح

وددتُ بأن الشَّيْبَ عاجِلَ المنى  
 وقربُ من عهد الشباب مزارَةٌ [144أب]  
 لأكسب من عصر الشباب نشاطه  
 وأكسب من عصر المشيب وقاره<sup>(1)</sup>

فَسُرُّ بِذَلِكَ وَابْتَهَجَ وَاسْتَبَشَرَ ، وَحَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَشَكَرَ<sup>(2)</sup> .  
 وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَالِمُ ، الْأَوْحَدُ الْكَامِلُ ، الْخَيْرُ الْجَيِّدُ ، الْمُقَرَّرُ الْمَجُودُ ، الشَّيْخُ  
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَلَبِيِّ الْأَصْلَ ، ثُمَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّ<sup>(3)</sup> الْخَطِيبَ وَالْإِمَامَ  
 بِجَامِعِ الْمَرْحُومِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ ، اجْتَمَعَ بِي مَرَّاتٍ وَتَوَدَّدَ ، وَصَارَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ مَوَدَّةٍ  
 وَأَوْكَدَ ، وَأَعَارَنِي مِنْ كَتَبِهِ عِدَّةَ أَيَّامٍ تَأَلَّفَ مَا أَلْفَتْهُ بِيَلَادِ الرُّومِ كَتَفْسِيرِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ  
 وَشَرْحِ الْبُرْذَةِ ، وَاللَّهِ يَعَامِلُنَا وَإِيَاهُ وَالْمُسْلِمِينَ بِلُطْفِهِ الْخَفِيِّ وَبِرِهِ الْخَفِيِّ وَجُودِهِ الْوَفِيِّ بِمَنْ  
 وَكْرَمِهِ آمِينَ .

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ النَّبِيلُ الْوَقُورُ ، الْمُنْسُوبُ لِلْعِلْمِ ، وَالْمُوسَمُ بِالْحِلْمِ ، وَالْمَعْدُودُ مِنْ ذَوِي  
 الْعَقْلِ وَالْحِصَاةِ ، وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي أَعْيَانِ الْقَضَاةِ ، قَاضِي الْمَنْزِلَةِ ثُمَّ الْخَانِكَةِ ، فَتَحَ اللَّهُ  
 صَحْبَتَنَا مِنْ حَلَبٍ إِلَى الرُّومِ ، وَتَكَلَّمْنَا مَعَهُ فِي بَعْضِ الْعُلُومِ ، وَصَارَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ [145أ]  
 مَوَادَّةٌ وَمَجَامَلَةٌ ، وَمَصَادَقَةٌ وَمُخَالَاةٌ ، وَمَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ لَبَسَ الْوَشَقَ ؛ فَأَجَبْتَهُ بِأَنَّهُ  
 كَالسَّمُورِ ، وَالْقَوْلُ بِالْحَلِّ هُوَ الْمَعْتَمَدُ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ ، وَبَحِثْتُ مَعَهُ فِي وَجْهِ<sup>(4)</sup>  
 ذَلِكَ بِمَا لَا يَسَعُ هَذَا الْكِتَابَ ذِكْرَهُ ، وَسَأَوْضِحُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ،  
 فِي الرِّسَالَةِ الَّتِي أَفْرَدْتُهَا لِلْكَلامِ فِي ذَلِكَ وَشَرَعْتُ فِي تَأْلِيفِهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْدِرُ  
 إِتْمَامَهَا وَالنَّفْعَ بِهَا .

(1) البيتان في : فوات الوفيات 3 : 445 وفي رفع الحجب المستورة 1 : 198 بلا عزو .

(2) سقطت هذه الترجمة من (م) و (ع) .

(3) توفي سنة 956هـ ، وترجمته في الكواكب السائرة 2 : 77 ، والشقائق النعمانية 295- ، وشذرات

الذهب 10 : 444 .

(4) وردت في (ع) : «فروع» .

ومنهم الشيخ الأوحى ، والأصيل الأمجد ، ذو البيت<sup>(1)</sup> الذي طارت مناقب نزاهته كل مطار ، وانتظمت أسلاك أصلته في أجيادِ الأسطار ، وسرّتْ نسمات فضيلته سرى نسمات باسمات الأزهار ، وهمت سحب سماحته كالغيث المذرار ، فسما في سماء المجد علماً راسخ القواعد ، مشار إليه من كل غائب وشاهد ، حيناً للصلة وأونة للعابد ، تصطفيه الرُتب العلية السُّنية ، وتتنافس<sup>(2)</sup> فيه الخطط الشرعية السُّنية ، [145ب] فطوراً مقدماً في أندية الأمراء والأعيان ، وتارة صدرأً في قُضاة العدل والإحسان ، القضاة الكمال التّادفي<sup>(3)</sup> قاضي حَلَب ثم مَكَّة . كان صحبني من حَلَب إلى البلاد الرُّومية ، فأسفر عن أعذب أخلاق ، وأكرم أعراق ، وأحسن طوية ، وأنشدني من<sup>(4)</sup> نظمه قصيدة تائيّة ، ومقامه أكبر من الشعر ، وأعلى في القيمة وأعلى في السعر .

ومنهم الشيخ النبيل ، والفاضل الأصيل ، فخر النبلاء ، وأوحد الفضلاء ، القليل الأنظار والأشياء ، قاضي أزنكميد محيي الدّين محمد ابن قاضيها لطف الله ، حضر لدينا ببلده للسلام ، ثم أرسل هدية من الدجاج والفاكهة والأغنام . وبعث إلينا ألغازاً فقهيةً وغيرها رأها في كتاب عنده ولم يدر ما هي فحللناها له وأجبناه عنها .  
ومنهم الشاب النير ، الدّين الخير ، الصّالح الذكي ، الفاضل الزكي ، اللطيف الذات والطبّاع ، المباين بحسن الأخلاق أهل [146أ] تلك البقاع ، عين الأزام والأصحاب (الحاج مصلح الدّين لطفى بن الحاج)<sup>(5)</sup> محمد الأزنكميدي الشهير بابن القصاب . من أعيان بلدة أزنكميد وكبارها وموسريها ورؤسائها وتجارها ، أقمنا عنده

(1) في الكواكب والشذرات : «النسب» .

(2) في الكواكب والشذرات : «وتستأنس به» .

(3) تقدّمت الإشارة إليه في مطلع الرحلة . وهو : محمد بن يوسف بن عبد الرحمن كمال الدّين أبو اللطف ، توفي سنة 956هـ ، وجلّ هذه الترجمة أثبتها نجل صاحب الرحلة في الكواكب السائرة 2 :

63- ، وانظر : شذرات الذهب 10 : 449 ، إعلام النبلاء 5 : 523 .

(4) وردت في (ع) مصحفة : «وأسدى في» .

(5) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

ببيته<sup>(1)</sup> ببلدة أزنكميد في عيش رغيد، وإكرام ما عليه من مزيد، كما تقدّم ذكر ذلك مع ما اتفق لنا هنالك، وقد أخذ عني وسمع مني وقرأ عليّ حديث رؤيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملكين وإسرائيلهما به، ورؤيته لإبراهيم الخليل عليه السلام، ومالك خازن النار عليه السلام، وأصحاب التنور، والسايح في البحر، وما مع ذلك الحديث المشهور بطوله وبعض كتابي «الزبدة في شرح البردة» وبعض شرحي المنظوم على «الألفية» وغير ذلك، واستجازني بما يجوز لي وعني روايته له ولأولاده الثلاثة عبد الكريم المراهق وعبد اللطيف السداسي وعبد المطلب الثلاثي، ثم اجتمع بي في القُسطنطينية عند رحلته إليها للملازمة، والله تعالى يرزقنا وإياه حسن الخاتمة بمنه [146ب] وكرمه أمين .

ومنهم الشيخ الجليل الكبير النبيل المتخشع الخاضع المتواضع الشهير<sup>(2)</sup> بالدين والخير، السائر بين أمثاله أحسن سير، شيخ محمد المتوليّ بعمارة<sup>(3)</sup> السلطان سليم خان، تغمّده الله بالرحمة والرضوان، وهو قرابة شيخ كمال ناظر النظّار بالشّام كان، سلم مرّات متواضعاً وملتمساً للبركة والدعاء، وأضافني إلى منزله واحتفل فيما هيته من مأكله، وأحضر ابنه وولديّ كمال<sup>(4)</sup> وهما محمد وجمال للسلام عليّ والمثول بين يدي، والله تعالى يُصلح الأحوال ويوفّقنا لما يحب في الحال والمال بمنه وكرمه أمين .

ومنهم الشيخ العالم، المواظب على الخير والملازم، العالم الأريب، البليغ الأديب، الفصيح الخطيب، المتوليّ خطابة العمارة المذكورة، وخوجا باش الينكجيرية المنصورة، رجل لطيف الذات، كامل الأذوات، مشتهر بعلمه وفضله، ذو رغبة في الخير وأهله، وبينني وبينه أكدّ صحبة [147أ] وأشدّ محبة، والله تعالى يعاملنا وإياه والمسلمين بخفي لطفه ووفي كرمه أمين .

ومنهم الشيخ الأجد، والفاضل الأوحّد، والحافظ للقرآن المجيد، والمقرئ بالإتقان

(1) وردت في (ع) مصحّفة : «سنة» .

(2) وردت في (م) : «المشتهر» .

(3) وردت في (ع) : «بعهد» .

(4) وردت في (ع) : «واحضر ولديّ ابنه كمال . . .» والصواب ما أثبتناه .

والتجويد ، يوسف سِنَانِ جَلْبِي بن عبد الله ، سار مخفِل (1) بعمارة السُلطان سليم شاه المشار إليها أعلاه . رجل مشتهر بالديانة والعفة والأمانة والقراءة الحسنة والطريقة المستحسنة ، محب لنا مصافي ، مكافيء بالخير وموافي . في غاية اللطف والحسن (2) والمروءة وعلو الهمة ، والله تعالى يغمرنا وإياه والمسلمين بالمغفرة والرحمة أمين .  
 ومنهم الشيخ العَلامة ، والقُدوة الفَهامة المشهور بالفضل (3) ، والمشتهر بالعلم والعقل ، البالغ في فضائله الثُرَيَّا ، والراقي في فضائله مقاماً علياً ، الشيخ شمس الدِّين محمد المصري (4) الشهير بمهياً ، حضر لديّ وسلّم عليّ وتودّد في سلامه ، وتلطف في مخاطبته وكلامه ، والله تعالى يبلغنا وإياه [147ب] والمسلمين الأمل ، ويوقفنا للإخلاص في القول والعمل أمين .

ومنهم القاضي المشهور بالعدل ، المنسوب للعلم والفضل ، ذو الهمة العلية الرفيعة ، والفكرة الطيبة والطبيعة ، المشتهر بحسن الطوية ، عبد الصمد قاضي الزاوية كان ثم شيخ الأشرفية ، وقع بيننا وبينه مجالسات ومباحثات ومؤانسات وتذكرت هنا قول بعضهم : [من الخفيف]

ورقـيع أراد أن يَعرِف النحو  
 بزِي العناد لا المسـتـفـتي  
 قال لي : لست تعرف النحو مثلي  
 قلت : سلني عنه أجب في الوقت  
 قال : ما المبتدا وما الخبر المجرور  
 أخبر ، فقلت : تنقم يف وُعذت

(1) لم نهتد إلى معرفة معنى هذا المصطلح العثماني ولعله يرتبط بوظيفة كالتشريفات أو الحجابة . وعند شمس الدِّين سامي (قاموس تركي : 1302) : «المخفِل : المقصورة ، المحل المخصص للسُلطان داخل الجامع الشريف» .

(2) وردت في (ع) : «والحشم» .

(3) وردت في (ع) : «المنسوب للفضل» .

(4) وردت في (ع) : «المطري» وهو في الكواكب السائرة (2 : 252) مهيا بن محمد المصري .



ومنهم الشيخ النبيل العريق الأصيل ، محيي الدين (يحيى بن بركات بن  
المرجاني ، المكي الأصل ، النير الوجه ، الأسود الشاش المشهور بابن قايماز قراباش ،  
رجل الكمال والكلام ، وصاحب الحال والمقام ، ذو الأذكار الماثورة والأوراد ، [148] ]  
الشائع بين الأزوام في أعلى مقامات الاعتقاد ، بيننا وبينه صحبة وخُلة ومحبة ،  
وتودد وتردد ، والله تعالى يصلح أحوالنا ، ويبلغنا والمسلمين آمالنا بمنه وكرمه<sup>(1)</sup> .

ومنهم المقام العالي ، ذو المفاخر والمآثر والمعالي ، الأميري الكبير العلاء علي  
ابن المرحوم السعيد الشهيد مولانا السلطان المؤيد أحمد بن مولانا المرحوم السعيد  
الشهيد السلطان الملك الأشرف إينال ، سقى الله عهدهما شأبيب الرحمة والأفضال ،  
وحرس سعده وثبت مجده ، أحلته هنالك الأقدار ، واطمأنت به في تلك المدينة  
الدار ، منعزلاً عن مداخلة الناس إلا بالتودد والتلطف والإيناس ، حضر مُسَلماً عليّ  
ومتودداً إليّ . وبيننا وبينه مواددات لطيفة ، ومنافثات<sup>(2)</sup> ظريفة ، والله تعالى يحرس  
من كل سوء ذاته الشريفة بمنه وكرمه أمين .

وليكن هو آخر سردهم ، وخاتمة عدّهم ، وواسطة عقدهم ، وأما من دون هؤلاء  
فجماعة لا يحصى لهم عدداً ، ولا يبلغ الضابط لهم أمداً ، وهذا القدر كاف ،  
وبحصول المقصود واف ، ولنرجع إلى سياق الرحلة المباركة إن شاء الله تعالى فنقول :  
فلما استقر بنا الركاب في مدينة قُسْطَنْطِينِيَّة في دار مولانا المشار إليه ، بعد العود  
من الرحلة الأزنكميدية ، على ما شرح من الأحوال المرضية ، نرتع في رياض مجاورة  
ومحاورة ، ونكرع في حياض مؤانسة ومذاكرة ، وَقَدَ الشتاء بقوته حاشراً عساكره  
وجنوده ، وناشراً راياته الدكن على الوجود وبنوده ، فأرسلت الرياح نشراً بين يدي  
الرحمة ، وتتابعت الأنواء والأنداء كقطع ليل مدلهمة ، وتفتحت أبواب السماء بماء  
منهمر ، وتفجرت الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ، ووقع الثلج ، وغمر  
النهج ، وامتلاً به الفج والمرج ، وستر سواد الأرض ببيض المطارف [149] ] وحاد على  
الربا والوهاد بتالدٍ من ذلك وطارف ، كما قال السري الرفاء : [من البسيط]

(1) ما بين القوسين بياض في (ع) ، وكتب في (م) على الهامش فذهب أغلبه .

(2) وردت في (ع) : «مباحثات» .

أما ترى الثلجَ قد خاطت<sup>(1)</sup> أناملهُ  
ثوباً يُزرُّ على الدنيـا بأزرارِ  
نارٍ ولكنها ليست بمبـدية  
نُوراً وماء ولكن ليسَ بالجاري<sup>(2)</sup>

فيصبح الناس وصباحهم أبيض ، وجناحهم لا ينهض ، والعروق لا تنبض ،  
والبروق لا تومض ، والنيران مقرورة ، وشياه<sup>(3)</sup> الجليد مطرورة ، والوجه في عبوس ،  
والوجود في بؤس ، قد جمدت الأبدان حتى كأنها بلا نفوس ، فأقمنا نكابد من ذلك  
الحال في تلك الأيام عيشاً مريراً ، واستمرينا أياماً عديدة نشابه أهل<sup>(4)</sup> الجنة بلا  
تشبيه في أنا لا نرى فيها شمساً ولكن<sup>(5)</sup> زمهريراً ، ونشرب المياه من كأس كان  
مزاجها بالثلج كافورا ، ونتخذ النار من البرد جنةً ، ونرضى بها ونحن المؤمنين<sup>(6)</sup> بأن  
تكون لنا جنةً ، ولم يزل البرد مشتد الشكيمة ، ماضي العزيمة ، قد تهدد وتوعد ،  
وأبرق [149ب] وأرعد ، والأنواء متواردة ، والأنداء متوافدة ، وإن لم تكن متتابعة ،  
ولا كبقية السنين متزايدة ، فإن هذا العام على ما شرح - ولله الحمد - أقلّ برداً من  
بقية الأعوام ، كما أجمع عليه من سكن الرُّوم من العرب والعجم والأروام ، واستمر  
جيش الغمام محاصراً ليالي وأيام ، يجرد بوارقه ، ويخوف بصوت رعه صواعقه ،  
ويقوق عن قوسه الممدود في الأفق نبل وبله ، ويبعث تحت مدد قطره سرايا سيوله ،  
فيستولي على الربى بخيله ورجله ، والثلوج قد شابت منها قلب الرجال ، كما شابت  
بها مفارق الجبال ، إلى أن هزمه الربيع بجنده ، وغلبه بجيوش زهره وشوكة ورده ،

(1) وردت في (م) : «حاكت» .

(2) البيتان في يتيمة الدهر 2 : 118 ومعاهد التنصيص 3 : 112 .

(3) وردت في (ع) : «وشنان» .

(4) وردت في (م) و (ع) : «أصحاب» .

(5) وردت في (ع) : ولا .

(6) وردت في جميع النسخ : «المؤمنون» .

وأراح النفس<sup>(1)</sup> من روعة برده برائحة رائع<sup>(2)</sup> عراره ورنده ، وأصبحت السماء  
صاحية ، والشَّمس وإن تسترت<sup>(3)</sup> أحياناً مسفرة صاحية ، وأركان الرفاهية [150] ]  
غير واهية ، ومعالم العافية غير عافية : [من الكامل]

ووجوه هاتيك الرياض سوافر  
غبيد تزان من الميَاه بأعين  
والأرض تجلى في رداء أخضر  
والجويبـرز في قناع أدكن<sup>(4)</sup>

والرُّبى قد تعممت بُلُونات الأزهار ، وأراقم المذانب قد انسابت في مغائر الأنهار ،  
والزمن قد استقبل آذاره ، وخلع في بسطة عذاره ، وقد أشرق<sup>(5)</sup> الجو بإشراق الخمائل  
والنبات ، وتلك المدينة قد أهدقت بها الأنهار من سائر الجهات ، ونحن نمرح في  
جهاتها ، وتسرح العين في منتزهاتها ، ونسير في مفترجات تلك الأقطار ، إلى أن  
قضينا أكمل الأوطار ، وتمتعنا من تلك المنازل الرفيعة بالحدائق الغضبية والنسيم  
المعطار ، بحيث تضاحك الورد والبهار ، وتفواح الرند والعرار ، والطير قد تكلم ، والعود  
قد ترنم . وقد خيم السرور ، وتضاعفت<sup>(6)</sup> بتضاعيف البحر الحبور ، ومضى لنا مع  
مولانا السيد [150ب] فيه يوم حسن ، وحسن يوم تمت حسنه البذور ووفيت بوفائه  
النذور : [من السريع]

يوم لنا بالبحر مختصر  
ولكل يوم مسرة فضر

(1) سقطت هذه الكلمة من (م) و (ع) .

(2) سقطت هذه الكلمة من الأصل .

(3) وردت في (ع) : «سترت تخفرت» .

(4) البيتان في تاج الفرق 1 : 231 بلا عزو .

(5) وردت في (ع) : «أشرف» .

(6) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

والسفن تعدو في العباب بنا  
والماء مـرتفع ومُنحدرُ  
فكأنما أمواجه عكن  
وكلأنا داراته سرر<sup>(1)</sup>

ومضى لنا يوم آخر في البرق قد غاب عذاله ، وكملت أوصافه وخلاله ، وتم حسنه  
وجماله<sup>(2)</sup> : [من البسيط]

في رياضٍ من الشقائق أضحّت  
يتهادى بها نسيمُ الرِّياحِ  
زُرْتها والغمامُ يجلدُ منها  
زهرات تفوقُ لونَ الرِّياحِ  
قلتُ : ما ذنبها؟ فقال مجيباً :  
سرقتُ حُمرةَ الخدودِ الملاح<sup>(3)</sup>

فنزلنا بها تحت سرحات مؤنقة ، ودوحات مورقة ، متضوّعة بعرف الزهر معبقة ،  
في أرض سندسيّة اللباس ، ذات مطارف متنوّعة الأجناس ، بين خامات زرع توج  
يدافعها موج البحر ، وتلوح طلائعها من كتائب الزهر ، فماء الندى مسكوب ، ورواق  
الظل مضروب ، والريح يصفق والغصن يتثنى والقُبْرُ يصرصر والبلبل [151] يتغنى  
والحمام ينوح ويندب ، ويشكو من جوى دهره ويعتب ، فتذكرتُ به نوح الغريب بفقد  
بلاده ، وتأوهه لنأيه عن أهله وأولاده ، واندفع لسان الحال قائلاً في إنشاده ، حاكياً ما

(1) الأبيات في تاج المفرق 1 : 218 بلا عزو وباختلاف في الرواية .

(2) وردت في الأصل : «وجلاله» .

(3) الأبيات في تاج المفرق 1 : 181 ومعاهد التنصيص 3 : 76 بلا عزو .

توجّع منه القلب وتألم ومضمّنا لتضمين بيت أبي كبير الهذلي<sup>(1)</sup> لعوف ابن مُحلم :  
[من الطويل]

أني كلّ عام غربةً ونزوحُ  
أما للنوى من ونية فيريحُ  
لقد طلّحَ البينُ المشتُّ ركائبِي  
فهل أزينُ البينَ وهو طليحُ  
وأزقني بالروح نوحُ حمامة  
فُنحتُ وذو البثِّ الغريبُ ينوحُ  
على أنها ناحتُ ولم تُذرْ دمعاً  
ونحتُ وأسرابُ الدموعِ سُفوحُ  
وناحتُ وفرخاها بحيثُ تراهما  
ومن دون أفرأخي مهامهُ فيحُ  
ألا يا حمامَ الأيكِ الفُكِّ حاضِرُ  
وغصنكُ مَيَّادُ ففيمَ تنوحُ  
لعلّ إلهي أن يمنَ بفضله<sup>(2)</sup>  
فتلقى عصا التطوافِ وهي طريحُ  
ويسكن قلبُ دائمِ خفقانه  
وينعم جفنُ بالبكاءِ قريح<sup>(3)</sup> [151ب]

(1) وردت في جميع النسخ : «الهدى» والصواب ما أثبتناه ، وأبو كبير هذا هو عامر بن الحليس ، شاعر

فحل ، أدرك الإسلام وأسلم ، وأبياته التي ضمّنها عوف بن مُحلم هي :

ألا يا حمام الأيكِ الفُكِّ حاضِرُ  
وغصنكُ مَيَّادُ ففيمَ تنوحُ  
أفق لا تنعُ من غير شيءٍ فإنني  
بكيّت زماناً والفؤاد صحيحُ

(2) ورد صدر البيت في (م) و (ع) : «عسى جود ربي أن يمنَ بجمعنا» .

(3) سقط البيت الأخير من (ع) . وهذه الأبيات موجودة في معجم الأدباء . 16 : 142-143 ، وفوات

الوفيات 3 : 162-163 ورفع الحجب المستورة 1 : 42 .

فاستجاب الله سبحانه وتعالى ، وضاعف برّه وفضله ووالى ، وهياً أسباب العود إن شاء الله تعالى إلى الوطن ، والرجوع إلى الأهل والسكن ، وذلك أنا لما خرجنا من الأوكار ، وسرحنا في روضات الجنات بعد ملازمتنا موقد النار ، وانتشرنا في تلك الأرض ، وجمعنا [في اجتماعنا<sup>(1)</sup>] بالأصحاب بين النافلة والفرض ، اهتم الوزير<sup>(2)</sup> بأمرنا غاية الاهتمام ، وأظهر عزم الرجال وكذلك قاضي العسكر وغيره ، الى أن نجح الأمر إن شاء الله تعالى بالتمام ، وحصل المقصود إن شاء الله تعالى على الكمال ، ولله الحمد على توافر نعمائه<sup>(3)</sup> وتكاثر امتنانه كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، يكافئ مزيد كرمه ويوافيه .

وما حدث في هذه الأيام أن ورد عليّ كتب<sup>(4)</sup> من بلاد الشام من الأهل والأقارب والمعارف ، يتضمّن أنّ ابن إسرافيل [152] قاضي دمشق كتب عروضاً بغالب الوظائف ، وذلك من غير معرفة سابقة ، توجب عداوة أو مصادقة ، وإنما ذلك بإيحاء بعض المعاندين ، من الأعداء والحاسدين ، والعجب أن لا نكير من الأصحاب مع الكثرة ، ولا إعانة منهم على المعادين ولا نصرة ، مع سلامة أهل الشام من أذانا ، وانتفاعهم بتعليمنا وفتوانا ، ولعلّ ثمّ عذر من الإخوان اختفى علينا الآن ، هذا كلّ مع اقامتي في كل جهة من النواب جماعة ، والقيام بشعائرها ومصالحها حسب الاستطاعة ، وغيبتي في باب السلطان ، والاعتناء بأموري في بلاد الرّوم من أركان الدولة والأعيان ، فذكرت ذلك لهم فأنكروه وأعظموه جداً وأكبروه ، ثمّ كتبت لي بحمد الله بجميع جهاتي تجديد ، وحكم سلطانني جديد ، وأضيف الى ذلك ما كان أخرج منها عنّا ، ونزع بالعدوان والتدليس منّا ، وازددنا من فضل [152ب] الله تعالى جهات أخرى ، فحصل بذلك للمحبين البشرى ، وازداد الشانيون خسراً وقهراً ، وكان ذلك بحمد الله تعالى من اللطف الخفي والمن الوفي ، وبالله تعالى استعين واكتفي ،

(1) زيادة من (م) و (ع) .

(2) وردت في (ع) : «الورى» .

(3) وردت في (ع) : «آلئه» .

(4) كذا وردت ولعلها : «كتاب» .

وما جرى على الجنان فنطق به اللسان قولي : [من الكامل]  
حاولتُ من دَهري الأمانَ فراغاً  
فأرَيْتُهُ عَمَّا طلبتُ فراغاً  
ويئستُ من أهليه أجمعهم فما  
أرجو مراءً منهم حنى أو راغاً  
والصبر عنهم قد سلكتُ سبيلهُ  
وعلى الحشا أفرغتهُ إفراغاً  
كم قد شَرقتُ بغيضةٍ منهم وما  
لاقيتُ مما قد غصصتُ مساغاً  
غصبوا الثعالب طبعهم فتراهم  
لا يسأمونَ عن المرادِ رَواغاً  
وكانهم صُبغوا بحالكِ لؤمهم  
طبعاً يزيدُ مدى الزمانِ صباغاً  
ولجأتُ للرحمن فيما أبتغى  
فببلغتُ مما أرتجيه بلاغاً  
وأنا لني باللطفِ حظاً وانفرا  
وعلي أسبغ ظلهُ إسبباًغاً  
وأراحني بعهد العناء بمنه  
فضلاً وأبلغني المنى إيلاغاً [153أ]  
فلهُ تعالي الحمدُ مني ما اهتدى  
قلْبُ الي سُبُل الهدى أو زَاغاً

هدانا الله إلى سبُل الهدى ووقانا ، وحمانا من الضلال والردى وكفانا (بمنه وكرمه  
كيد الحساد ومكر العدا أمين) <sup>(1)</sup>

(1) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

## ذكر الرجوع الى الوطن والأوبة بعد طول مدة هذه الغيبة



ثم لما انقضت بحمد الله تعالى جميع الأشغال ، وانتظمت بعون الله سائر الأحوال ، ومنّ الله تعالى بالظفر ، شرعنا مسرعين في أهبة السفر ، وذلك السيد الكريم والولي الحميم في تعاطي حاجاتي بنفسه مهتم على أتم لأحوال وأكمل الأمور ، وبمفارقتي له مغتم ، وبلوغ أربي مسرور ، إلى أن كمل الاستعداد وتهيات الرفقة والزاد .

وأُسْرِجَ جواد الأوبة ، وتقوّضت خيام الغيبة ، وحُمّ يوم الفراق ، واحتدم ذلك التلاق ، وأضرمت تلك الأعلاق ، وأعدت الركاب ، وحضر للوداع جميع الأصحاب ، وتحقق السير عن ذلك الحمى ، وأشأم حاد كان بالأمس أتهما ، وأجريت الدموع ، وطلق الهجوع ، وأضرمت نيران الزفرات الأكباد والضلوع ، [153ب] : [من الكامل]

ومدت أكفّ للوداع فصافحت  
وكادت غيـون للفراق تسيل<sup>(1)</sup>

فيا لساعات التوديع ما أشدّ كربها وأحدّ عزمها ، وأكثرها إلهاباً للخلد ، وذهاباً بالجلد ، وذوابة للجلد والجسد ، ومما قلته : [من البسيط]

يا قاتل الله قلبي كم أحمله  
منا لا يطيق لقد رثت علانقه  
في كل يوم له خلّ يودعه  
مع الزمان ومحسوب يفارقه

وأنشدت ذلك السيد الحبيب ، وأنا وهو منتحب ومفارق لجسماني ولقلبي  
مصطحب : [من مجزوء الرجز]

(1) البيت في تاج المفرق 1 : 275 بلا عزو .



لــــك الإلــــه أودعُ  
 يا أيــــهــــهــــه المودعُ  
 مؤمــــلاً من فضله  
 شملي بكم يجتمع  
 فالقلب قد أذابه  
 حرّ الفراق الموجه  
 وماؤه ما قد جرى  
 من أدمع لا تقلع  
 فمما يُرى من زفرتي  
 دخان المرتفع

فغلب علينا من الشجون ما نزع القلب من الصدر أو كاد ، حتى قطع علينا ترادف  
 البكاء ذلك الإنشاد ، ثم غيض كلّ منّا دمعته المنهمل ، وإن لم يستطع إطفاء ما بقلبه  
 المشتعل ، وأنشدني ما هو له يرتجل<sup>(1)</sup> : [من مخلّع البسيط]

أستودع الله منك مجداً  
 أصبَح بين الأنام فرداً [154أ]  
 أستودع الله منك ذاتاً  
 بكل ما في الوجود تفدى  
 أستودع الله منك جوداً  
 بجوده المعصرات أعدى  
 أستودع الله منك ركناً  
 أضحى لمن يرتجيه فرداً  
 أستودع الله منك طبعاً  
 صفاً لمن ينتحيه ورداً

(1) من عبارة : «أسرج جواد الأوبة» إلى هنا بياض في (ع) .

أستودع الله منك بشراً<sup>(1)</sup>  
لنجح راجيه قد تصدّي  
أستودع الله منك ذاتاً  
أدلّ من شـارق وأهدى  
يا سائراً والقلوب تسري  
بسيّر لا يطيق بُغدا  
والصبر لم يبق منه إلا  
ما لم يطق للهـيام ردا  
لولا رجاء اللقاء كادت  
تهد منّا القلوب هدأ  
فهولها كالغذاء يحيي  
نفسنا بالننى مدا  
فسر قربنا لكل خير  
مصاحباً دولة وسعداً  
وصحة لا تزال تكسو  
ذاتك مما تحموك بُرداً  
لا تشتكي في النهار حراً  
ولا بجنح الظلام بُرداً [154ب]  
لموطن السعد في أمان  
تزداد عزاً به ومجداً  
والوقت في غاية اعتدال  
وطالع السعد قد تبدي  
أعظم بها سفرة وسيراً  
أكرم بها وجهةً وقصداً

(1) وردت في (ع): "سدا".

صَحَبْتُ بَرًّا وَأَنْتَ بَحْرٌ  
 وَالْجُودُ وَالْبِرُّ مِنْكَ مُدًّا  
 فَيَا لَهْ مِنْ قِرَانٍ سَعِدَ  
 حَاسِدُهُ بِالرَّدَى تَرْدًا<sup>(1)</sup>  
 لَا عَدَمْتُ مَجْدَكَ الْمَعَالِي  
 وَلَا رَأَتْ مِنْ عَلَاقٍ فُقْدَا  
 وَسُورَتْ فِي دَوْلَةٍ وَأَمْنٍ  
 مَا حَمَدَ الْحَامِدُونَ حَمْدًا

ثم كررنا الوداع خارج المدينة ، وعضدي بيده الكريمة ، إلى أن أصدعني السفينة ، ثم شمّر ذيله ومضى ، وأودع قلبي جمر الغضا ، (ثم تورّكنا على المطية الدهماء ، ونبطنا الولية الماشية على الماء)<sup>(2)</sup> ، ثم رُفِعَ<sup>(3)</sup> شراع السفينة ومرساها ، وقلنا لأصحابنا ﴿اركبوا فيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾<sup>(4)</sup> ، ثم سارت بنا من تلك المرسى وسرت فيها وأنا [155] أكفكف أمطار الدموع ، وأخلب المدينة لأجل من فيها بالطرف الوامق والقلب الولوع ، ولم أزل أتبعه ويتبعني بالبصر ، الى أن غاب كل منّا عن النظر : [من مجزوء الرّمل]

وقد علاني وعراني بعد حبي خَبَل  
 وكل من خاطبني قلت له قد رَحَلُوا  
 يقول من أبصرني وسوس هذا الرجل

(وتلك السفينة تهفوا بقوادم غربان ، وتعطف بسوالف غزلان ، وتنساب في

(1) وردت في (ع) : «حردا» .

(2) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(3) وردت في الأصل : «شُرِع» .

(4) سورة هود آية 41 .

الجَنَابِ كَالْحُبَابِ ، وتحسبها جامدة وهي تمر مرَّ السحاب) (1) ولم تزل بنا تسيير وتمور ،  
وتتجدد بين الأمواج وتمور ، ونحن كما قال الشريف أبو القاسم (2) شارحاً مقصورة  
حازم : [من الكامل]

وغريبة الإنشاء سرنا فوقها  
والبحر يسكن تارةً وئوج (3)  
عُجنا نؤمُّ بها معاهدَ طامًا  
كرمتَ فعاج الأُنسُ حيث تعوج (4)  
وامتدُّ من شمس الشروق أماناً (5)  
نورُ له مرأى هناكَ بهيجُ  
فكأن ماء البحر ذائبُ فضة  
قد سالَ فيه من النضارِ خليج (6)

وسرنا بعزم لا يُفكُ جدّه ، ولا يتجاوز حدّه ، وحزم لا يثنى رسنه ، ولا يلم بعين  
وسنه ، وحزم لا يبلغ مجتهد جدّه [155ب] ، ولا تعتري العجز والتواني جدّه ،  
وتلك الجارية المنشية تتبختر بنا على سبط البحر تبختر الجارية الناشية على سبط  
البر إلى حين انتصاف ذلك النهار ، فوصلنا إلى مرسة بلدة أسكودار ، ونزلنا في  
عمارة داخل البلد ، وأقمنا بها إلى وقت صلاة الجمعة من الغد ، فصلينا الجمعة  
بتلك البقعة ، ثم أسرعنا إلى التحميل مبادرين ، وبادرنا إلى الرحيل مسرعين ،

(1) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(2) هو محمد بن أحمد الشريف الغرناطي المتوفى سنة 760هـ وشرحه على المقصورة سماه «رفع الحجب

المنشورة على محاسن المقصورة» .

(3) هذا البيت ساقط من (ع) .

(4) وردت في (ع) : «يفوح» .

(5) وردت في (ع) : «أمانياً» .

(6) الأبيات موجودة في معاهد التنصيص 2 : 98 .

ولم نزل نَفْرِي أديم الثرى ، ونجدب مطي الفيافي بجذب البرى ، إلى أن هرم ذلك النهار ، وكاد جرف اليوم ينهار ، وما بطل السير ولا تعطل ، حتى أشرفنا على قرية القَرْطَل ، وبتنا بها ليلة السبت رابع عشرين شوال بمكان مشرف عال ، مخضر الجنبات ، طيب النفحات ، مستحسن النبات ، حسن للبيات ، فحين تبدى النور ، وتكلم العصفور ، أزمعنا<sup>(1)</sup> على الترحال ، وشددنا الخيل والأخمال ، واستمر بنا السير متصل الأعمال ، إلى أن وصلنا الى كيكثبزه وقت الزوال ، ودائرته البيضاء يتمنى مركز [156] الزوال ، فأقمنا بها ريثما<sup>(2)</sup> نقيل ، ونريح علل الرفاق ونزِيل .

ثم رحلنا<sup>(3)</sup> منه وسرنا نجد في السير ، ونسرع إسراع الطير ، إلى أن جدَّ المسير وحمى<sup>(4)</sup> الهجير ، فوصلنا إلى ساحل البحر إلى محل التعدي ، وقد علمنا من تكرر<sup>(5)</sup> صحبته ما هو منظور عليه من الجور والتعدي ، فاخترنا من الجوارى المنشآت جارية حالكة السيات ، واستخرنا الله في ركوبها ، ودعونا في تيسير مرامها ومطلوبها ، ثم حللنا بها وأنسناها ، وتأملنا من الله الرحمة وما آيسناها ، وقلنا لأصحابنا ﴿اركبوا فيها بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾<sup>(6)</sup> ، ثم أسرع في اندفاعها ، وقد استذرينا تحت ظلّ شراعها : [من الكامل]

فحسبته خوف العواصف طائراً  
مدّ الجنان على بنية جناحها

(ولم نزل نسير والبحور هو ؟) والعيش صفو والزمان لهو<sup>(7)</sup> ، حتى إذا كنا

(1) بياض في (ع) .

(2) بياض في (ع) .

(3) وردت في (م) و (ع) : «ترحلنا» .

(4) وردت في (ع) : «وحر» .

(5) بياض في (ع) .

(6) سورة هود آية 41 .

(7) ما بين القوسين بياض في (ع) .

بالمواسط أمر الله تعالى باجتماع الرياح المختلفة ، وتفريق تلك الواحة المؤتلفة ، فضرينا في البحر يمينا ويساراً ، وسرنا [156ب] إقبالاً وإدباراً ، وتدفعت<sup>(1)</sup> الأمواج وعظم الارتجاج ، وعصفت الجنُوب ، وعسفت الجنُوب ومسي السفر ما كان ، وجاءهم الموج من كل مكان ، فرجفت القلوب وخرست الألسن ، وجرت الرياح بما لم تشته السفن . وقد اشتدت علينا الرياح الغربية ، وتحكمت فينا المياه البحرية ، ولم نزل في تلك السفينة بين قوادمها وخوافيها ، نلاحظ المنايا حيناً وحيناً نوافيها ، قد تبدلنا من ظل علماً ومفاخر ، بقفر بحر طامي اللجج زاخر ، ومن صهوات الخيول المسرجة ، بلهوات بحر امتطينا ثبجَه ، ولم نزل نعاني أليم الوجد وعظيم التبريح ، إلى أن أذن الله سبحانه بسكون الرياح ، ثم أرسينا بعد عناء طويل بمرسة القرية المعروفة بالدليل<sup>(2)</sup> ، ثم ترحلنا من تلك المرسى ، وتبدلنا من تلك الوحشة أنسا ، ونزلنا عند العشية بقرية هناك سكن<sup>(3)</sup> ينكجرية ، فبتنا جميعاً بها ، ولم نفرق بين ظهر المطر وقبتها ، فلما بدا من الفجر سفور ، ونثر للصبح كافور ، [157أ] وأحرقت فحمة الليل عنبر الصباح ، وخبا من النجوم الزهر كل مصباح ، ترحلنا من ذلك المنزل ، وتركنا الراحة عناً بمعزل ، وسرنا في دربتدات ووداة ، كثيرات الأشجار الملتفة والمياه ، إلى<sup>(4)</sup> أن تضاحى النهار ، واستبان رونقه<sup>(5)</sup> واستنار ، فنزلنا بقرية تعرف بقرية الدرّوند<sup>(6)</sup> ، بها مياه شديدة البرد ، وأشجار طيبة النشر كالعرار والرند .

(1) وردت في (ع) : «وتدفت» .

(2) الدليل : معناه لسان البحر ، قرية على خليج أوسع من خليج أسكدار . انظر : رحلة الشتاء والصيف 188 وذكرها الخياري 1 : 237 ، 2 : 111 : أسكلة الدليل .

(3) وردت في (ع) : «سكين» . وينكجرية : كلمة تركية معناها : الجيش (الجندي الجديد) (لطف السحر- هامش المحقق 1 : 108) .

(4) ساقط من (ع) .

(5) وردت في (ع) : رديفه .

(6) لم نهتد إلى ضبط وتحديد هذا الموضع ولعله ما ذكره القرماني (أخبار الدول 3 : 371) : «درندة ، مدينة من بلاد الروم» .

ثم أخذنا في أهبة الترحال ، ورحلنا منه بعد الزوال ، وسرنا في فياف كثيرة التراب والعجاج ، واسعة الشعوب والفجاج ، شديدة الحرّ والسموم ، (ماؤها بعد قوة محموم ، ونسيمها بعد تنفسه مزكوم ، وسحاب وخير مركوم ، وثوب حميمه مرقوم)<sup>(1)</sup> . ثم انتهينا إلى تلال وأوعار ، وأشجار من شجر البادية صغار وكبار ، إلى أن أشرفنا على بحرة أزيق ، ذات المنظر الأنيق ، والوجه الشريق ، وهبّ نسيم الروح منبعشاً بما به الروح تحيا بعد موتٍ وتبعث ، وعاد إلى الأجسام [157ب] روتق حسنهما وكادت به تفنى حقيقاً وتجدث . (ثم مسينا ساحلها على بساط أخضر ، وأديم أنضر)<sup>(2)</sup> ثم لم نزل في طريقنا ذلك نتجوّل على تلك المنازل ، وتحوّل في هاتيك الحماثل . ودخلنا البلدة والشمس مرضى أصائلها ، والربى معصفرة وصائلها ، ونزلنا بها بعمارة منسوبة للوزير الأعظم الهمام إبراهيم باشا والد عيسى باشا نائب الشام ، وبتنا بها ليلة الاثنين سادس عشرين شوال ، ونحن في أحسن حال وأيسر بال .

ثم رحلنا عندما اكتهل من الليل الشباب<sup>(3)</sup> ، وشمّر ذيله للهرب والذهاب ، وأقبلت تباشير الصباح تترى ، وأخفى الأفق زهراً وأظهر رهزاً ، وسرنا ساعة بجانب شاطيء<sup>(4)</sup> بركتها ، ثم ارتقينا على كاهل عقبتها ، ثم أظلم الجو ، وتراكم النو ، وارتفع الصحو ، وتبدّل بالكدر الصفو ، وهما الغمام ، وأرسلت شأبيب الأمطار كالسهام ، وغلب اليأس على الأمل ، [158أ] وقلت : أنا الغريق فما خوفي من البلل ، ولم نزل في صعود وهبوط ، ورجاء وحنوط ، وبسط وقبض ، ورفع وخفض ، لا نرى مفعولاً إلا للفاعل المختار ، ولا نشهد موصولاً إلا وقد انفصل عن صلته وعوائده بلا اختيار ، والحال عن المكاره لا تتميز ، وقد أحوج ابتداء السير فيها إلى خير انقضائه وأعوز ، فلا ترى إلا التعجب من هذا النعت ، والتقلب بين العوج والأمت<sup>(5)</sup> ، والأكف مرتفعة

(1) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(2) ما بين القوسين ساقط من (ع) وفي (م) علاه التشطيب .

(3) وردت في (ع) : «أسباب» .

(4) ساقطة من (ع) .

(5) الأمت : الارتفاع .

بأكيد الدُّعاء إلى (القريب المجيب)<sup>(1)</sup> إله الأرض والسماء ، عسى يحفّ بالعطف بالنقل إلى خير بدل ، وهو سامع للاستغاثة عزّ وجل ، ثم انقلبت تلك القلبة عند انقلابنا من العقبة ، ثم طلعت الشمس ، ومدّت حبالها الشديدة المرس ، وأفضا بنا السير إلى فضاء واسع ، وقطر شاسع ، وقرى كثيرة ، ونعم غزيرة ، وكان وصولنا ضحوة نهار الاثنين سادس عشرين الشهر ، إلى مدينة [158ب] الجديدة المعروفة بينكى شهر ، ونزلنا بخارجها على شاطئ النهر ، في مرج واسع ذي مرعى وزهر ، ثم عزمنا على الترحال وقت الظهر ، وشددنا الأحمال<sup>(2)</sup> وامتطينا الظهر ، وسرنا سيراً مجدداً لم نأل فيه جهداً إلى أن تهدّم من النهار بنيانه ، وأقبل الليل ولاحت نيراته<sup>(3)</sup> ونيرانه ، وأطبق الظلام جفنه وأعرض ، فوصلنا إلى قرية آق بيق ومعناه الشارب الأبيض ، وبها حمام وخان ، وخارجها أشجار كثيرة من السنديان ، وبتنا بها ليلة الثلاثاء سابع عشرين الشهر المذكور ، ثم رحلنا منها حين تقوّضت خيام الديجّور ، وجرّد الفجر سيفه المشهور ، ولم نزل نجوب تلك الفيافي والقفار إلى تعالي ذلك النهار ، فوصلنا إلى القرية المعروفة بأرمنى بازار ، ونزلنا خارجها بذلك المقعد المار المركب على العين ، وأقمنا هناك إلى ما [159أ] بين الصلاتين ، ثم سرنا منه والأبدان<sup>(4)</sup> أيضاً تعب ، والهاجرة ذات لهب ، ولم نزل نجوب كل تنوفة ، ونقتحم كل مخوفة ، إلى أن قضى اليوم نحبه ، وواصل قرص الشمس غربه ، فانتبهينا إلى قرية بُوزيُك ومعناه التل الأشهب ، وبها عمارة لقاسم باشا الوزير ، أتقن وضعها ورتّب ، وأبدع في عمارتها وأغرّب ، فنزلنا بظاهرها بمرج وسيع به أعين وريع ، وبتنا به ليلة الأربعاء إلى أن سلب الليل خضابه ، وأماط الفجر نقابه ، ثم أخذنا في السير والترحال ، ولم نرث لتلك المطى من الكلال ، ولم نزل نسير ذلك اليوم ، إلى أن حلّ الفطر من الصوم ، ثم شرعنا نشقّ جلابيب الليل شقاً ، ونحاسبه من عمره على ما تبقى ، إلى أن أفضى بنا السير

(1) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(2) وردت في (ع) : «الأرحال» .

(3) وردت في الأصل : «نيراته» .

(4) وردت في (ع) : «الابدال» .



إلى قرية تعرف بالسقا ، فنزلنا بها لنكسر سُلطان النوم ، ونجبر برعي الأعين ساعة بعض<sup>(1)</sup> ما نالها من الشؤم ، [159ب] ثم سرنا منه عندما تبدى وجه الفجر في قندس الليل ، وهزم أدهم الليل بأشهب من جياد الخيل ، ثم ابتسم وجه الصباح بعد التعبيس ، عن عشر من الشهر وهو نهار الخميس ، ولم نزل نجوب كل ببداء ، ونقتري كل شجر أو برداء ، إلى أن وصلنا الضحى العالي إلى قرية تعرف بالقالاي<sup>(2)</sup> وربما سميت أيضاً بالكامالي ، فلبثنا<sup>(3)</sup> ساعة بذلك المكان ، ثم سرنا فوصلنا إلى قرية آق واران ، واليوم قد ولّى شبابه ، والمساء قد استحكمت أسبابه ، وذلك ليلة الجمعة ذات الإتمام والكمال لثلاثين من شهر<sup>(4)</sup> شوال ، ثم رحلنا منه عندما درّ قرن الغزالة من المشرق<sup>(5)</sup> ، وانجلى وجه مرآتها المشرق ، فما تضاحى ذلك النهار حتى حصلنا<sup>(6)</sup> بمدينة قرا حصار ، واتفق حصولنا في تلك البقعة ذهاباً وإياباً يوم الجمعة ، فنزلنا بها<sup>(7)</sup> بعمارتها منزلاً مرتضى أعقب بالرضى [160أ] وأنسى ما مضى ، وطابت الروح وانبسطن<sup>(8)</sup> النفس ، وأنست راحة ذلك اليوم ما اعترانا من تعب الأمس ، واجتمع بنا في ذلك المنزل رجُلٌ من الأعيان يقال له الحاج شعيبان بن الحاج رمضان ، ثم عمّنًا بخيره وميره ، وخدمنا بغسيل وغيره ، وسأل عمّن رمى صيداً فأبان منه عضواً أيحل هو والعضو أم لا؟ فأجبت بأنه إن كان الجرح مدفقاً ومات في الحال<sup>(9)</sup> حلّ العضو والبدن ، وإن كان غير مدفق ومات منه بعد مدة حرماً أو ذبحه

(1) وردت في (ع) : «نقض» .

(2) بياض في الأصل .

(3) وردت في (ع) : فنزلنا .

(4) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(5) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(6) وردت في (م) : «دخلنا» .

(7) ساقطة من (ع) .

(8) وردت في (ع) : «وانتشطت» .

(9) وردت في الأصل : «للحال» وما أثبتناه من (م) و (ع) .

حَلَّ هو دون العضو ، فاستملا ذلك الجواب وكتبه ، وابتهج به وأطربه ، وسرَّ به وأعجبه .

ثم أقمنا بتلك البلدة ذلك اليوم ليلة السبت<sup>(1)</sup> مستهلَّ شهر ذي القعدة إلى أن حان أول وقت الصوم ، فلما نشر الصبح راياته ، وحيعل<sup>(2)</sup> الداعي إلى صلاته ، أجبناه مثنوبين ، ثم ترحلنا مؤننين ، ولم نزل نتابع السير ونواصل ، إلى أن مال المعتدل واعتدل المائل ، (ولم نزل نحث في الرحيل ، ونصل [ب160] المساء بالصباح والغدو بالأصيل)<sup>(3)</sup> فكان بلوغ الغاي في قرية عظيمة تعرف بالشاي<sup>(4)</sup> حين هَرَمَ النهار وشاخ ، وسكن حره وباخ ، وقد أعىى الركب وباخ ، فنزلنا بها بمرج أفيح ، فيه للعيون مسرح ، وللنواظر مسنح ، وظل دوحات نتفياً منها الظلال ، عن اليمين تارة وأخرى عن الشمال ، فبتنا به والزهر أنضر من الندى ، في ظل أخضر بارد الأنداء : [من الكامل]

والليل يخفي نفسه في نفسه  
والصبح كشاف<sup>(5)</sup> كل غطاء  
وكأنما الإصباح تنشر مهرقا  
أثر المداد به من الأمساء

فما صحت العيون من نشوة رقادها ، إلا لتغريد الطيور في أعوادها ، فبادرنا لآداء  
الفرض مسارعين فما منّا إلا متوضٍ أو مصل .  
ثم رحلنا قاصدين قرية نسق لي ، فوصلناها حين تصاحى النهار ، وتصاحى بعد  
الإسكار ، وتهلل وجهه واستنار ، فما استقر بنا القرار ، ولا ضممتنا أطراف تلك الدار

(1) سقطت هذه الكلمة من الأصل .

(2) الحيلة : قول «حي على الصلاة» في الأذان .

(3) ما بين القوسين ساقط من (ع) ، وفي النسخة (م) كُتِبَ على الهامش فذهب نصفه .

(4) وردت هذه العبارة في (ع) : «فكان بلوغ الغال في قرية تعرف بالمال» .

(5) وردت في (ع) : «لسان» .

حتى عَنْ لَنَا [161] ما يقتضي المسارعة والبدار، إلى مدينة آق شهر<sup>(1)</sup> وشهرتها عندهم أقشار، فوصلنا ذلك اليوم وهو الأحد ثاني الشهر آخر النهار. ونزلنا بعمارة<sup>(2)</sup> حسين باشا بها، وهي عمارة بلغت في المحاسن النهى، قد كملت في صفاتها ونعوتها، وبها مياه تجري في مسجدها وبيوتها، وأقمنا بها بقية ذلك النهار، ثم ليلة الاثنين ثالث الشهر إلى وقت الإسفار، ثم رحلنا منها حين أذكت دُكَاء<sup>(3)</sup> قبتها علينا، وسفرت فكشفت عن صحبتها إلينا، وسرنا في ظل ظليل وزهر بليل وهواء صحيح ونسيم عليل إلى أن حان<sup>(4)</sup> وقت المقييل، فنزلنا بمكان يقال له سكت لي أي موضع الصَّفْصَاف، وأقمنا إلى أن تجاوز<sup>(5)</sup> النهار حدَّ الانتصاف، ثم أخذنا في التحميل والترحيل، ولم نزل بين وَخْدٍ وَذَمِيل<sup>(6)</sup>، وإجازة ميل بعد ميل، إلى أن وصلنا إلى قرية تلعى حين حان<sup>(7)</sup> وقت [161] الأصيل، وبدت الشمس بلون العليل، فنزلنا بشاطيء نهرها في ظل دوح ظليل : [من الخفيف]

تَسبب النهر عنده تثنى  
وتخال الغصون فيه سبيل

فبتنا بذلك المنزل بجانب النهر ليلة الثلاثاء رابع الشهر، فلمّا انفجر فجر ذلك

(1) آق شهر : مدينة رومية مشهورة، تبعد عن قونية نحو ثلاثة أيام شمالاً بغرب، ذكر الرحالة كبريت أنّ معناها القرية البيضاء. انظر: رحلة الشتاء والصيف 191، رحلة الخياري 1 : 217، صبح الأعشى 5 : 352، أخبار الدول 3 : 306، لستراخ 184، قاموس الأعلام 1 : 266.

(2) وردت في (ع) : «بقرية».

(3) دُكَاء : بضم الذال والمد وهي الشمس.

(4) وردت في (ع) : «حال».

(5) وردت في (ع) : «غادر».

(6) الوَخْد : الإسراع في المشي. والذَمِيل : السير اللين. (القاموس المحيط 414، 1295).

(7) وردت في الأصل : «حتى حان» وفي (ع) : «حين حال»، وما أثبتناه من (م).

النهار ، وهبينا من النوم هبوب نسيم<sup>(1)</sup> الأستحار ، أخذنا في الترحال ، وشددنا الخيل والأحمال ، وأخذنا نسير ونجد في المسير ، إلى (أن رفل عطف اليوم في الثوب النصير ، فوصلنا في)<sup>(2)</sup> وقت العصر أو بعده بيسير إلى قرية تُعرف بصلاح الدين ، وربما عجمت الحاء<sup>(3)</sup> في لغة الأعجمين ، وأقمنا بها إلى أن عطس<sup>(4)</sup> أنف الصباح ، وحيّعل داعي الفلاح ، وتبدأ علم الفجر ولاح ، فسرنا سيراً مجدداً ، لم نأل فيه اجتهاد ولا جهداً ، فما فتئنا كذلك ولم نزل ، إلى أن حطّ الركاب بمدينة قونية ونزل ، وذلك وقت الطّفّل ، حين<sup>(5)</sup> أقبل العشاء وطّفّل ، وتبختر النهار في الثوب القصير ورفل ، ثم أقمنا بها يوم الأربعاء [162] ويوم الخميس معاً ، ثم من يوم الجمعة<sup>(6)</sup> إلى وقت الصلاة في عمارة الوزير الأعظم بئر باشا رحمه الله ، وحضرنا في ذلك الوقت من النهار وقت الشيخ الصّالح المشهور بمنلا خنكار .

ثم أخذنا في الترحال والمسير ، وقد حمى الحرّ واشتدّ الهجير ، فسرنا غير بعيد نحو نصف أو ثلثي<sup>(7)</sup> بريد ، ينقص عن ذلك شيئاً أو يزيد ، فأحسست بفتور في الحواس ، وثقل شديد في الرأس . فلم أجد بدأً من النزول على حيّ هناك نُزول ، فأقمنا بذلك المكان في جوار أولئك التركمان<sup>(8)</sup> إلى أن هتف داعي العُترْفان<sup>(9)</sup> ، وحيّعل المثوب بالأذان ، (نهار السبت ثامن أيام شهر ذي القعدة الحرام)<sup>(10)</sup> فلم نجد

(1) وردت في (ع) : «سليم» .

(2) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(3) وردت في (ع) : «الحال» .

(4) وردت في (ع) : «فطس» .

(5) وردت في الأصل : «حتى» ، وما أثبتناه من (م) و (ع) .

(6) وردت في (م) و (ع) : «يوم الحد» .

(7) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(8) وردت في (م) و (ع) : «التركان» .

(9) العترْفان : الديك .

(10) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

بُداً من الرحيل ، واحتساب الصبر الجميل ، فلمّا تعالى النهار وتصاحى ، وتلألاً  
وجهه وتضاحى ، نزلنا بشاطيء نهر يقال له سارسينا ، قد فاق بعدوبته وخصره على  
مياه<sup>(1)</sup> تلك البلدان وأرى : [من مجزوء الرّمل]

وعليه الشمس قد  
ألقت شماعاتاً كاللهب<sup>(2)</sup>  
شبهه مس أخضر  
عليه حلى من ذهب

فنزلت في فئائه كي [162ب] أزيح العلة ، وأنفع ببرده العُلة ، فتضاعف حر  
الحُمى ولم يبرده ذلك الماء ، ثم لم نجد بدأً من الجدّ في المسير ، وإن اجتمع هجير  
الحُمى والهجير ، ولم نزل (نواصل السير ليلاً ونهاراً ، ونتابع السُرى إظلاماً  
وأقماراً)<sup>(3)</sup> ، ونجوب تلك الفيافي والقفار ، أناء الليل وأطراف النهار ، وكلّما تذكرت<sup>(4)</sup>  
البلاد انقلب العذاب عذاباً أو الأهل والأولاد وجدت سهلاً ما كان صعباً ، وقد اشتدّ  
التعب والعناء ، وتحكّم الألم والضنى ، وكاد أن يستولي على الهيكل الفناء : [من  
المقارب]

ولذّة جسمي بذاك الضنى  
وراحة قلبي ذاك الألم<sup>(5)</sup>

ومدّة هذا الهيام ثلاثة من الأيام إلى أن أدت بنا الرحلة إلى البلدة المعروفة

(1) وردت في (ع) : «قناه» .

(2) وردت في (ع) : «كالذهب» .

(3) ما بين القوسين ساقط من (ع) ، وكُتب في (م) على الهامش .

(4) وردت في (م) و (ع) : «بدأت» .

(5) البيت في تاج المفرّق 1 : 279 بلا عزو .

بأركلي<sup>(1)</sup> وتسمى بهرقلة، وكان حلولنا بتلك البلدة يوم الاثنين عاشر ذي القعدة، وقد تضاعف السقم وترادف الألم، واشتدَّ بي المرض، وغير جوهر الجسم ذلك العرض، وعجزت عن الحركة والانتقال والتحوُّل والارتحال مدة ثلاث ليال، وأنا أتلهب من شدة البعاد، وأتلهف وأتشوق إلى معاهد البلاد، وأتأسف [163أ] وأتمثل بقول العباس بن الأحنف<sup>(2)</sup>: [من المديد]

يا بَعِيدَ الدَّارِ عن وِطْنِهِ  
مُفَرِّدًا يَبْكِي على شَجْنِهِ  
كَلَّمَا جَدَّ الرُّحَيْلُ بِهِ  
زادَت الأَسْـقَامُ في بَدَنِهِ  
ولقد زادَ الفؤادَ شَجًّا<sup>(3)</sup>  
طائِرُ يَبْكِي على فَنَنِهِ  
شَفُّهُ ما شَفَّنِي فَبكِي<sup>(4)</sup>  
كلُّنا يَبْكِي على سَكْنِهِ

فحين طال المطال، واشتدَّ ذلك الحال، لم نجد بدءاً من أكثراء جمال ومن شراء مَحْمَلٍ يحملنا، فحين تمَّ الأمر وكمل، وحضر المحمل والجمل، وامتطينا مطاه وشرع في خُطاه، بل في خُطاه، ثم خرجنا من تلك البلدة<sup>(5)</sup> وذلك يوم الأربعاء ثاني عشر القعدة، فلم يلبث ذلك الجمل المذكور حتى مرَّ على بعض ما على تلك الأنهار من

(1) تقدَّمت الإشارة إليها في مطلع الرحلة، والظاهر أنَّ هرقله مدينة أخرى غير أركلي، ببلاد الرُّوم أيضاً، ذكر كليهما القرماني ولم يشر إلى أنهما واحدة. انظر: أخبار الدول 3 : 505 ومعجم البلدان 5 :

(2) ديوانه 311، ومعاهد التنصيص 1 : 56، وتزيين الأسواق 536.

(3) وردت في (م) و (ع) : «ضنى».

(4) وردت في (ع) : «فيك».

(5) وردت في (ع) : «الهلكة»، وفي (م) : كلمة غير مقروءة.

الجسور ، فزلت إحدى رجليه أو يديه ، فسقط في النهر هو ومن عليه ، فكان ذلك من أنكأ القرح ، ومن الكي أثر الجرح ، ولم يسعنا غير الصبر والاحتساب ، والتبدل بجميع<sup>(1)</sup> الأثواب ، ثم نزلنا تلك الليلة ببعض قراها [163ب] واستعملنا ما كنا استصحبنا من قراها ، ثم أصلحنا الأحوال ، وعزمنا على الترحال ، عندما غاص نهرُ الجرة<sup>(2)</sup> ، وهتمت أسنان الكواكب المفترة ، وضحك وجهُ الشرق بعد التعبيس ، فأسفر عن ثالث عشرين الشهر يوم الخميس ، وسرنا مجتهدين وأسرعنا مجدّين إلى أن نزلنا بقرية تعرف بشجاع الدّين ، ثم رحلنا منه وقت الإظهار ، وانتصاف ذلك النهار ، ولم نزل نقطع أديم الفلا ونفري ، حتى أنخنا بالقرب من آق كبري ، والعشية تخور بدمانها ، وذكاء تتسخط بدمائها ، فبتنا بذلك المكان بالقرب من النهر ليلة الجمعة رابع عشرين الشهر إلى أن أنشد لسان الحال قول من قال : [من الخفيف]

لم نرَ الليلَ حيثَ رقَّ دُجَاهُ  
وبدا طيلسانه يَنجَابُ  
وكانَ الصَّباحَ في الأفقِ بَازُ  
والدجى بين مِخلبيهِ غرابُ  
وكانَ السَّماءَ لجةَ بحر  
وكانَ النجومَ فيها حُبابُ<sup>(3)</sup> [164أ]

وقد تشوقت الأبصار لسفور الأسفار ، فحين أسفر النهار واستراحت أعين النظّار من ألم الانتظار ، أخذنا<sup>(4)</sup> في المسير بعد التحميل ، وجمعنا بين طرفي البكر والأصيل ، وغالب سيرنا ذلك النهار في مروج وأنهار ، وعيون جارية ، وأشجار سامية ، وجبال عالية ، إلى أن وضعنا الرحال ليلة السبت بمرج أفيح حسن النبت ، بالقرب من

(1) وردت في (ع) : «بمع» .

(2) بياض في (ح) .

(3) الأبيات لتميم بن المعز ، انظر : المديون 96 .

(4) في الأصل و (م) : «ثم أخذنا» .

عقبة الكولك<sup>(1)</sup> المارة النعت ، ذات العوج والأمت ، ووَعُورَة المنهج وصعوبة السمّت ، فأقمنا به إلى أن رأيت الفجر والنسر<sup>(2)</sup> خاضب جناحه ورشا عليّ بالعنبر الورد : [من الطويل]

وَحَلَّتْ يَدَ الْجُوزَاءِ عَقْدَ وَشَاحِهَا  
إِزَاءَ الشَّرِيَا وَهِيَ مَقْطُوعَةُ الْعَقْدِ

ثم قطعنا تلك العقبة وسلكننا مسالكها المستصعبة ، ولم نزل نرقى<sup>(3)</sup> فيها إلى أن بلغنا مراقبها وإذا هناك قلعة قد عقدت الجبلُ حَبُوتَهَا ، وَأَزَلَّتْ الْغُرَابُ أَنْ يَطَأَ ذُرُوتَهَا ، وَعَصَمَ سِوَارُ الْوَادِي الْمَلُويِّ مِغْصَمَهَا ، وَحَمَّتْ غُرْرُ دَهْمَائِهَا أَذْهَمَهَا<sup>(4)</sup> ، فالخيلُ [164] تصعد إليها أنجما بين طالع كطالعها وغارب كغاربها ، والأرجل منها على كرة لا تستقر بأخصم راجلها ، ولا بحافر فرس راجلها ، تأوي الطيور الكواسر لأدنى حافاتهما ، وتبلغ النفوس نهايتها عند موافاتهما ، وتزل أقدام الصاعدين عن أكثر صفاتها ، وتعجز أوصاف الواصفين عن بعض صفاتها : [من الكامل]

يَأْوِي إِلَيْهَا كُلُّ أَعْوَرَ نَاعِبٍ  
وَتَهْبُ فِيهَا كُلُّ رِيحٍ صَرَّصَرٍ  
ويكاد من يرقى إليها مرة  
من دهره يشكو انقطاع الأبهـر<sup>(5)</sup>

(1) وردت في (ع) : «الكولك» . وهي قلعة مدورة على رأس جبل شمالي طرسوس بنحو مرحلة ، وهي من فتوحات السلطان بايزيد سنة 888هـ . انظر : صبح الأعشى 4 : 135 ، المنح الرحمانية 55 ، قاموس الأعلام 5 : 3925 .

(2) وردت في (ع) : «والنسر» .

(3) وردت في (م) و (ع) : «نرتقي» .

(4) هذا الوصف لعبد الرحيم بن علي المعروف بالقاضي الفاضل ، قاله واصفاً به قلعة الكرك من بلاد الأردن وهو ما أثبتته ابن فضل الله العمري بنصه . انظر : مسالك الأبصار 212-213 .

(5) البيتان في تاج المفروق 1 : 161 بلا عزو . وهي للوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الخولاني . انظرها في مطمح الأنفس 179 .



فما حصل منها الانفصال ، ولا انقطع تتابع السير والاتصال ، حتى آن وقت الزوال ، وامتد الظل وَمَالَ ، فنزلنا في مكان كالبيستان ، به أشجار صِنُونٍ وغير صِنُونٍ ، وعيون باردة سارحة متطاردة ، فارقمينا<sup>(1)</sup> في ذلك المكان وأرحنا تعب الأبدان ، ولكن لم يحصل لي راحة لاشتداد<sup>(2)</sup> الحمى ولم يبرد حموها برد ذلك الماء ، ولم نزل نحث السير والسرى ، ونعاصي الراحة والكرى ، [165] والعلا يذوب من كدنا خجلاً ، والنجم يرعد من سرانا وجلا ، والحرور تعجب من تجرينا عليه والسموم يتحول<sup>(3)</sup> من أقدامنا لديه ، ونحن نقاسي كرب الزمان ومحنه ، وقد أمضى كل منا راحته وبدنه ، وأضاق ذكرى وطنه وسكنه عطنه ، إلى أن وصلنا ظهر يوم الأحد سادس عشرة مدينة أدنة ، فنزلنا بها في عمارة لابن رمضان مستحسنة<sup>(4)</sup> ، وألقى كل منا عصاه وخلع رسنه ، وغشيه بما قاسى النعاس أمنه ، واستمرينا ثلاثة أيام في تلك الأمكنة ، ثم برزنا يوم الأربعاء تاسع عشر<sup>(5)</sup> الشهر إلى ظاهر المدينة بشاطيء النهر ، وقد صحبنا من تلك البلدة جماعات من الرفاق عدّة ، فلما تكامل عدة النفر عزمنا بهم على السفر ، ثم رحلنا بالقوم بعد الظهر في ذلك اليوم (وقد حضر سمومه وغاب نسيمه)<sup>(6)</sup> ، ثم سرنا نساير السبيل ، ونقطع ميلاً بعد ميل ، إلى أن تجاوزنا الأصيل ، وأظلمنا ليل كظهر الفيل ، فنزلنا حينئذ [165ب] بالمصبيصة على شاطيء جيحان ، حين آن وقت العشاء وحان<sup>(7)</sup> ، فحين نزلنا عن ظهور الدواب وحللنا عنها ، وقعنا وقعة لا أحلى عند المسافر منها ، فلم نستفق إلا والليل قد شابته مفارقه ، وأزهرت مغاربه ومشاركه ، وقد تخلّق الشرق بدرعه المزعفر ، وضرب في عليه رنكه

(1) وردت في (ع) : «فارقمينا» .

(2) وردت في (ع) : «لاستدوا» .

(3) وردت في (م) و (ع) : «تتاوه» .

(4) وردت في (ع) : «فسيحة» .

(5) وردت في (م) و (ع) : «تاسع عشرين» .

(6) ما بين القوسين ساقط من (ع) ، وكُتب في (م) على الهامش .

(7) وردت في (م) و (ع) : «وحال» .

الأصفر ، فأخذنا في أهبة الترحال وشددنا على الخيل الأحمال ، وقد أشيع أن الدرب مخوف ، وأن اللصوص به تطوف ، وسرنا في براري وقفار ، ذات أشجار كبار ، موحشة المسالك ، كثيرة المهالك ، قد لمع سرايها ، وتوقدت هضابها ، وصرخ بومها ، ونق غرابها ، وقد اشتد حرّ الشمس ، وفاخر اليوم في شدائده الأمس ، فلم نزل سائرين سائر<sup>(1)</sup> ذلك اليوم إلى أن حلّ من الفطر الصوم ، وغشى العين النوم ، وعمّ الإعياء واللغوب<sup>(2)</sup> جميع القوم ، وسامهم ذلك الحرّ والسموم أشدّ سَوم ، وعاموا في العرق كل عوم ، وراموا الركون إلى الاستراحة [166] أي روم ، فنزلنا حينئذٍ بالناس بجانب البحر بالقرب من قلعة بآياس<sup>(3)</sup> وبتنا بذلك المقام ليلة الجمعة حادي عشرين القعدة الحرام ، ثم سرنا منه ووجه المحجة قد أمارت النقب ووضح بشعب الفجاج والشعاب . وحللتنا<sup>(4)</sup> في مروج وأزهار ، ومياه وأنهار ، وجزنا بعقبة المركز<sup>(5)</sup> وقطعناها وانتهينا إلى عقبة بقراص<sup>(6)</sup> ووصلناها وقيلنا بأسفلها في روض نصير ، به ماء عذب نعيم ، وأشجار من أس ، وفواكه مختلفة الأجناس ، ثم أخذنا في عقبة بقراص<sup>(7)</sup> ، ذات الالتواء والاعتياص ، إلى أن سقطت الشمس للغروب ، وقد أنضت<sup>(8)</sup> الرواحل من الإعياء وضعفت الأنفس من اللغوب ، فنزلنا بوسطها عند المسجد والخان ، والمياه الجارية في مثل الشاذروان ، فاستراحت الأجسام وارتاحت الأرواح ، وانشرحت الأنفس غاية الانشراح ، ونقعنا العلة من ذلك الماء وخفف بعض ما كنت أجده من الحمى ، ثم

(1) وردت في (م) و (ع) : «طول» .

(2) اللغوب : التعب الشديد والإعياء . (لسان العرب 1 : 742) .

(3) بآياس ويّاس : بليدة شرقي أنطاكية وغربي المصيصة بقرب البحر وقلعة بقراص . (معجم البلدان 1 :

517 وأخبار الدول 3 : 337) .

(4) وردت في (ع) : «دخلنا» .

(5) وردت في (ع) : «بالعقبة المركب» .

(6) مرّ بها ووصفها صاحب الرحلة في بدايات الرحلة .

(7) وردت في (ع) : «بقراص» .

(8) وردت في (ع) : «ألقيت» .

رحلنا من [166ب] ذلك المكان المذكور ، وقد استنارت بالقمر ظلمة الديجور ، وسرنا في مسالك وعرة ، وشعوب متشعبة مضجرة ، وإهباط وإصعاد ، وإغوار وإنجاد ، ثم اكفهر وجه السماء وتغير ، ودمدم الرعد وزمجر ، وأومض البرق من الغرب والشرق ، وهبت الرياح نشراً ، وأقبلت السحب زمراً ، فرجفت القلوب ، وأحسّت بملاقاة الكروب ، واستمر ذلك التهديد ، وتواتر من الرعد الوعيد ، واختلفت آراء الريح ، وجاد الغمام بماءه<sup>(1)</sup> جود الشحيح ، ثم أفسعت السماء ، وارتفعت تلك الأنواء ، وتفرقت<sup>(2)</sup> جمع السحاب ، وتمزقت منه الجلباب ، وأسفر وجه القمر من لثام الغمام ، وأزهرت الزهر كالزهر تفتح عنه الكمام<sup>(3)</sup> ، فزالت تلك الكروب ، واطمأنت بحمد الله القلوب ، ولم نزل نسير إلى أن أظلل التنوير ، وجسّر الصبح المنير : [من البسيط]

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها  
مرأة تبر بدت في كف مرتعش

فانحدرنا من تلك العقبة ، وسرنا في أرض مستوية مصطحبة<sup>(4)</sup> [167أ] بين أشجار كثيرة الظلال ، وأنهار تجري بماء زلال ، ثم تلقأنا بر<sup>(5)</sup> واسع الفجاج والشعاب ، كثير العجاج والتراب ، طويل المساحة تمتد الساحة ، لا يبلغ الطرف منتهاه ، ويكل الطرف عن بلوغ مداه ، فلم نزل نسير به من بكره ، إلى أن أبدى النهار حره وأضطرم<sup>(6)</sup> جمره ، فقلينا حينئذ بخان يغره ، ثم رحلنا منه متوجهين إلى تلقاء<sup>(7)</sup> بلدة

(1) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(2) وردت في (ع) : «وتولى» .

(3) وردت في (ع) : «المكمام» .

(4) وردت في الأصل : «مسطحة» ولعلها صوابها مسطحة .

(5) وردت في (م) و (ع) : «موضع» .

(6) وردت في الأصل : «وأضرم» .

(7) وردت في (م) و (ع) : «نحو» .

تيزين<sup>(1)</sup>، فوصلناها عندما دخلت الشمس خدر الغروب، وتسترّت بسرّبها<sup>(2)</sup> المحجوب، وأسبل الليل إزاره، وعمّ ظلامه الوجود وأقطاره. وهي بلدة قديمة، ذات عمائر عظيمة، وأثار معاهد مقيمة، فسيحة الأرجاء، صحيحة الهواء، بمتدّة الغاية في الحسن والانتفاء، واسعة الرقعة، طيّبة البقعة، سامية الارتفاع، مشرقة البقاع، مباركة الأغوار والتلاع، ممرّغة الجنّبات، متنوعة النبات، ممدودة الظلال، مودودة الحلال، مأمولة السعادة مسعودة الآمال، قد أخذت من كل المحاسن [167ب] نصيباً، وفوّقت إلى سهم الفضائل سهماً مُصيباً ومليت ظرفاً ونخباً<sup>(3)</sup>، وأوتيت من كل شيء سبباً، فبتنا بها وقد عزمنا على الرحلة وأتينا صدقاتها نحلة.

ثم سرنا من ذلك المكان حين أبرز<sup>(4)</sup> الأفق ذنّب السُرْحان، وأن انبلاج الفجر وحن، (ليلة الأحد ثالث عشرين)<sup>(5)</sup>، ثم أخذنا في المسير صباحاً إلى أن تعالى النهار وتضاحى، ودخلنا في معاملة الحلقة وقت الغداء<sup>(6)</sup>، ونزلنا في قرية يقال لها تل عدا، فتلقنا<sup>(7)</sup> أهلها بالسلام والترحيب والإكرام، وأنزلونا في بيوتهم، وأسهمونا في قوتهم، وتواردت علينا منهم الضيافات، وزالت عنا بحمد الله تلك المخافات واطمأنت الأنفس وطابت الأرواح، وزال العناء وحصل الارتياح.

فأقمت بها إلى يوم الاثنين رابع عشرين القعدة وقت الصباح، فلمّا بدا بنوره ولاح، وملاً ضياؤه تلك البطاح، وكان ذلك المرض قد غلب، واشتدّ بأسه وخب، وأذهب بالقوى [168أ] وسلب، فاستخرت الله تعالى في المضي إلى حَلَب إذ لا تخلو

(1) تيزين: قرية كبيرة من نواحي حلب، كانت تعدّ من أعمال قنشرين ثم صارت أيام الرشيد من

العواصم مع منبج. انظر: معجم البلدان 2: 66.

(2) كذا وردت ولعلها: «بسترها».

(3) وردت في (ع): «وآدباً».

(4) سقطت هذه الكلمة من (ع).

(5) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(6) سقطت هذه الكلمة من (ع).

(7) وردت في (م) و (ع): «فتلقونا».

من حبيب<sup>(1)</sup> ، ومن دواء وطبيب ، فعسى يحصل فيه الإبلال ، ويزول ذلك النصب والكلال ، وينحل<sup>(2)</sup> برم الحمى بتلك الحلال ، فسرنا قاصديها تلك الساعة ، ومشى معنا من تلك القرية جماعة ، باذلين السمع والطاعة ، متقربين إلينا بحسب الاستطاعة ، إلى أن حططنا بها رحال الأمام ، وخلعنا على عطف الصلاة برد الإتمام ، وكان استقرارنا بها بين الصلاتين (من اليوم المذكور وهو الاثنين)<sup>(3)</sup> في زاوية البيري المعروف بالشيخ حسين ، فتلقنا ولده صاحبنا الشهابي أحمد ، أحسن ملتقى وأحمد ، وأخلى لنا ثلاثة أمكنة وأفرد ، وكنا ظننا أن الدموع نعدت ، وأن نيران القلوب خمدت ، فتراكمت من العيون سحبتها ، وتزايد من القلوب كربها ، وأخذنا بعد السلام في شرح ما فعلت الأشواق ، وإن كانت الإحاطة بوصفه [168ب] تكليف بما لا يطاق ، ثم تسارعت إلينا للسلام سائر الإخوان ، من العلماء والرؤساء والأعيان ، فالفيتهم لم ينقص الله لهم عددا ، ولا أراهم بالفراق شمالاً مبددا ، فسُرَّ الجميع بالاجتماع ، وأقمنا كما كنا على المذاكرة والانتفاع ، وكأني ما مدت إليهم يداً للوداع ، فنشروا من دَرِّ الشناء منشوراً ومنظوماً ، ونشروا من برود الشناء مطويماً ومكتوماً ، فأنشدتهم : [من الكامل]

إنني وإن شطَّ المزار وبددت  
أيدي النواذب شملنا المنظوما  
لم أخل من حسن الشناء عليكم  
مذ غبت عنكم ظاعنا ومقيما<sup>(4)</sup>

ولم أزل بتلك الحضرة أجتلي أنوار المحاضرة ، وأجتني نوار المذاكرة ، وأستأنف ما عرفته من ولايتها ، وأجدد العهد بعلمائها وفضلاتها ، غير أن ذلك المرض يقصر بي

(1) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(2) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(3) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(4) البيتان في تاج المفرق 2 : 93 بلا عزو .

في الخطى ، ويقعدني عن اعتلاء ذُرَى المطى ، ويرهيني بقوة السطى ، ويمنحني ما أَرَادَ وما أغناني عن ذلك العطا ، ولم يزل يتعالى ويتعاضم ، ويتوالى (ويتفاقم ، ويذهب في متجره مذهباً [169أ] ويبلغ في سبيله الرُّبَى ، ويرقى في سبيله على الرُّبَى) <sup>(1)</sup> ، وحكماء تلك البلدة يترددون إليّ كل مدة ، ويصفون من الأدوية عِدَّة ، فلم يزد <sup>(2)</sup> الأمر إلا شِدَّة ، وأرادوا إبراد الحُمَى فكان إبرادها رعدة ، فاستخرت الله في ترك التطب ، والإبعاد عنهم والتجنب ، والانقياد لحكم الله والاستسلام لديه ، وتفويض الأمر إليه ، والتوكّل في كل الأمور عليه ، ثم قدم من الشّام في تلك الأيام الحاج محمد المغربيّ البَوَّاب <sup>(3)</sup> وأقرأنا السلام من الأهل والأصحاب ، وأخبر بما صنع القاضي - قاتله الله - في الجهات . وما احتوى عليه من التعصبات <sup>(4)</sup> والثّرّهات ، فلم ننزعج لذلك لاعتمادنا على الله ، ويقيننا الصّادق أن لا فاعل إلاّ الله <sup>(5)</sup> ، (وحمداً لله على سلامة الأصحاب والأهل ، وعددنا ما عداه من الأمر السهل) <sup>(6)</sup> ، واستمرينا بتلك البلدة <sup>(7)</sup> إلى أن انصرم شهر ذي القعدة ، ثم دخل شهر ذي الحِجَّة ، وأقام بوفود العيد الحُجَّة ، فصلينا بجامع الأطروش <sup>(8)</sup> صلاة العيد <sup>(9)</sup> ، ثم أضافنا الشيخ عبد الرّحمن الكرديّ إلى منزله السعيد [169ب] (وأخلى لنا خلوته بالجامع المذكور ، وسعى في أنواع إكرامنا بالسعي مشكور ، فجزاه الله عنّا الجزاء الموفور ، فأقمنا

(1) ما بين القوسين بياض في (ع) .

(2) وردت في الأصل : «يزد» .

(3) وردت في (ع) : «النواب» .

(4) وردت في (ع) : «الجهالات» .

(5) وردت في (ع) : «إياه» .

(6) ما بين القوسين كُتِبَ في (م) على الهامش ، وسقط من (ع) .

(7) وردت في (م) و (ع) : «القلعة» .

(8) وردت في (ع) : «الأطروشي» .

(9) وردت في (ع) : «صلاة العصر» .

هناك أيام التشريق ، وليالي البيض<sup>(1)</sup> ذات الوجه الشريق ، وكنا قد بعنا بعض الخيل والبغال ، واستخرنا الله تعالى في السفر مع الجمال ، وكان قد تهيأ في تلك الأيام قفل كبير إلى بلاد الشام ، فرددت الاستخارة ، وجددت الاستشارة في السفر معه في المحارة<sup>(2)</sup> ، فجاء أكابر القفل إلينا وقالوا : أنت المؤمر علينا وألقوا إلينا مقاليد الأمور ، وقالوا : مُر متى شئت بالمرور ، فكلُّ منا بطاعتك مأمور ، فوقع الاتفاق مع تلك الرفاق ، أن يكون يوم الأحد منتصف الشهر التبريز إلى الوطاق ، وكنت قد سئمت من النوى<sup>(3)</sup> والشتات ، وأزعجني خبير<sup>(4)</sup> الجنة تحت أقدام الأمهات ، وهمت بالوطن هيام ابن طالب بالحوض والعطن ، وحننت إلى تلك البقاع حينه إلى أثلاث القاع وأخذت في الإزماع ، وفاجأت الأصحاب بالوداع ، وعزمتُ عزماً أذن للدموع [170أ] بالانسكاب وللقلوب بالانصداع : [من الطويل]

ويومٌ وقفنا للوداع وكلنا  
يعدُّ مطيعَ الشوق من كان أجزما  
نصرت بقلب لا يعنف في الهوى  
وعين متى استظمرتها أمطرت دماً<sup>(5)</sup>  
فيا له وداعاً ذابت له الأجساد ، والتهبت به الأكباد ، وكاد يتصدع منه الفؤاد ، ثم  
أنشدت أولئك المودعين ما قاله بعض المتأدبين<sup>(6)</sup> : [من الوافر]  
أودعكم وأودعكم لقلبي  
وعون الله حسبكم وحسبي

(1) ما بين القوسين كُتب في (م) على الهامش فذهب أغلبه ، وفي (ع) ترك بياضاً .

(2) وردت في (ع) : «التجارة» . والمحارة : شبه الهودج (القاموس المحيط 487) .

(3) وردت في (ع) : «الهوى» .

(4) سقطت هذه الكلمة من (م) و (ع) .

(5) البيتان في معاهد التنصيص 1 : 247 منسوبة للشريف الرضي .

(6) البيت الأول قاله الشاعر جمال الدين ابن نباتة ، ورد عليه في البيت الثاني الرحالة خالد بن عيسى

البلوي ، عند اجتماعهما في بيت المقدس سنة 737 هـ . (انظر : تاج المفرق 1 : 274) .

## وأرعى حبّكم ما دمت حياً وأرجو فضلكم في رعي حبي

ثم ركبت على المَحَارَة ، وخرج إلى وداعي غالب أهل الحارة ، وكان النهار قد تحوّل ، والليل قد عوّل ، وأسبل ذيله وأسدل ، وأردف إعجازاً وناء بكلّكل ، فوصلنا إلى خارج المدينة ، وهم مشاة (بين يدي) <sup>(1)</sup> بسكينة ، فجددنا هناك معهم الوداع ، ثم انقلبوا ما بين مثنٍ وداع ، ونزلنا خارج المدينة في محل التبريز ، في منزل عزيز ، بديع التفويف والتطريز ، ثم أقمنا في ذلك المحل [170ب] يوم الأحد إلى أن تكامل السفر ولم يبق منهم بالمدينة أحد ، فاتفقنا مع أولئك النفر أن يكون السير من ليلة الاثنين طلوع القمر ، فحين كشف أدهم الليل ، بأشقر من جياذ الخيل ، حملنا الأحمال على تلك الأجمال ، وأخذنا في التنقل والارتحال .

ولمّا اتضح الصبح وبان ، وبدا نوره للعيان ، نزلنا بمنزل خان طومان <sup>(2)</sup> ، ونحن في غاية الدعة والاطمئنان . وهو منزل فسيح الساحة ، مستطيل المساحة ، حاو لأصناف النضارة والمّلاحة ، فلما اكتهل شباب ذلك النهار ، واعتراه بعد النضارة اصفرار ، اخترنا عن ذلك المكان الرحلة ، وصرمنا حبله وقطعنا وصله ، وكان منتهى السير إلى سراقب ، عند ظهور النجم الشاقب ، وهجوم الظلام الواقب ، من ليلة الثلاثاء سابع عشر الشهر ، واستمرينا بذلك المكان يوم الثلاثاء إلى العصر ، فلمّا حيّعل داعي الصلاة ، وأجابه إليها من دعاه ، أخذنا في أهبة الترحيل ، وشرعنا في الشدّ [171أ] والتحميل ، وقطعنا بالسير عمر ذلك الأصيل ، إلى أن وصلنا إلى مدينة المعرة <sup>(3)</sup> ثلث ليلة الأربعاء أو قبله بقليل ، فنزلنا بظاهرها بمربع ، فيه للخواطر منزع ، وللدواب

(1) ما بين القوسين ساقط من (م) و (ع) .

(2) وردت في (ع) : «طوفان» . وخان طومان يقع على نهر قويق ، ويبعد عن حلب مسافة ثلاثة أميال .  
(معادن الذهب 378 الهامش) .

(3) وردت في (ع) : «المغيرة» . وهي المعروفة اليوم بمعرة النعمان نسبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري ، وتقع بين حَلَب وحَمَاة . (معجم البلدان 5 : 156 ، صبح الأعشى 4 : 141 ، أخبار الدول 3 : 488) .



مرتج ، ولبرد العلة ألطف مشرع ، فلم نزل به بقية تلك الليلة ثم من يومها إلى أن استوفى ميله ، وأسرج للرحلة خيله ، وشمر للذهاب ذيله ، فافتقينا أثره في الرحيل ، وشرعنا بين وَخْدٍ وَذَمِيلٍ<sup>(1)</sup> ، وقطع فرسخ بعد ميل ، إلى أن أخذ منا السهر ، وشقّ جلباب الظلام سناء القمر ، وصلنا إلى خان شيخون<sup>(2)</sup> مستعيذين<sup>(3)</sup> بالله من شر كل خؤون ، فلما ابتسم وجه الشرق بعد التعبيس ، وأسفر صبح يوم الخميس ، نفس عنا تنفسه غاية التنفيس ، فحصل لنا بنوره بعد الوحشة كل تأنيس ، ثم استمرنا في ذلك المكان إلى أن حان وقت العصر وأن ، ثم أخذنا نجوب تلك البراري ، ونجول في هاتيك الصحاري ، إلى أن احتجب النور [171ب] وبرز الديقور ، فارتعنا لإطلال الظلام وإقبال جيش حام ، ثم اقتحمنا عساكره أي اقتحام ، إلى أن أقبلت طليلة القمر من تلك الأكام ، فحصل لجيش الظلام الانهزام ، ودخلنا مدينة حَمَاة بِسَلام ، وذلك ليلة الجمعة عشرين ذي الحجة الحرام ، وكان منزلنا بظاهرها بالموقف ، في<sup>(4)</sup> مقعد عالٍ مشرف ، إلى أن برز الفجر من خبائه ، وملاً الخافقين بضياته ، فتلقنا في ذلك المكان جماعة من الأعيان المنتسبين إلى الشيخ العارف علوان<sup>(5)</sup> ، وبلغونا سلام ولده الشيخ محمد واعتذروا عن عدم<sup>(6)</sup> تلقّيه لنا بأنه أزمَد ، وقد تضاعف عليه الرّمْد واشتدّ ، لكنه قد صمّم وأكد أن نحصل في مكان عَيْنَهُ لنا وأفرد ، وكانت الحُمى في ذلك الوقت قد اشتدّت ، واحتدمت جداً واحتدّت ، فلم يمكننا وقتئذٍ إجابة مرامهم ، بل ولا جواب كلامهم ، بل ولا ردّ سلامهم ، فذهبوا ثم عادوا وقد كثروا وازدادوا<sup>(7)</sup> ،

(1) الوَخْدُ : الإسراع في المشي . والذَمِيلُ : السير اللين . (القاموس المحيط 414 ، 1295) .

(2) وردت في (ع) : «خان سيحون» .

(3) وردت في (ع) : «متعوذين» .

(4) وردت في (ع) : «و» .

(5) هو علي بن عطية بن علوان الصوفي الشافعي توفي سنة 936هـ ، انظر الكواكب السائرة 2 : 206 .

(6) وردت في الأصل : «بعدم» ، وما أثبتناه من (م) و (ع) .

(7) وردت في الأصل : «وزادوا» وما أثبتناه من (م) و (ع) .

وبالغوا في التأكيد وزادوا فلم يمكنني<sup>(1)</sup> [أ172] إلا المضي معهم إلى حيثما أرادوا ، ولم تزل أهل محلته يوافوننا في الطريق زمرا ، ويفدون علينا نفراً فنفرا ، إلى أن نزلنا في ذلك المكان ، وهو بالقرب من ضريح الشيخ علوان ، فتلقانا ولده بالسلام ، وبالغ في الترحيب والإكرام ، وأقمتُ عنده ثلاثة أيام ، آخرها يوم الاثنين ثالث عشرين الحجّة الحرام ، أجتلي في تلك الأيام وأجتلب ، وأجتني ولا أجتنب ، وأقتني لكل ما أحب :  
[من البسيط]

### فالكف عن صلة والأذن عن حسن والعين عن قرة والقلب عن حائر<sup>(2)</sup>

فوجدته درّة بين الناس مغفلة ، وخزّانة<sup>(3)</sup> على كل فائدة مقفلة ، وهديّة من الدهر الضنين محتفلة ، وحسنة من الدهر<sup>(4)</sup> الكثير العيوب ، ونوبة من الزمن الجمّ الذنوب ، بما<sup>(5)</sup> شئت من أدب يتألق<sup>(6)</sup> ، وفضل تتعطر به النسّمات وتتخلّق ، ونفس كريمة الشمائل والضرائب ، وقريحة يقذف بحرّها بدرر الغرائب وجواهر الرغائب ، إلى خشية لله تحول بين القلوب وقرارها ، وتثني النفوس عن اغترارها ، ولسان [أ172] يبوح بأشواقه ، وجفن يسخو بدرر أماقه ، وحرص على لقاء كل ذي علم وأدب ، ومن يمت إلى أهل الديانة والعبادة بسبب ، مع نزاهة عن الدنيا ، وهمّة نيّطت بالشرّيّا ، ولهجة تفرّق فيها ماء البشر فأحيا وحيا ، ومحاضرة مستفزة<sup>(7)</sup> للحلوم ، ودعابة ما

(1) وردت في (م) و (ع) : « يمكنني » .

(3) البيت في معاهد التنصيص 3 : 139 للشاعر الوادعي الكندي ، وروايته :

فالعين عن قرة والكف عن صلة والقلب عن جابر والسمع عن حسن

(3) وردت في (ع) : « حماية » .

(4) وردت في (م) و (ع) : « العصر » .

(5) وردت في الأصل : « ما » .

(6) وردت في (ع) : « متألق » .

(7) وردت في (ع) : « مستفزة » .

خالع العُذر معها بملوم ، قد نشأ على عفة وصيانة وأمانة وديانة ، فعظم الله شأنه ، ورفع بالعلم والعمل مكانته ومكانه ، وأعلى به منار الهداية ، ورزق الناس الانتفاع به في البداية والنهاية ، فازدحموا على مورده والمورد العذب كثير الزحام ، والتأموا بمعهدده وحيث الكرم يزدحم الأنام<sup>(1)</sup> ، وأنشدوا الذي مشهده : [من الوافر]

لقد حَسُنْتَ بك الأيام حتى  
كأنك في فَمِ الزمن ابتسام<sup>(2)</sup>

لم يزل يقطع الليل ساهراً ، وبهش للجميل مبادراً ، ويقطف من العلم أزاهراً ، ويجمع إلى شرف الخلال خلال الشرف ، ويقوم بشرفه في الخبر الحجة على من قال لا خير<sup>(3)</sup> في الشرف ، ويعمر بالحسنات [173أ] إناؤه ، ويتبع في القربات آباءه ، بانياً كما بنوا ، وبادياً من حيث انتهوا . فهو حبر الأكارم ، وبحر<sup>(4)</sup> المكارم ، وتاج المفاخر ، وحجة المفاخر ، ودليل كم ترك الأول للآخر ، ولقد سبرت أحواله ، وخبرت أفعاله وأقواله ، فرأيت وشاهدت وعندما حمدت مشاهدي أنشدت : [من الطويل]

وما زلت في الأخبار<sup>(5)</sup> أسمع عنكم  
حديثاً كنشر المسك إذ يتضوع  
فلمّا تلاقينا وجدت محاسناً  
من الفضل أضعاف الذي كنت أسمع

فلم أزل ملازماً حلاله ، متأملاً جلاله ، ومستحسناً خلاله ، وكأنتني ما عملت

(1) وردت في (م) : «الكرام» .

(2) البيت لابن الأثير : الديوان 458 ، وفي تاج المفرق 1 : 206 بلا عزو .

(3) هذه الكلمة ساقطة من (ع) .

(4) وردت في (ع) : «عز» .

(5) وردت في الأصل : «للأخبار» .

الرحلة إلآ له ، إلى أن فجر<sup>(1)</sup> الفراق ، وما رق وما راق ، وتهياً نفرنا ، وتأتى سفرنا ، وأزفت النوى ، وأثارت الجوى ، فأخذت في الوداع ، وشاع خسر الجواز وذاع ، ولما استقلت نحائب الرفاق ، وتهاديننا تحف الأشواق ، وتشاكينا روعة الفراق . وشددنا الأقتاب والأقتاد<sup>(2)</sup> ، وأعددتنا الأهبة والزاد ، فبالغ في الإنعام واعتذر ، وزود حتى<sup>(3)</sup> لم يذر ، ثم خرج لوداعي إلى ظاهر البلدة ، ومعه من أعيان [173ب] أهل محلته عدة<sup>(4)</sup> ، وكذلك الشيخ الإمام البحر الهمام الحسيب النسيب ، الأخذ من صدق المحبة<sup>(5)</sup> وصفاء المودة بأوفر نصيب . ذو الإخلاص والصفاء ، والصدق والوفاء ، مولانا السيد أبو البركات وفا ، هو وبعض أخوته ، وغالب أهل محلته ، وذلك كما<sup>(6)</sup> مضى يوم الاثنين ، ثم سرت أذري دمع العين ، وأسى لشمل لا يتفك من روعة البين ، وأسف لعهد كنت إليه استنمت ، ولعيني في ظلّه أمتت ، فيا لله كم سربلتني النوى سقما ، وأصارت في عقلي لما<sup>(7)</sup> ، وألبست جسمي مرضا ، وسربلت قلبي من عناء ، ثم جددت الوداع لذينك المحبين . وتجرعت من فراقهما ما ليس بالهين ، وأنشدت موجع الجنان مغروق الأجفان : [من الكامل]

ما أنصفتني النائبات رمينني  
بموذعين وليس لي قلبان

ثم حلفت عليهما وعلى من معهما بالرجوع ، واندفعت أنشد في تلك (الربوع ، وقد بلّ الثرى وبل تلك الدموع)<sup>(8)</sup> : [من الكامل]

- (1) وردت في الأصل : «فجي» .
- (2) القتب : رخل صغير ، والقند خشب الرخل .
- (3) وردت في (ع) : «حين» .
- (4) هذه الكلمة ساقطة من (ع) .
- (5) وردت في (ع) : «الهمة» .
- (6) هذه الكلمة ساقطة من (ع) .
- (7) وردت في (ع) : «لهما» .
- (8) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

ماذا وقوفك والركاب يساق  
 أين الجوى والمدمع المهراق<sup>[174أ]</sup>  
 أغير<sup>(1)</sup> هذا اليوم تخبيء أم ترى  
 بخلت عليك بمائها الأماق  
 حق وقد رحلوا بقلبك والكرى  
 إنّ النواظر لا الدموع تراق<sup>(2)</sup>

ثم أخذنا نسير ، ونجد في المسير ، إلى أن وصلنا إلى الرستن ، وقد اختفى النهار وأكمن ، وتستر حسب ما أمكن ، ونادى منادي العشاء وأعلن ، وأقمنا بها إلى أن هروا الليل ، وشمر لذهابه الذيل ، فأعملنا الركاب ، وأخذنا في الذهاب ، وشرعنا في أسباب الإياب ، وذلك ليلة<sup>(3)</sup> الثلاثاء رابع عشرين الحجة إلى أن بان<sup>(4)</sup> وجه الحجة ، وأقام بوجود الفجر الحجة ، ثم بدت الشمس من المشرق ، وانجلي وجه بشرها<sup>(5)</sup> المشرق ، فمررنا على مدينة حمص مصبحين ، ونزلنا بظاهاها في ذلك الحين ، ثم جددنا عهداً بمعاهدها ، وزرنا بظاهاها قبر خالدها ، وافتقدنا بها من سراة الناس الشيخ عبد القادر بن الدعاس<sup>(6)</sup> ، فأخبرنا بسكناه الأرماس ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم . وهذا حال الدنيا لم تزل بأهلها [174ب] لاعة ، ولنفسهم ونفائسهم بيد منونها سالبة ، وخيل مناياها ما فتئت راکضة ، بين ذاهب وذاهبة :  
 [من الوافر]

(1) وردت في (ع) : «العين» .

(2) الأبيات في تاج المفرق 1 : 168 بلا عزو .

(3) وردت في الأصل : «يوم» والتصويب من (م) و (ع) .

(4) وردت في (م) و (ع) : «وضع» .

(5) وردت في (ع) : «نشرها» .

(6) تقدّم التعريف به في مطلع الرحلة .

## فأولها وأوسطها عناء بلا فصل وأخـرها فناء

ومع هذا فالغبطة بها شديدة، والأمال فيها مع العلم بأنها دار البلى جديدة، حتى كان حقيقة ما يعلم من استحالتها ارتياب، والرحلة عنها إليها إياب، لقد حُقَّ أن يرفضها البصير، ويستعدّ لما إليه يصير. ونسأل الله في هدايتنا<sup>(1)</sup> فنعم المولى ونعم النصير، ألهمنا الله طريق إرشادنا، وأعاننا على الاستعداد لمعادنا، وقضى في العاجل والأجل بإسعادنا، إنّه على كل شيء<sup>(2)</sup> قدير، وبالإجابة جدير.

فأقمنا بتلك المدينة ذلك النهار بتمامه، ثم ليلة الأربعاء إلى أن كشف القمر عن لثامه، ومدّ نوره على خراب ذلك المكان وأكامه، وبلغ من اعتلائه أقصى غاية مرامه، فأخذنا في الترحال، وشدّدنا الأحمال على تلك الجمال، فبلغ السير وقت [175] الضحى وانتهى إلى قرية حسنة<sup>(3)</sup> وقلنا بها. ثم سرنا قاصدين بلدة قارا<sup>(4)</sup>، وقطعنا فيافي وقفارا، وبراري وضحاري، إلى أن مال النهار كل الميل، وأقبل الليل إقبال السيل، ومدّ خيامه وسرادقه، وزين بالزهر مغاربه ومشاركه، فوصلنا حينئذ تلك المدينة، وحصل بها الاستقرار والطمأنينة، وهذه المدينة مدينة قديمة (البنيان، واسعة الأركان)<sup>(5)</sup> بها آثار مقيمة، وبعض عمائر عظيمة. سامية الأرجاء، واسعة الفناء، موضوعة على نسبة حسنة في الاعتدال والاستواء، راققة الموضوع، بديعة المجموع، كوكبها يقظان، وجوها عريان، وروضها فريج، ونسيمها أريج، ما شئت من منظر عجيب، وجانب رحيب، وبسيط خصيب، يزهو بالحسن المحض، والنور

(1) وردت في (م) و (ع) : «هدايته» .

(2) وردت في (ع) : «على ما يشاء» .

(3) بلدة تقع جنوب حمص وتبعد عنها نحو 40 كم تقريباً .

(4) ويقال قارة، وهي المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق، وتبعد عن دمشق مسافة 95 كم

تقريباً . (معجم البلدان 4 : 295 ، أخبار الدول 3 : 444) .

(5) ما بين القوسين ساقط من (م) و (ع) .

الغضّ ، وناهيك ببلاد الشّام شامة الأرض ، كما قال عرّقلّة الدّمشقيّ : [من الكامل]

هذا هو الزمن الربيع المونق  
والعيشة الرّغدُ التي هي تُعشّقُ [175ب]  
فعلام تصحو والحمام كأنها  
سكّرى تُغنّي تارةً وتُصَفّقُ  
وتلوم في<sup>(1)</sup> حُبِّ الديار جَهالةً  
هيهات يسلوها فؤادُ شقيقُ  
والشّامُ شامةٌ وجنة الدُّنيا كما  
إنسانُ<sup>(2)</sup> مقلتها الغضيضة جليقُ  
من أسها<sup>(3)</sup> لك جنةٌ لا تنقضي  
ومن الشّقيق جَهَنّمٌ لا تحرقُ  
في نيربٍ ضحكتُ ثغور أقاحه  
لما بكأها العارضُ المتدفقُ<sup>(4)</sup>

فأرحنا بها تعب الأبدان ، وتلقّانا بها جماعة من الأعيان ، وقدموا ما حضر من  
ميسورهم<sup>(5)</sup> ، وسألونا في النزول بدورهم ، فاعتذرنا عن ذلك ، ولم نزل هنالك في  
ذلك المجلس النفيس ، إلى أن ولّى يوم الخميس ، فعنّ لنا المسرى في الليلة الغراء ،  
فأخذنا نجوب تلك الصحراء ، إلى أن وصلنا إلى بلدة التّبك<sup>(6)</sup> فجرا ، فبادرناها<sup>(7)</sup>

(1) ساقطة من (ع) .

(2) وردت في (ع) : «أن إنسان» .

(3) وردت في (ع) : «مرأتها» .

(4) الأبيات موجودة في ديوان عرقلّة الكلبي 68 .

(5) وردت في (ع) : «منشورهم» .

(6) قرية بين حمص ودمشق ، فيها عين عجيبة ، باردة في الصيف ، قيل : مخرجها من يَبْرُود (معجم

البلدان 5 : 258) .

(7) وردت في (ع) : «فبادرنا» .

بصلاة الفجر ، واغتنمنا بتعجيلها للأجر ، ثم هدأنا هداة الوصي ، ووسنا سنة  
النصيب ، فلم نفق إلا والشمس قد طلعت ، وارتقت لذروتها وارتفعت ، فحللنا  
بحلال ، فأصلحنا الأحوال ، وتجهزنا للارتحال ، فوصلنا إلى القُطَيْفَةِ (1) وقت الزوال ،  
[176أ] وهي قرية عامرة ، ذات خيرات وافرة ، وغلل متكاثرة . فيحاء الضواحي ،  
جميلة النواحي ، منخصرة الأرجاء ، فضيئة الأنحاء ، وهي من وقف المرحوم السعيد  
وليّ الله تعالى الملك العادل نور الدين الشهيد ؛ من جملة أوقافه على المرستان ، وهي  
الآن في ذخيرة السلطان ، فأنحننا بها من عَطَنَ ، وقد أشرفنا بحمد الله على الوطن .  
وأقمنا بها إلى العصر ، وقد زال العناء والحصر ، وحصل الجبر والنصر ، ثم سرنا قافلين  
عن أوطار بحمد الله مقضية ، ومساع بفضل الله مرضية .

ولم نزل نجوب في تلك البرية ، إلى أن وصلنا إلى قرية القُصَيْرِ (2) عشية ، فنزلنا  
بها واليوم في سن الاكتهال ، وأيدينا مرتفعة بالشكر لله تعالى والابتهال ، وهي قرية  
حسنة ، ودمنة مستحسنة ، طيبة الهواء ، مشرقة الأضواء . جمّة الخيرات ، طيبة  
النبات ، كاملة الأذوات ، فهي بغية النفس ، وغاية الأنس ، ومنية الطرف ، ومسرح  
الطرف ، وسلوة خاطر ، ونزهة الناظر ، من حيث استقبلتها أشرفت [176ب] وكيف  
ما نحت أساريرها (3) برقت : [من الطويل]

بلاد (4) بها الحَصْبَاءُ دُرٌّ وَتُرْتُهُا  
عَبِيرٌ وَأَنْفَاسُ الرِّيحِ (4) شَمُولٌ

(1) القُطَيْفَةُ : قرية تقع في طرف البرية من ناحية حمص ، على طريق القاصد من حمص إلى دمشق ،  
وتبعد عنها نحو 40 كم . (معجم البلدان 4 : 378 وصبح الأعشى 14 : 381) .

(2) القُصَيْرِ : تصغير قصر ، بلدة صغيرة بالفوطة الشرقية ، وهي أول منزل لمن يريد حمص من دمشق ،  
أنظر : معجم البلدان 4 : 367 . أخبار الدول 3 : 444 وصبح الأعشى 14 : 381 .

(3) وردت في (ع) : «إشارتها» .

(4) في الديوان : «الشمال» .



تَسَلَّلَ فِيهَا<sup>(1)</sup> مَاؤُهَا وَهُوَ مُطَلَقٌ  
وَصَحَّ نَسِيمُ الرُّوضِ وَهُوَ عَلِيلٌ<sup>(2)</sup>

فبِتْنَا بِهَا لَيْتَنَا ، وَنَقَعْنَا<sup>(3)</sup> فِيهَا غَلْتَنَا ، وَأَبْدَلْنَا فِيهَا عَلْتَنَا ، وَقَدْ اشْتَدَّ الشُّوقُ  
وَالهَيْامُ ، وَتَضَاعَفَ التَّلْهَفُ وَالغَرَامُ ، وَطَرَدَ عَنَّا أَعْيُنُنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ الْمَنَامَ<sup>(4)</sup> : [مِنَ الْوَافِرِ]  
وَأَبْرَحَ مَا يَكُونُ الشُّوقُ يَوْمًا  
إِذَا دَنَتِ الْخِيَامُ مِنَ الْخِيَامِ<sup>(5)</sup>

وَكَلَّمَا قَبِيلَ غَدًا تَدْنُو الدَّارَ ، وَيَقْرُبُ الْمَزَارَ ، طَرِبْتُ عَلَى السَّمَاعِ ، وَانْتَشَيْتِ بَرَقِبِي  
الاجْتِمَاعَ ، وَكَفَكَفَتِ الْعِبْرَاتُ ، وَتَمَثَّلَتْ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ : [مِنَ السَّرِيعِ]  
قَالُوا غَدًا تَدْنُو فَوَاحِسِرْتَا  
لَوْ أَنَّ بِالْعَمْرِ غَدًا يُشْتَرَى  
يَا لَيْلَةَ قَدِ بَقِيْتِ هَلْ أَرَى  
أَحْمَدَ فِي صَبِيحِ دَجَاهَا السَّرِيِّ  
أَسْمَعَ بِالْقُرْبِ وَلَكِنْنِي  
لَا تَنْطَفِئُ نَارِي حَتَّى أَرَى<sup>(6)</sup>

(1) فِي الدِّيْوَانِ : «دِيَارٌ» .

(2) الْبَيْتَانِ لِشَرَفِ الدُّيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ عَيْنِينَ وَهِيَ فِي دِيْوَانِهِ ص 69 وَفِي تَاجِ الْمَفْرُوقِ 1 :  
240 بَلَا عَزْو .

(3) وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ : «مَنْهَا» .

(4) وَرَدَتْ فِي (ع) : «وَنَقَعْنَا» .

(5) سَقَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ (ع) .

(6) الْبَيْتُ فِي تَرْبِيعِ الْأَسْوَاقِ ص 32 بَلَا عَزْو .

(7) الْأَبْيَاتُ فِي تَاجِ الْمَفْرُوقِ 2 : 280 بَلَا عَزْو .

ولم أزل أرقب النجم أتى سار ، تارةً عن اليمين وأخرى عن اليسار ، وطوراً في ارتفاع وحيناً في انحدار : [من الكامل]

أرأيت ما قد قال لي نجم الدجى [177أ]

لما رأى طرفي يديم شهـهـوداً<sup>(1)</sup>

حـتـام ترمقني بطرف ساهر

أقصر فلست حبـيبك المبعوداً<sup>(2)</sup>

واستمررت أرقب مواقع النجوم ، وأترصد ثوابق<sup>(3)</sup> الرجوم ، وأنتظر ابتسام الليل بعد الوجوم ، وهو لا يزداد إلاً تمادياً ، وكلما استعجلته في السرى أراني تباطئاً ، وكلما رأني نشطاً ازداد توانياً : [من البسيط]

فمن كان يحمد ليلاً في تقاصره

فإن ليلي لا يرجى له سحر

لا تسألوني إلاً عن أوائله

فإن آخر ليلي ما له خبر<sup>(4)</sup>

فلم أزل أسارقه عقله ، وأحاول منه غفلة ، إلى أن مال ميعة ، فاغتلته غيلة ، وأبخسته كيـله ، ولم أعطه نيـله (وجلـت عليه جولة ، ولم أبق له حيلة)<sup>(5)</sup> فحينئذٍ أسرج خيله وشمّر للفرار ذيله : [من الطويل]

وولت نجوم للشرى كأنها

خسواتيم تبدو في بنان يد تخفى

(1) وردت في (ع) : «مشاهدا» .

(2) وردت في (ع) : «المتباعدة» .

(3) وردت في (ع) : «مواقت» .

(4) ورد عجز البيت في (م) و (ع) : «فآخر الليل ما عندي له خبر» .

(5) ما بين القوسين كُتب في (م) على الهامش ، وسقط من (ع) .

ومـرّ على آثارها وبراءتها  
 كصاحب ورد أكرمت خيله خلفا  
 وأقبلت الشعري العبور بلبه  
 بمرزمها اليعسوب تجنبه طرفا  
 كأن بني نعش ونعشاً عطائل  
 بوجره قد أظلوا في مهمة خشفا [177ب]  
 كأن سهيلاً في مطالع أفقه  
 مفارق ألف لم يجد بعده الفا  
 كأن سهاها عاشق بين عود  
 فأونة يبـدو وأونة يخفى  
 كأن الهزيع الأبنوسي وهنة  
 سرى بالنسج الخسرواني ملتفا  
 كأن ظلام الليل إذ مال ميلاً<sup>(1)</sup>  
 صريع مدام بات يشربها صرفا  
 كأن السُّماكين اللذين تظاهرا  
 على لبـدتيه ضامنان له الحنفا  
 كأن فعل قطبها فارس له لواءان  
 مركوزان قد كره الزحفا

تشبيه آخر: [من الطويل]

كأن الدجى لما تولت نجومه  
 مدبر حرب قد هزمتنا له صفا  
 كأن عليه للهجيرة روضة  
 مفتحة الأنوار أو نشره زعفا

(1) وردت في (ع) : «ميلة» .

كأننا وقد ألقى إلينا هلاله  
 سلبناه جاماً أو قصمنا له وقفا  
 كأن السهي إنسان عين غريقة  
 من الدمع تبدو كلما ذرفت ذرفا  
 كأن سهيلاً فارس عاين الوغى  
 ففر ولم يشهد طراداً ولا زحفا  
 كأن سنا المريخ شمعة قابس  
 تخطفها عجلان يقذفها قذفا<sup>(1)</sup>  
 كأن أفول البيد<sup>(2)</sup> طرق تعلقت  
 به سنة ما هبّ فيها ولا أغفى [178]

فلما بقي من الليل القليل ، أخذنا في التحميل ، وسألنا من الله التيسير  
 والتسهيل ، ثم شرعنا نسير في تلك الهضاب ، ونجول في هاتيك الشعاب ، إلى أن  
 تمزّق من الليل الجلباب ، وتتشعّ ظلامه وانجاب ، وظهر الفجر من الحجاب ، ومدّ من  
 سرادق ضيائه على الوجود الأطناب ، (وافترّ ثغر الضوء في وجه ذلك الجوّ)<sup>(3)</sup> ، وأقبل  
 الصبح مبشراً بالاجتماع ، كما كان منذراً بالفراق في حالة الوداع ، فشكرت سعيه إذ  
 ذاك ، وأنشدت وأنا باك : [من المضارع]

شكرت سعي الصباح لما  
 وافا بشيراً بالاجتماع  
 وقلت عُفراً لما جنته  
 يداك في حالة الوداع

(1) سقط هذا البيت والذي يليه من (ع) .

(2) وردت في (م) : «النشر» .

(3) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

فلما لاح ابن ذُكَّاء<sup>(1)</sup> والتحف الجوّ بالضياء هبّ علينا نسيم تلك الديار<sup>(2)</sup> ، وقابلنا وجهها بالاستبشار ، فطار القلب كل مطار ، وجادت العين بالدمع المدرار ، وأنشدت في تلك الأقطار والدمع يستوقف القُطَّار<sup>(3)</sup> [178ب] :

هبت سحرأ فنبهت وسواسي  
نشوى خطرت عليلة الأنفاس  
أهدت أرج الرجاء بعمد اليأس  
ما أحسن بعد وحشتي إيناسي

وما برحنا نلتحف من تلك البقاع برودا ، ونقابل من هضابها نهودا ، ومن رباها أعينأ وخطودا ، ونلتمس منها معاهد وعهودا ، وقد برز إلى الملتقى سائر الأصحاب والأصدقاء ، ولم يزلوا يتواردون إليّ ، ويطيّلون التسليم عليّ ، وقد استطارت صدوع كبدي من الحنين إلى ولدي ، فلم يكن بأسرع من إقبال المبشر بقدمه ، ثم اجتلاء طلّعته مع تسليمه<sup>(4)</sup> ، فأرسلت الدموع<sup>(5)</sup> تترى ، وحمدت الله تعالى شكرا ، وأنشدت لبعضهم شعرا :

عينيّ دمعتم مسرةً بالجمع  
قالوا مهلاً ما في البكاء من نفع  
دع عينك تستغنم منهم نظراً  
ما ذا زمن تشغلها بالدمع<sup>(6)</sup>

(1) ابن ذُكَّاء : هو الصبح ، ويقال للشمس ذكاء ، والصبح من ضوئها .

(2) وردت في (م) و (ع) : «الدار» .

(3) القُطَّار : السحاب الكثير القطر أي المطر .

(4) وردت هذه العبارة في (م) و (ع) : «ثم اختلاط لبعه مع تسليمه» .

(5) وردت في (م) و (ع) : «دموع العين» .

(6) سقطت هذه الأبيات من (ع) وكُتبت في (م) على الهامش . وهي تما ينسب إلى الملك أبي الغداء

صاحب حماة ، انظر : تاج المُفرّق 2 : 132 .

وكان من جملة الملتقين إلى ذلك المكان من الأصحاب والأصدقاء والخلائن ،  
 الشيخ الإمام الأوحى ، والحبر الهمام الأمد [179أ] فخر السنة والملة ، وإمام الأئمة  
 الجلّة ، ولي الله الكريم عليه ، المنقطع إليه ، المنتفع بالقراءة<sup>(1)</sup> والتلاوة بين يديه . أجلّ  
 العلماء العابدين ، وأنبأ الأولياء الزاهدين ، وأحفل الفقهاء الماجدين ، الشيخ أبو  
 العباس أحمد شهاب الدّين العريقي الأصيلي المعروف نسبه بالميلي<sup>(2)</sup> .  
 والشيخ الفقيه العالم النبيه الحبر الأواه الخاشع لله ، العالم العلامة والحافظ  
 الفهامة ، خير الأخيار وحبر الأبحار ، ذو الفضل المتين ، والعقل الرصين ، الشيخ  
 محمد شمس الدّين العجلونيّ الرعيوني<sup>(3)</sup> .

والشيخ الأفضل الأوحى الأكمل ، عين الأصحاب ، ورأس الأحاب ، ذو الحكم  
 الظاهرة ، والشيم الطاهرة ، والنباهة<sup>(4)</sup> الحاضرة ، والنزاهة التي أذعنت لها الدنيا  
 وتُرجى لها الآخرة ، ذو الفضل المبين ، والعقل المتين ، الشيخ أبو المحاسن يوسف جمال  
 الدّين بن خضر الشافعيّ الصوفيّ القادريّ .

(والشباب الفاضل العالم الكامل ، ذو [179ب] الأعراق الزكية ، والأخلاق  
 المرضية ، الكثير المحاسن ، القليل المساويء ، الشمس محمد بن الحمزاوي<sup>(5)</sup> .  
 والشيخ الفاضل والعالم العامل<sup>(6)</sup> المهذب الأخلاق ، الطيب الأعراق ، ذو المحبة  
 الصادقة ، والأخلاق الموافقة ، ذو المحل الأسمى ، المطابق منه الاسم المسمى ، خير

(1) سقطت هذه الكلمة من الأصل .

(2) وردت في (ع) : «العريق الأصيل المعروف نسبه بالميل» ، وانظر : الكواكب السائرة 2 : 120 ، 3 :  
 122 .

(3) هو محمد بن إسماعيل بن محمد الشافعيّ ، توفي سنة ٥٥٩هـ ، انظر ترجمته في : الكواكب السائرة  
 2 : 27- ، وشذرات الذهب 10 : 441 .

(4) وردت في (ع) : «والشاهد» .

(5) ما بين القوسين ساقط من (م) و (ع) . وصاحب الترجمة هو : محمد بن أحمد بن أحمد ، انظر  
 الكواكب السائرة 2 : 27 .

(6) وردت في (م) و (ع) : «الكامل» .

التلاميذ ، ورأس الأسانيد ، اللابس من التقوى خير لباس ، المحبّ ابن الرّزخوني القوَّاس (1) .

والشيخ العلامّة الإمام الفهامة ، الحبر المجيد ، الباحث المفيد ، الأوحّد الفريد ، ذو الفضل البارِع ، والذكاء الصّادِع ، الطيّب الموارد والمشارِع . الآتي من ذكائه بما تقضى (2) منه العجب ، الشيخ زين الدّين الحمويّ المسمّى برجب (3) .

والشيخ العالم الإمام الأوحّد الأمجد الهُمّام ، المرتقي بفضله إلى أعلى مقام ، المفنّن (4) في العلوم ، والمتبحّر في المنطوق والمفهوم ، ذو الخلق المعتدل والطبع المستوي ، الشيخ علاء الدّين ابن أبي [180] سعيد الحموي (5) .

والشيخ العالم المحقّق ، الفاضل البارِع المدقّق ، البعيد الهمم ، الزكي الشيم ، الراسخ القدم ، ذو الذهن الثاقب ، والفكر الصائب ، المتقدّم على أكثر من يدرس ويفتي ، الشيخ شمس الدّين محمد الجبرتي .

والشيخ الفاضل ، والعالم العامل ، الأوحّد الكامل ، الأصيل (6) الجليل ، الحسيب النبيل ، الرئيس النفيس الكامل المروءة والتام الفتوة ، ذو المناقب التي يحدها ذكاء ، والفعال (7) التي في غيرها قطع الشركا ، والأصول التي من فروعها سرى الحسب والزكا العضيدي الذخري ، الشيخ بدر الدّين البكريّ .

(1) هو محمد بن عبد الجليل بن محمد ، توفي سنة 964هـ ، وترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 40 ، وشذرات الذهب 10 : 498 .

(2) وردت في (ع) : «يفضي» .

(3) هو رجب بن علي بن أحمد الشهير بالعزازي توفي سنة 960هـ ، وترجمته في الكواكب السائرة 2 : 143-144 ، وشذرات الذهب 10 : 470 .

(4) وردت في (ع) : «المعين» .

(5) هو علي بن محمد بن حسن الحموي المشهور بابن أبي سعيد توفي سنة 940هـ ، وترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 199- ، وشذرات الذهب 10 : 239 .

(6) وردت في (ع) : «الدّين» .

(7) وردت في (ع) : «والعقل» .

والشيخ الصالح الكامل العابد الزاهد العالم<sup>(1)</sup> المحب الصادق ، والخلّ الموافق ، ذو الإخلاص والصفاء ، والصدق والوفاء ، اللاهي بربه عن الملاهي ، الشيخ الصوفي عبد الكريم الأميهاي<sup>(2)</sup> .

والشيخ الفاضل البارع الكامل العالم العالم ، ذو المناقب والشمائل ، الحافظ اللافظ ، المذكر الواعظ ، الحسن السميت ، الطيب النعت [180ب] ذو الدين الثخين<sup>(3)</sup> ، والعقل المتين ، والفضل المبين ، قرّة عين المحب وسخنة<sup>(4)</sup> عين العادي ، الشيخ أبو الحسن علاء الدين ابن<sup>(5)</sup> البغدادي ، وغيرهم من المحبين والأصحاب المتوددين ، والتلامذة المترددين ولم يزلوا يقدون زماً ويردون نقرأ فنقرأ .

فلما كثر المترددون والمتابون ، وقد وصلنا إلى محلة القابون<sup>(6)</sup> ، نزلت من المحارة في رأس تلك الحارة ، وامتطيت صهوة جوادي ، وقد قوى فؤادي عند مشاهدة بلادي ، وظهّرت للصحّة إن شاء الله بوادي . فيا له من طرف أشهب ، قد اختصر من بالغ في وصفه وأسهب ، مربع<sup>(7)</sup> رائق ، لاحق سابق ، مطلق الجرائد ، قيد الأوابد ، يلوح كالصباح ، ويسابق الطّرف وبياري الرماح ، ويمرح بين اختيال وارتياح ، وارتجاج وارتجاج . تستوقف اللحظات<sup>(8)</sup> في حضرته برقة حسنه وكمال خلقتة . ذي نخوة شمخت به عن نده ، وشهامة طمحت به عن ضده ، [181أ] فهو الأشمط الذي حقه

(1) وردت في (م) و (ع) : «الكامل» .

(2) عبد الكريم بن عبد اللطيف بن علي ، توفي سنة 940هـ ، وترجمته في : الكواكب السائرة 2 : 178 ،

وشذرات الذهب 10 : 338 وفي كليهما : «المياهي» .

(3) وردت في (ع) : «السمين» .

(4) وردت في (ع) : «ونتيجة» .

(5) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(6) القابون : موضع بينه وبين دمشق 4 كم ، في طريق القاصد إلى العراق . انظر : معجم البلدان 4 :

290 ، صبح الأعشى 4 : 195 .

(7) وردت في (ع) : «رائع» . ومعنى مربع : خصيب .

(8) وردت في (ع) : «للخطاب» .



لا يُغْمَط . أكرم به من مرتاضٍ سالك ، ومجتهد على غايات السابقين الأولين  
 متهالك ، وأشهب يروي مني عن مالك . قد لبس وقار المشيب في ريعان العمر  
 القشيب ، وأنصت الأذان من صهيله<sup>(1)</sup> المطيل المطيب ، لما ارتدى بالبياض إلى نغمة  
 الخطيب ، فسار بي الفرس المذكور سير المهيب الوقور بين تلك الأصحاب والأصدقاء  
 والأحباب ، فشاهدتُ نوراً خلاف العادة إشراقه ، وعزُّ على<sup>(2)</sup> ضوء النيرين لحاقه .  
 عرفته البصائر قبل الأبصار ، وأنكرته النواظر لعلو جوهر نوره على الأنوار ، فأيقنت أن  
 لله في أرضه المقدسة من الأسرار ، ما لا يظهر عليه من عباده إلا الأختيار ، ولم نزل  
 نسير بوقار وسكينة إلى أن دخلنا بحمد الله المدينة : [من الطويل]

هي الدار لا أصحابها من علاقة

لأمر لنا بين الجوانح مضممر

فجاد على أرجائها الغيث أنها

منازل جيران كرام ومعشر<sup>(3)</sup>

ثم وصلت إلى منزل الأحباب ، ومنزه الألباب [181ب] ووفدتُ على تلك  
 الاعتاب<sup>(4)</sup> ، (واستفتحتُ تلك الأبواب)<sup>(5)</sup> : [من الطويل]

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل

وعدت إلى تصحيح أول منزل

ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه

منازل من تهوى رويدك فـانزل<sup>(6)</sup>

(1) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(2) وردت في (ع) : «عن» .

(3) البيتان في تاج المفرق 2 : 155 بلا عزو .

(4) وردت في (م) و (ع) : الأعباب .

(5) ما بين القوسين ساقط من (م) و (ع) .

(6) البيت في تاج المفرق 1 : 293 وهي مطلع قصيدة لعبد الله بن أسعد اليافعي اليميني المتوفى سنة

768هـ ، انظر ترجمته في : شذرات الذهب 8 : 362 .

فنزلت بذلك الجناب ، وتلقيت أولئك الأحباب ، فجمع الله تعالى الشمل ، وله سبحانه المنّة والفضل ، بالوالدة والأولاد وبقية الأهل ، فتلقنتي والدتي دامعة العين ، تنادينني بقرة العين ، وتشكوني بالانقطاع والبين ، وتحمد الله على رؤيتي قبل حين الحين ، وكذلك بقية الأولاد والأخوات ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات :  
[من الطويل]

وألقت عصاها واستقرت<sup>(1)</sup> بها النوى  
كما قر عينا بالإياب المسافر<sup>(2)</sup>

فيا لله هنالك من صلة رحم ، وشمل منتظم ، وصدع ملتئم ، وقلب منجبر غير منقسم<sup>(3)</sup> . وطلع نجم السعد ، ويسر الله تعالى بإيجاز ذلك الوعد ، وحللتنا حلول الحياة بالجسم ، والإعراب في آخر الاسم ، فأتقد سراج الأنس في [182أ] ليل ذلك التوهم ، وأومض برق التبسم في وجه ذلك التجهم ، ومضى لنا من ذهول الألباب ، ومحادثة الأحباب ، ومجازبة أهداب الآداب : [من الكامل]

يومٌ كأن نسيمه من عنبر  
وتخال أن أديمه من جـوهر  
لـوباعت الأيام آخر مثله  
بالعمر أجمع كنت أول مشتري<sup>(4)</sup>

وقد قالوا ليس يعدل ساعة الفراق إلا ساعة التلاق : [من الوافر]

(1) وردت في (ع) : «واستقر» .

(2) البيت المذكور في تزيين الأسواق ص32 بلا عزو . وفي الأغاني (11 : 110) للمعمر بن أوس البارقي ،

وهو صاحب القصيدة التي من جملتها هذا البيت المشهور ومطلعها :

أمن آل شعثاء الحمول البواكرُ مع الليل أم زالت قبيلُ الأباعرُ

(3) سقطت هذه الكلمة من (ع) .

(4) الأبيات في ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي 259 ، لكنها ليست من شعره .

فلولا البعد ما حمد التداني  
ولولا البين ما طاب التلاقي<sup>(1)</sup>

ولم أزل بالوطن أتلافا ما فرط ، وأستبدل الراحة بالعناء والرضى بالسخط ، إلى أن انصلحت الأحوال ، وحسنت في الحال والمال إن شاء الله تعالى<sup>(2)</sup> ، ونسأل الله المحسن المجمل المنعم المفضل أن يختم لنا بالحسنى ، ويؤوانا من رضاه المحل الأشرف الأسنى ، وأن يرزقنا في سائر أحوالنا من أمنه أمانا ، إنه سبحانه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

انتهت الرحلة المباركة الملقبة بالمطالع البدرية في المنازل الرومية (على يد منشئها فقير عفو الله تعالى وغفرانه ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر مفرج بن بدر بن عثمان بن جابر العامري الشهير بابن الغزي الشافعي ، غفر الله له ولهم ولسائر المسلمين ، في ليلة يسفر صباحها عن يوم الأربعاء المبارك سادس عشرين ذي الحجة سنة أربعين وتسعمائة ، أحسن الله ختامها وقدر في خير تمامها بمنه وكرمه ، أمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل)<sup>(3)</sup> .

(1) البيت في تاج المفرق 2 : 156 بلا عزو .

(2) سقطت هذه الكلمة من الأصل .

(3) ما بين القوسين سقط من الأصل .



## ثبت مصادر ومراجع التحقيق

- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 958هـ) : الديوان [قراءة وتعليق] عبد السلام الهراس . تونس : الدار التونسية ، 1985م .
- الإريلي ، على بن عبي بن أبي الفتح : التذكرة الفخرية [تحقيق] نوري حمودي القيسي ، حاتم صالح الضامن . بغداد : المجمع العلمي العراقي ، 1984م .
- الأصبهاني ، أبو بكر محمد بن داود : كتاب الزهرة [تحقيق] إبراهيم السامرائي ، نوري حمودي القيسي . ط2 ، الزرقاء (الأردن) : مكتبة المنار ، 1985م . (2مج) .
- الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد البغدادي (ت 356هـ) : كتاب الأغاني . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1963م . (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب) .
- البدوي المثلث ، يعقوب العودات : ديك الجن الحمصي . ط2 ، عمان : وزارة الثقافة ، 1991م .
- البصري ، علي بن يوسف بن علي (ت 905هـ) : تاريخ البصري [تحقيق] أكرم حسن . بيروت : دار المأمون للتراث ، 1988م .
- ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله اللواتي (ت 779هـ) : رحلته المسماة « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » [تحقيق] عبد الهادي التازي ، الرباط : الأكاديمية المغربية ، 1997م . (5مج)
- البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487هـ) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع [تحقيق] مصطفى السقا ، بيروت : عالم الكتب ، 1945م . (2مج)
- البكري الصديقي ، محمد بن أبي السرور (ت بعد 1071هـ) : المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، وذيله : اللطائف الربانية على المنح الرحمانية [تحقيق] ليلي الصباغ ، دمشق : دار البشائر ، 1995م .
- البَلّوي ، خالد بن عيسى (ت بعد 767هـ) : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق [تحقيق] الحسن السائح . الرباط ، الإمارات : صندوق إحياء التراث الإسلامي

- \* المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، (د.ت). (2مج).
- \* أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت 231 هـ): الديوان [شرح وتعليق] شاهين عطية، مراجعة الأب بولس الموصللي، بيروت: مكتبة الطلاب، 1968م.
- \* الشعالي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت 429 هـ): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. بيروت: دار الكتب العلمية، 1979م. (4مج).
- \* ابن جبير، محمد بن أحمد (ت 614 هـ): الرحلة، بيروت: دار صادر (د.ت).
- \* ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم بن يوسف (ت 971 هـ): درّ الحبيب في أعيان حلب [تحقيق] محمود الفاخوري، يحيى عبّارة، دمشق: وزارة الثقافة، 1972م.
- \* الخزرجي، عائشة: نسيب الشريف الرضي «الحجازيات وقصائد أخرى». بغداد: دار الجماهير للصحافة، 1985م.
- \* ابن خفّاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح (ت 533 هـ): الديوان. بيروت: دار صادر، ودار بيروت، 1961م.
- \* ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان [تحقيق] إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة (د.ت).
- \* الخنساء، ثُمّاض بنت عمرو بن الحرث (ت 24 هـ): شعر الخنساء. [تحقيق] كرم البستاني. ط2، بيروت: دار المسيرة، 1982م.
- \* —: شرح ديوان الخنساء. [شرح وتحقيق] عبد السلام الحوفي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م.
- \* الخياري، إبراهيم بن عبد الرحمن (ت 1083 هـ): الرحلة المسماة «تحفة الأدباء وسلوة الغرباء» [تحقيق] رجاء محمود السامرائي. بغداد: وزارة الثقافة، 1980م. (3مج).
- \* داود الأنطاكي، داود بن عمر (ت 1008 هـ): تزيين الأسواق في أخبار العشاق. ط2، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1986م.
- \* الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ): سير أعلام النبلاء [تحقيق] شعيب الأرنؤوط (وآخرون..). ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م.
- \* الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل (ت 502 هـ): محاضرات

- الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء . بيروت : دار مكتبة الحياة ، (197م) .
- \* الرشيدى ، سالم : محمد الفاتح ، ط2 . بيروت : دار العلم للملايين ، 1969م .
  - \* الرصافي ، أبو عبد الله محمد بن غالب (ت 572هـ) : ديوان الرصافي البنسني [جمع وتقديم] إحسان عباس . ط2 ، بيروت : دار الشروق ، 1983م .
  - \* ابن الرقاع ، عدي بن زيد العاملي (ت نحو 95هـ) : الديوان [تحقيق] نوري حمودي القيسي ، حاتم صالح الضامن ، بغداد : المجمع العلمي العراقي ، 1987م .
  - \* الزركلي ، خير الدين : الأعلام «قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين» . ط6 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1984م .
  - \* الزمخشري ، محمود بن عمر الخوارزمي (ت 538هـ) : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار [تحقيق] سليم النعيمي . بغداد : وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، 1976م .
  - \* سامي ، شمس الدين : قاموس تركي ، إسطنبول : إقدام مطبعة سي ، 1899م .
  - \* سبط ابن العجمي ، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (ت 884هـ) : كنوز الذهب في تاريخ حلب [تحقيق] شوقي شعث ، فالح البكور . حلب : دار القلم العربي ، 1996م . (2مج)
  - \* السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، (19م) . (6مج)
  - \* ابن سعيد المغربي ، نور الدين علي بن محمد بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ) : المغرب في حلى المغرب [تحقيق] شوقي ضيف . ط3 ، القاهرة : دار المعارف ، 1978م . (2مج)
  - \* السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 911هـ) : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة [تحقيق] محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 . بيروت : دار الفكر ، 1979م . (2مج)
  - \* — : حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة [تحقيق] محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة : دار أحياء الكتب العربية ، 1967م . (2مج)
  - \* — : الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة [تحقيق] محمود الأرنؤوط ، محمد بدر الدين قهوجي ، ط2 ، الكويت : مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، 1989م .

- \* — : معجم شيوخ السيوطي (المنجم في المعجم) دراسة وتحقيق : إبراهيم باجس عبد المجيد ، بيروت : دار ابن حزم للطباعة والنشر ، 1995م .
- \* الشافعي ، محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي (ت 204هـ) : ديوان الإمام الشافعي [جمع وتعليق] سليمان سليم البواب ، دمشق : دار الحكمة للطباعة والنشر (د.ت) .
- \* ابن شاهين الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين (ت 873هـ) : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك [صححه] بولس راويس ، باريس : المطبعة الجمهورية ، 1894م .
- \* الشريف الغرناطي ، محمد بن أحمد (ت 760هـ) : رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة . القاهرة : مطبعة السعادة ، 1377هـ . (2مج) .
- \* الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764هـ) : كتاب الوافي بالوفيات . باعتناء هلموت ريتز (وآخرون . .) ط2 . فيسبادن : فرانز شتاينر ، 1983م .
- \* طاشكبري زادة ، عصام الدين أحمد بن مصطفى (ت 968هـ) : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية . بيروت : دار الكتاب العربي ، 1975م .
- \* الطباخ ، محمد راغب بن محمود بن هاشم الحلبي (ت 1370هـ) : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء [تحقيق] محمد كمال ، ط2 . حلب : دار القلم العربي ، 1989م . (7مج)
- \* طلاس ، مصطفى : المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري . دمشق : مركز الدراسات العسكرية ، 1992م .
- \* ابن طولون ، محمد بن علي بن أحمد بن خمارويه الدمشقي (ت 953هـ) : إعلام الوري بمن وولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى [تحقيق] محمد أحمد دهمان . ط2 ، دمشق : دار الفكر ، 1984م .
- \* أبو الطيب المتنبي ، أحمد بن الحسين الكندي (ت 354هـ) : الديوان ، بيروت : دار صادر (د.ت) .
- \* العباس بن الأحنف (ت 192هـ) : الديوان . بيروت : دار صادر ، دار بيروت ،



1965م .

- العباسي ، أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت 963هـ) : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص [تحقيق] محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت : عالم الكتب ؛ القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، 1947م . (2مج) .
- عرقلة الكلبي ، حسان بن نعيم الأعور (ت 567هـ) : الديوان [تحقيق] أحمد الجندي . بيروت : دار صادر ، 1992م .
- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت 1089هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب [تحقيق] علي محمود الأرنؤوط ، دمشق ؛ بيروت : دار ابن كثير ، 1968-1995م .
- ابن عَنَيْن ، أبو المحاسن محمد بن نصر (ت 630هـ) : الديوان . [تحقيق] خليل مردم بك . دمشق : المجمع العلمي العربي ، 1946م .
- الغزي ، نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الدمشقي (ت 1061هـ) : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة [تحقيق] جبرائيل سليمان جبور . ط2 ، بيروت : دار الأفاق الجديدة ، 1979م . (3مج) .
- — : لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر [تحقيق] محمود الشيخ ، دمشق : وزارة الثقافة والإرشاد ، 1981م . (2مج) .
- فريد بك ، محمد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت : دار الجليل ، 1977م .
- ابن فضل الله العمري ، أحمد بن يحيى (ت 749هـ) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار «دولة المماليك الأولى» [دراسة وتحقيق] دورويتا كرافولسكي . المركز الإسلامي للبحوث ، 1986م .
- ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ) : طبقات الشعراء [تحقيق] مفيد قميحة ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1981م .
- القرماني ، أحمد بن يوسف (ت 1019هـ) : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ [دراسة وتحقيق] فهمي سعد ، أحمد حطيط . بيروت : عالم الكتب ، 1992م . (3مج) .
- القزويني ، زكرياء بن محمد (ت 682هـ) : آثار البلاد وأخبار العباد . بيروت : دار

صادر، 1969م .

\* القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت 821هـ) : كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا . القاهرة : دار الكتب الخديوية ، 1913م . (14ج) .

\* كبريت ، محمد بن عبد الله الحسيني المدني (ت 1070هـ) : رحلة الشتاء والصيف [تحقيق] محمد سعيد طنطاوي . ط2 ، بيروت : المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، 1385هـ .

\* الكتبي ، محمد بن شاكر (ت 764هـ) : فوات الوفيات والذيل عليها [تحقيق] إحسان عباس ، بيروت : دار الثقافة ، 1974م .

\* لستراخ ، كي : بلدان الخلافة الشرقية . [ترجمة] بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ، ط2 . بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1985م .

\* مجنون ليلي ، قيس بن الملوح العامري (ت 68هـ) : الديوان [شرح] يوسف فرحات ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1992م .

\* المحبي ، محمد أمين بن فضل الله الحموي (ت 1111هـ) : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (د . م . : د . ن) (4مج) .

\* ابن معصوم المدني ، علي بن أحمد بن محمد (ت 1120هـ) : الرحلة المسماة «سلوة الغريب وأسوة الأديب» [تحقيق] شاكر هادي شكر . بغداد : مجلة المورد : مج8 : ع2 ، ع3 (1979م) ، ومج9 : ع1 ، ع2 (1980م) .

\* المقرئ ، أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي العيش التلمساني (ت 1041هـ) : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب [تحقيق] إحسان عباس ، بيروت : دار صادر ، 1968م . (8مج)

\* ابن منظور ، محمد بن مكرم المصري (ت 711هـ) : لسان العرب . بيروت : دار صادر ، 1883م . (15مج) .

\* ابن النبيه ، كمال الدين علي بن محمد بن الحسن (ت 619هـ) : الديوان ، القاهرة : المطبعة العلمية ، 1313هـ/1895م .

\* النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد المكّي (ت 990هـ) : البرق اليماني في الفتح العثماني «تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في

- أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر». أشرف على طبعه حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1967م.
- \* أبو نواس، الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي (ت 198هـ): الديوان [تحقيق] أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت: دار الكتاب العربي (د.ت).
- \* النويري، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب [تحقيق] محمد أبو الفضل إبراهيم (وأخريين . .)، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1954م. (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب).
- \* ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ): معجم الأدباء، ط3. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1980م.
- \* —: معجم البلدان، بيروت: دار صادر. (5مج)



## كشاف الأعلام

- 1 -

307 ، 89	ابن الأبار :
271 ، 264	إبراهيم الطاهر :
287 ، 134	إبراهيم باشا :
33	إبراهيم بن خفاجة الإشبيلي :
17	إبراهيم شيوخ :
204	الشيخ إبراهيم بن ظهيرة الشافعي :
262	إبراهيم بن العباس الصولي :
269	الشيخ إبراهيم بن محمد الحلبي :
132	الإمام أحمد بن حنبل :
201 ، 198 ، 196 ، 61 ، 60	الشيخ أحمد شهاب الدين :
17	أحمد صدقي شقيرات :
263 ، 177 ، 26 ، 25	أحمد الغزي :
69	أحمد بن الأمير محمد بن إدريس الدفتردار :
64 ، 63	الشيخ أحمد الهندي :
179	أحمد بن يحيى :
226	الأحنف بن قيس :
83	الأربلي :
154	الأمير أركماس :
177	الاستراباذي :
126	إسحق الموصلي :
176	إسرافيل :
278 ، 70	القاضي ابن إسرافيل :

258	أسعد بن بليطة :
177	الأسفرايني :
21	الأسكندر بن فيلبس :
177	الأشعري :
139	الأصمعي :
102	أفلاطون :
169	امروء القيس :
202	أمين الدين الأقصري :
255 ، 210 ، 209 ، 134 ، 114 ، 111	السلطان أورخان :
226 ، 224	القاضي إياس :
223 ، 130 ، 119	إياس باشا :

- ب -

177	الإمام الباقلاني :
296 ، 121 ، 96	السلطان بايزيد :
205	الإمام البخاري :
319	الشيخ بدر الدين البكري :
100 ، 96	بدر الدين عبدالرحيم :
105 ، 17 ، 15 ، 14 ، 13 ، 12 ، 11	بدر الدين الغزي :
232 ، 209 ، 200 ، 199 ، 186 ، 148	
323 ، 266	
70 ، 14	البدر بن النصيبي :
65	البدر بن حسين بن زين الدين عمر :
45	البدوي المثلث :
109	بديع الزمان الهمداني :
50	الشيخ بركات قاسم :

308	أبو البركات وفا :
205	البرماوي :
226	ابن برمك :
69	ابن البرهان :
203	برهان الدين إبراهيم اللقاني :
132	البيزار :
205	ابن بسم :
233	بشار بن برد :
131 ، 15	ابن بطوطة :
195	البغوي :
132	القاضي أبو بكر :
193	أبو بكر الصديق :
70 ، 63 ، 14	ابن بلال :
177	البلقيني :
131	ابن البواب :
292	بير باشا :

- ت -

193 ، 166	تاج الدين السبكي :
193	تقي الدين السبكي :
219 ، 33	أبو تمام :
295 ، 59	تميم بن المعز :

- ث -

67	ثابت البناني :
----	----------------

- ج -

87	الأمير جاتم :
193	جبريل (عليه السلام) :
86	ابن جبير :
90	ابن جدعان :
169	جرير :
65	جعفر بن فلاح :
292 ، 102	جلال الدين الرومي :
177 ، 67 ، 11	جلال الدين السيوطي :
65	جلال الدين النصيبي :
101	ابن جماعة :
303 ، 55	جمال الدين بن نباتة :
69	القاضي ابن جُنُفُل :
193	ابن الحوزي :
61	جوهر العلائي الطواشي :
199	جويرة الغزي :

- ح -

226 ، 90	حاتم الطائي :
205	ابن الحاجب :
268 ، 151	حاجي جليبي :
137	الحارث بن همّام :
132	ابن حبان :
204	الحجار :
110	الحجام :
180 ، 142 ، 132	ابن حجر :



56	ابن حجة الحموي :
132	ابن حزم :
95 ، 77	الأمير حسام الدين الحاجري :
132	الحسن بن علي بن أبي طالب :
204	الشيخ حسن بن نبهان :
291 ، 104	حسين باشا :
301 ، 60	الشيخ حسين البيري :
43	أبو الحسين بن سراج :
132	الحسين بن علي بن أبي طالب :
205	الحريري :
248	الخصري :
217	ابن حصن :
93	أبو حفص بن وضاح :
110	ابن حمديس :
318 ، 118 ، 114 ، 72 ، 70	الحمزاوي :
64	أبو حنيفة :
256 ، 12	أبو حيان النحوي :

- خ -

65	ابن الخازندار :
303 ، 14 ، 13	خالد بن عيسى البلوي :
309 ، 44	خالد بن الوليد :
268	الشيخ خجاجليبي :
199	خديجة الغزي :
166	الخزرجي :
84	الخطابي :

261 ، 110 ، 107 ، 78 ، 43	ابن خفاجة :
16	خليل بن زين الدين الإخنائي :
69 ، 62 ، 14	ابن الخناجري :
140 ، 139 ، 39	الخنساء :
105 ، 104	الخوارج ناصر الدين (جحا) :
، 255 ، 118 ، 111 ، 104 ، 36 ، 15	الخيارى :
291 ، 286 ، 260	

- د -

132	الدارقطني :
59	داود الطنطا :
194	أبو داود :
12	درويش باشا :
268 ، 177	الإمام ابن دقيق العيد :
137	أبو دواد جارية بن الحجاج :
47 ، 45	ديك الجن الحمصي :

- ذ -

50	الذهبي :
----	----------

- ر -

196	راضية تاج الشرف :
200 ، 177	الإمام الرافعي :
107 ، 49	الرصافي :
، 131 ، 130 ، 129 ، 128 ، 22 ، 11	شيخ الإسلام رضي الدين الغزي :
، 181 ، 160 ، 153 ، 151 ، 148 ، 142	

، 200 ، 196 ، 195 ، 194 ، 187

266 ، 264 ، 263

85

ابن الرقاع العاملي :

- ز -

319

ابن الزرخوني القواس :

194 ، 67

الزركشي :

101

أبو زكريا المغربي :

65

الشيخ أبو زكريا يحيى بن حسن قحقار :

77 ، 14 ، 13

زهير المهلبى :

140

الشيخ زين الدين الأسدي :

319

الشيخ زين الدين الحموي :

194

الشيخ زين الدين خطاب :

زين الدين عبدالرحمن بن إبراهيم الجعفري :

65

الشيخ زين الدين عمر بن أسامة :

64

الشيخ زين الدين عمر بن الشيخ الصالح يحيى :

66

زين الدين الكاتب ابن عبيدالله :

78

زين الدين بن الوردي :

74 ، 58

- س -

120

ابن سارة الإشبيلي :

121

د . سالم الرشيدى :

273 ، 198

السري الرفاء :

177

السريجي :

267 ، 156 ، 147

سعدى بن عيسى :

140

سكينة بنت الحسين :

271 ، 146	: السلطان سليم خان
72	: سليمان باشا
146 ، 21	: السلطان سليمان خان بن عثمان
12	: السمين
120	: الأمين سنان جلبي
218	: سهل بن مالك الأزدي
202	: الشيخ سيف الدين الحنفي

- ش -

195	: الشاسي
262 ، 177 ، 38	: الإمام الشافعي
70	: ابن شاهين الظاهري
202 ، 143	: ابن الشحنة
66	: شرف الدين عبدالرحمن العجيمي
303 ، 94 ، 93	: الشريف الرضي
289	: الحج شعبان بن رمضان
64	: الشعبي
272 ، 246 ، 70	: شمس الدين سامي
193	: الشيخ شمس الدين بن عدلان
203	: الشيخ شمس الدين محمد الأمشاطي
319	: الشيخ شمس الدين محمد الجبرتي
67	: الشيخ شمس الدين محمد ابن الحمارة
66	: شمس الدين محمد بن خليل قنبر
68	: شمس الدين محمد بن النويرة
141	: شهاب الدين بن شقير التونسي
301	: الشهابي أحمد

- ص -

132	ابن الصباغ :
102	الإمام صدر الدين :
141 ، 140	صدر الدين المناوي :
256	الصلاح الإربلي :
36	صلاح الدين الأيوبي :
74	الصنوبري :

- ض -

259	الضياء بن ملهم المقدسي :
-----	--------------------------

- ط -

247	ابن طباطبا :
132	الطبراني :
138	طفيل الغنوي :
177	الإمام الطوسي :

- ظ -

60	الملك الظاهر غازي :
----	---------------------

- ع -

140	عائشة بنت طلحة :
204	عائشة بنت عبد الهادي :
64	ابن عباس :
318 ، 196	أبو العباس أحمد :
294	العباس بن الأحنف :
266	القاضي عبد الحفي جلبي :

- 63 ابن عبدربه :
- 266 الإمام عبدالرحمن جليبي :
- 257 عبدالرحمن الداخل :
- 302 الشيخ عبدالرحمن الكردي :
- ، 145 ، 137 ، 126 ، 118 ، 27 ، 22 عبدالرحيم بن أحمد العباسي :
- 250 ، 227 ، 223 ، 209 ، 198 ، 149
- 263 ، 128 عبدالرحيم بن علي المؤيد :
- 195 ، 194 ابن عبدالسلام :
- 272 القاضي عبدالصمد :
- 65 عبدالقادر الأبار :
- 309 ، 44 عبدالقادر بن الدعاس :
- 142 عبدالقادر العدوي :
- 50 الشيخ عبدالقادر قاسم :
- 50 الشيخ عبدالقادر الكيلاني :
- 320 الشيخ عبدالكريم الأمياهي :
- 322 عبدالكريم القيسي الأندلسي :
- 16 عبداللطيف الشافعي :
- 67 عبدالله بن أحمد :
- 321 عبدالله بن أسعد اليافعي :
- 32 عبدالله بن شارة الإشبيلي :
- 42 الشيخ عبدالله اليونيني :
- 296 ، 28 عبدالملك بن إدريس الخولاني :
- 67 الشيخ عبدالوهاب بن إبراهيم العرضي :
- 23 أبو عبيد البكري :
- 195 ابن العجيل :
- 17 عثمان عياصرة :

204	الشيخ عثمان بن محمد الديمي :
205 ، 204 ، 177	العراقي :
28	العرجي :
311	عرقلة الدمشقي :
69	عز الدين بن علو الدين الحاضري :
65	الشيخ عز الدين محمد بن شعبان :
147	علاء الدين بن مليك :
320	الشيخ علاء الدين بن البغدادي :
319	الشيخ علاء الدين بن أبي سعيد الحموي :
233 ، 104 ، 87 ، 58	أبو العلاء المعري :
273	العلائي علي :
39	العلامي البهائي العصي :
265 ، 264	ملا علي جليبي :
13	علي حسن عبد الحميد :
193	علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> :
305	الشيخ علي بن علوان الصوفي :
51	علي بن محمد الكوفي :
253	علي بن هشام :
141 ، 14	ابن العماد :
96 ، 78 ، 14	العماد الأصفهاني :
203	الشيخ عمر العبادي :
177	عمر بن الخطاب <small>عليه السلام</small> :
76	الشيخ عمر الكواكبي :
13	د . عمر موسى باشا :
313	ابن عنين :
61	ابن العوامة :

277	عوف بن محلم :
248 ، 178 ، 87	عيسى التتلا :
287 ، 72 ، 70	عيسى باشا :

- غ -

108	السلطان غازي :
75	الإمام الغزالي :

- ف -

138	فاطمة بنت التتوخية :
269	القاضي فتح الله :
111	أبو الفتح محمد علي الإسكندري :
177 ، 132	الفخر الرازي :
228 ، 79	أبو فراس الحمداني :
196	أبو الفرج محمد :
169	الفرزدق :
71 ، 70 ، 31 ، 23 ، 14	القاضي ابن الفرفور :
197 ، 137	أبو الفضل العباس :
296	ابن فضل الله العمري :

- ق -

266 ، 132 ، 15	قادري جلبي :
288 ، 133	قاسم باشا :
80	أبو القاسم العطار :
88	أبو القاسم بن معاوية :
102	القاضي غلاء الدين :



296	القاضي الفاضل :
81	السلطان قايتباي :
132	ابن قتيبة :
، 114 ، 109 ، 108 ، 105 ، 100	القرماني :
294 ، 286 ، 210 ، 134	
44	القزويني :
123 ، 73 ، 22	قسطنطين الأكبر :
270 ، 62	ابن القصاب :
انظر سيف الدين الحنفي	ابن قطلوبغا :
137	القعقاع بن شور :
73	الملك قلطيانوس :
96	القلقشندي :
69 ، 14	ابن قنبر :
137	قيس بن زهير :

- ك -

256	الملك الكامل :
، 108 ، 105 ، 104 ، 59 ، 58 ، 15	كبريت :
291 ، 255 ، 248 ، 118 ، 111 ، 109	
277	أبو كبير الهذلي :
235	كثير عزة :
270 ، 84	الكمال التادفي :

- ل -

14	لسان الدين بن الخطيب :
291 ، 100	لستراخ :

- 139 الخليفة المأمون :  
ابن مالك : 200 ، 192 ، 61  
23 المتلمس العبدى :  
المتنبى : 233 ، 33  
مجنون ليلى : 254 ، 180 ، 179 ، 119  
المحلى : 12  
النبي محمد ﷺ : 114 ، 106 ، 98 ، 45 ، 21 ، 12  
115 ، 132 ، 135 ، 136 ، 142 ، 165 ،  
175 ، 176 ، 180 ، 186 ، 187 ، 192 ،  
193 ، 194 ، 197 ، 199 ، 209 ، 210 ،  
215 ، 223 ، 254 ، 263 ، 271 ، 323  
9 محمد أحمد السويدى :  
284 محمد بن أحمد الشريف الغرناطى :  
200 محمد بن إدريس :  
202 الشيخ محمد بن برهان الدين النشائى :  
262 محمد بن أبى بكر البغدادى :  
203 الشيخ محمد البكرى :  
268 السلطان محمد الثانى :  
203 الشيخ محمد الجوجرى :  
121 ، 122 ، 123 ، 125 ، 131 ، 134 ،  
268 الشيخ محمد شمس الدين جلبى :  
318 الشيخ محمد شمس الدين العجلونى :  
205 الشيخ محمد بن الفرسى البصرى :  
121 محمد فريدبك :  
204 الشيخ محمد بن قاسم الشافعى :

205	الشيخ محمد القلشاني :
76 ، 66	محمد الكواكبي البيري الرحبي :
302	الحاج محمد المغربي البواب :
42	الشيخ محمد المنير العطار :
65	محمد بن هانئ :
51 ، 50	الشيخ أبو محمد وفا :
68	الشيخ محيي الدين بن دغيم :
266	محيي الدين بن الفناري :
202	الشيخ محيي الدين الكافياجي :
270	القاضي محيي الدين بن لطف الله :
	المختار :
	انظر النبي محمد ﷺ
57	مدلج بن ظاهر بن عساف :
32	ابن مرج الكحل :
33	أبو مروان بن أبي الخصال :
70	ابن المستوفي :
132	ابن مسعود :
233	مسلم بن الوليد :
	المصطفى :
	انظر النبي محمد ﷺ
116 ، 12	مصطفى باشا :
217 ، 215	الحاج مصلح الدين مصطفى :
99	أبو المعالي الحظيري :
91	ابن المعتز :
134	الخليفة المعتصم :
140	مصعب بن الزبير :
257	معاوية بن صالح القاضي :
248 ، 217	المعتمد بن عباد :

179	ابن معصوم المدني :
322	المعقر بن أوس البارقي :
52	أبو المغيرة بن حزم :
142	المقريزي :
83	المنازي :
99	منصور بن كيغلف :
126	ابن المنقذ :
انظر جلال الدين الرومي	منلاخنكار :
178	المهدي (المنتظر) :
272	مهيا بن محمد المصري :
203	الشيخ موسى بن عيد :
68	موفق الدين أحمد بن أبي ذر :

- ن -

7	نابليون :
74	الملك الناصر :
92	ابن النبيه :
204	نجم الدين الصحراوي :
14 ، 12	نجم الدين الغزي :
25	أبو نصر سعيد بن الشاه :
193	أبو نصر الفارابي :
52	نصر الله بن الفقيه المصري :
304	النعمان بن بشير الأنصاري :
74	نفيس الدين الأمدى :
233 ، 76 ، 68 ، 67	أبو نواس :
248 ، 212	نوح <del>الطحاوي</del> :

312	: الملك نور الدين :
73	: نور الدين زنكي :
73	: السلطان نور الدين الشهيد :
93	: نور الدين علي بن سعد الأندلسي :
200 ، 195 ، 132 ، 91	: النووي :
70 ، 14	: ابن النويرة :
33	: النويري :

- ه -

300 ، 139	: هارون الرشيد :
265	: أبو الهدى عبدالهادي :
204	: الشيخ الهرستاني :
12	: ابن هشام :
17	: د . هند أبو الشعر :
73	: هيلانة :

- و -

306	: الوادعي الكندي :
143 ، 142	: وفا الجوهري :
203	: الشيخ ولي الدين محمد السيوطي :

- ي -

105 ، 82 ، 75	: ياقوت الحموي :
273	: الشيخ يحيى بن بركات المكي :
73	: يحيى بن الخشاب :
65	: يحيى بن علي :
318	: الشيخ يوسف جمال الدين بن خضر الشافعي :
272	: يوسف سنان جليبي :

## كشاف الأمكنة

### أ-

288	آق بيق :
291 ، 105 ، 104	آق شهر :
289	آق واران :
79	الأثارب :
296	الأردن :
294 ، 100	أركلي :
288	أرميني بازار :
271 ، 270 ، 265 ، 210 ، 114	أزنكميد :
287 ، 255 ، 111	أزنيق :
، 209 ، 134 ، 132 ، 131 ، 22 ، 15	إستانبول :
211	
58	الأستانة :
286 ، 284 ، 260 ، 118 ، 117	أسكودار :
248	إشبيلية :
297 ، 90	أدنة :
265	أماسية :
298 ، 87 ، 82 ، 80 ، 79 ، 76	أنطاكية :

### ب-

76	باب أنطاكية :
12	باب توما :
13	بجاية :
، 255 ، 211 ، 209 ، 134 ، 118 ، 111	بحر مرمرية :

انظر بروسه  
209 ، 134 ، 132  
14  
41 ، 39 ، 24  
102  
، 104 ، 89 ، 88 ، 87 ، 22 ، 16 ، 15  
، 286 ، 278 ، 270 ، 269 ، 111 ، 105  
294  
انظر بلاد الروم  
89  
، 134 ، 129 ، 93 ، 76 ، 55 ، 54 ، 44  
311 ، 303 ، 278 ، 243  
انظر بلاد الشام  
104  
102 ، 99  
102  
288  
266  
303 ، 24  
13

260  
برصاه :  
بروسه :  
بروسيا :  
بعلبك :  
بغداد :  
بلاد الروم :

البلاد الرومية :  
بلاد السيس :  
بلاد الشام :

البلاد الشاميه :  
البلاد العثمانية :  
البلاد القرمانية :  
بلنخ :  
بوزيك :  
بيت الله الحرام :  
بيت المقدس :  
بيروت :

- ت -

209 ، 134  
291  
300

تركيا :  
تلعى :  
تل عدا :

205 تونس :  
300 تيزين :

- ج -

204 الجامع الأزهر :  
64 ، 25 ، 12 الجامعة الأموي :  
47 جامع حمص :  
61 جامع الطواشي :  
74 جبل الجوشن :  
24 جبل قاسيون :  
82 جبل اللكام :  
50 جيلان :

- ح -

230 ، 164 ، 129 الحجاز :  
21 الحرمين الشريفين :  
310 حسية :  
، 67 ، 66 ، 62 ، 60 ، 59 ، 14 ، 13 حلب :  
، 79 ، 76 ، 74 ، 73 ، 72 ، 69 ، 68  
، 301 ، 270 ، 269 ، 84 ، 82 ، 80  
304  
، 57 ، 56 ، 55 ، 54 ، 49 ، 48 ، 44 حماة :  
317 ، 305 ، 304 ، 91  
، 309 ، 73 ، 48 ، 47 ، 45 ، 44 حمص :  
312 ، 311 ، 310

- خ -

305 ، 58 خان شيخون :  
304 خان طومان :



36	خان الفندق :
230	خراسان :
- د -	
31 ، 24	دُمُر :
، 24 ، 23 ، 22 ، 15 ، 13 ، 12 ، 11	دمشق :
، 130 ، 73 ، 66 ، 60 ، 56 ، 44 ، 25	
320 ، 311 ، 310 ، 278 ، 236 ، 154	
286	الدُّوند :
286	الديل :
- ر -	
42	الراس :
41 ، 39	رأس العين :
309 ، 48	الرستن :
22	روما :
- ز -	
42	الزَّراعة :
59	زيتان :
- س -	
55	سرخس :
289	السقا :
- ش -	
، 70 ، 64 ، 62 ، 57 ، 55 ، 31 ، 25	الشام :
، 130 ، 112 ، 106 ، 80 ، 72 ، 71	
، 230 ، 164 ، 151 ، 135 ، 133 ، 131	
، 287 ، 278 ، 271 ، 266 ، 256 ، 250	
311 ، 302	

290 الشاي :  
55 شيزر :

- ص -

24 الصالحية :  
37 صرغايا :  
111 الصين :

- ط -

50 طبرستان :  
296 ، 96 ، 90 ، 87 طرسوس :

- ع -

320 ، 230 العراق :  
38 عقبة الرمانه :  
298 ، 82 عقبة بغراص :  
296 ، 96 عقبة الكولك :  
13 عمان :  
134 عمورية :

- غ -

235 غزة :  
131 الغلطة :  
24 غوطة دمشق :

- ف -

73 فامية :

-ق-

310	قارا :
289	القالاي :
201 ، 142 ، 87 ، 11	القاهرة :
289 ، 105	قراحصار :
285 ، 258	القرطل :
211	قرل أيضا :
14 ، 15 ، 22 ، 37 ، 104 ، 105 ،	القسطنطينية :
111 ، 114 ، 120 ، 121 ، 130 ، 147 ،	
148 ، 156 ، 209 ، 210 ، 244 ، 254 ،	
260 ، 263 ، 267 ، 271 ، 273	
312	القصير :
312	القطيفة :
298	قلعة باياس :
72	قلعة دمشق :
296	قلعة الكرك :
300 ، 73 ، 72	قنسرين :
102 ، 291 ، 292	قونية :

-ل-

116 ، 255 ، 285	كشكشيزه :
-----------------	-----------

-م-

108	محلة ابن أوكي :
320	محلة القابون :
100	المدينة المنورة :
7 ، 11 ، 25 ، 62 ، 143 ، 164 ،	مصر :

236 ، 230 ، 205 ، 204

298 ، 297 ، 89 ، 88 ، 87	المصيصة :
304 ، 59 ، 58	معرة النعمان :
73	مقام إبراهيم <small>عليه السلام</small> :
60	مقام الشيخ سعيد :
270 ، 204 ، 100 ، 84 ، 65	مكة :
300	منبج :

- ن -

311	النبك :
290	نسق لي :
131	نهر أسمى :
35 ، 31	نهر بردى :
297 ، 91 ، 90 ، 87	نهر جيحان :
88	نهر جيحون :
293	نهر سارسينا :
104	نهر سلسال :
91 ، 90	نهر سيحان :
57 ، 55 ، 54 ، 51 ، 48 ، 44	نهر العاصي :
88	نهر الفرات :
304	نهر قويق :

- ه -

231	الهند :
-----	---------

- و -

35	وادي بردی :
37	وادي الزبداني :
80	وادي العمق :

- ي -

311	يبرود :
299 ، 81	يغره :
112	اليمن :
288 ، 109 ، 108	ينكي شهر :



# المحتويات

6	استهلال
11	مقدمة
21	نص الرحلة :
21	مستهل الرحلة
31	الخروج من دمشق
31	قرية دُمر
35	وادي بردى
36	خان الفندق
37	وادي الزبداني
37	صرغايا
38	عقبة الرمانة
39	بعلبك
39	رأس العين
42	الراس
42	الزراعة
44	حمص
48	الرستن
48	حماة
58	خان شيخون
58	معرة النعمان
59	زيتان

59	حلب
74	جبل الجوشن
79	الأثارب
80	وادي العمق
81	يغره
82	عقبة بَغْرَاص
87	المصيصة
87	نهر جيحان
90	أدنة
90	نهر سيحان
96	عقبة الكولك
100	أركلي
102	قونية
104	آق شهر
105	قرا حصار
108	محلة ابن أوكي
108	ينكي شهر
111	أزنيق
114	أزنكميد (أزنكمود)
116	كنكثييزه
117	أسكودار
120	القسطنطينية
134	سفر السلطان إلى مدينة بروسا
209	إنتشار الطاعون في القسطنطينية
210	الرحلة الازنكمودية
211	قزل اضا
247	قرية ينكيجه
254	ذكر العود إلى القسطنطينية



255	كيشبزة
258	القرطل
260	أسكودار
260	القسطنطينية
280	ذكر الرجوع إلى الوطن
284	أسكودار
285	القرطل
285	كيشبزه
286	الديل
286	قرية الدروند
287	بحيرة أزنق
288	ينكي شهر
288	آق بيق
288	أرمني بازار
288	قرية بوزيك
289	قرية السقا
289	قرية القالاي (الكامالي)
289	قرية آق واران
289	قراحصار
290	قرية الشاي
290	قرية نسق لي
291	آق شهر
291	قرية تلعي
292	قونية
293	نهر سارسينا
294	أركلي
296	عقبة الكولك
297	أدنة

297	المصيصة
298	قلعة باياس
298	عقبة بغراض
299	خان يغره
300	بلدة تيزين
300	تل عدا
301	حَلَب
304	خان طومان
304	المعرة
305	خان شيخون
305	حماة
309	الرستن
309	حمص
310	حسية
310	قارا
311	النبك
312	القطيفه
312	القصير
320	محلة القابون

## صدر في سلسلة ارتياد الآفاق

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار 1185-1182	محمد بن جبير الأندلسي	علي أحمد كنعان
الذهب والعاصفة . . رحلة الياس الموصلي إلى أميركا ، أول رحلة شرقية إلى «العالم الجديد» 1683-1668	إلياس الموصلي	نوري الجراح
رحلتان إلى سوريا 1920-1908	الشيخ محمد رشيد رضا «صاحب المنار»	زهير أحمد ظاظا
رحلة الحبشة . . من الأستانة إلى أديس أبابا 1896	صادق باشا المؤيد العظم	نوري الجراح
الديوان النفيس في إيوان باريس أو «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»	رفاعة رافع الطهطاوي	علي أحمد كنعان
رحلة إلى أعالي النيل الأبيض 1840-1839	البكباشي سليم قبطان	نوري الجراح
رحلة إلى أوروبا 1912	جرجي زيدان	قاسم وهب
الرحلة الشامية 1910	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف 1929	شكيب ارسلان	أيمن حجازي
رحلة باريس 1867	فرنسيس فتح الله المرائش	قاسم وهب
الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية 1902	الحسن بن محمد الغسّال	د . عبدالرحيم موذن
رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1691-1690	محمد الغسّاني الأندلسي	نوري الجراح
خطرة الطيف . . رحلات في المغرب والأندلس 1362-1347	لسان الدين بن الخطيب	د . أحمد مختار العبادي
رحلة ابن خلدون 1401-1352	تحقيق محمد بن تاويت الطنجي	نوري الجراح
رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصفالبة 921	أحمد بن فضلان	شاكر لميبي

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
رحلة الفرناطي .. تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوروبا وآسيا	أبو حامد محمد الفرناطي	قاسم وهب
رحلة إلى الهند 1899-1900	مار اثناسيوس أغناطيوس نوري	نوري الجراح
رحلة أفوقاي الأندلسي .. مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب 1611-1613	أحمد بن قاسم الحجري «أفوقاي»	د . محمد رزوق
رحلة المقدسي .. أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم 985-990	محمد بن أحمد المقدسي	شاكر لعبيبي
سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير 1913-1914	الأمير يوسف كمال	جمال ملحم
النزهة الشهية في الرحلة السليمية 1855	سليم بسترس	قاسم وهب
رحلة الشتاء والصيف 1629	الشيخ محمد عبدالله الحسيني	سامر الشنواني
الرحلة الأوروبية 1919	محمد بن الحسن الحجري الثعالبي	د . سعيد الفاضلي
رحلة المكناسي .. إحرار المعلم والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785	محمد بن عبدالوهاب المكناسي	د . محمد بوكبوت
الواسطة في معرفة أحوال مالطة .. كشف الخبأ عن فنون أوروبا 1834-1857	احمد فارس الشدياق	قاسم وهب
الرحلة الأمريكية	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
الرحلة اليابانية	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
رحلة شيخ الأزهر إلى أوروبا .. مذكرات مسافر 1909-1914	الشيخ مصطفى عبدالرازق	أشرف أبو اليزيد
خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932	محمد الخضر حسين وآخرون	د . محمد صالح الجابري
رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال 1743-1748	ابن حمادوش	د . أبو القاسم سعد الله
رحلة محمد الكبير .. باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري	احمد التلمساني	د . محمد عبدالكريم

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
بيروت - برلين - بيروت . . مشاهدات في أوروبا وألمانيا اثناء الحرب العالمية الثانية	كامل مروة	كرم مروة
رحلة إلى صحراء ليبيا	محمد حسنين باشا	علي كنعان
اسبوع في باريس 1922	محمد بن عبدالسلام السائح	د . سليمان القرشي
البرنس في باريس - رحلة إلى فرنسا وسويسرا 1913	محمد المقداد الورتتاني	د . سعيد الفاضلي
سياحتي في بلاد التيبب الغربية وكشمير 1915	الأمير يوسف كمال	جمال ملحم
اتحاف الأخيار بغرائب الأخيار 1876	ادريس الجعيدي السلوي	د . عزّ المغرب معنينو
المطالع البدرية في المنازل الرومية (984-904هـ)	بدر الدين بن محمد العامري الغزّيّ الدمشق	المهدي عيد الرواضية
الرحلة المعينية 1938	ماء العينين بن العتيق	د . محمد الظريف